

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ  
الْمُخْتَارِ مِنَ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

٧٢

مِنْ

تَشْرِيعِ الدِّينِ

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَبِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٩١ هـ

السُّفْرَةُ الثَّانِي

اِخْتَارَ لِنُصُوصِ وَتَقْدِيمِ لَهَا وَتَقْدِيمِ عَلَيْهَا

مَنْظُومَاتُ الرَّاجِزِيِّ



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

الدكتوران لؤي : زهير الحمو

من نشر الدر — السفر الثاني

---

---

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق  
عليها مظهر الحجبي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج ٢٠ سم. -  
(المختار من التراث العربي ٧١ - ٧٤).

١ - ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢ - العنوان ٣ - أبو سعد الأبي  
٤ - المحي ٥ - السلسلة

مكتبة الأسد

---

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

# الباب الأول

---



## كلام معاوية بن أبي سفيان وولده

قال الهيثم (١) : خرج معاوية يريد مكة ،  
حتى إذا كان بالأبواء (٢) اطلع في بئر عادية (٣) ،  
فأصابته القوة (٤) . فأتى مكة ، فلما قضى نسكه ،  
وصار إلى منزله ، دعا بثوب ، فلفه على رأسه ، وعلى  
جانبيه وجه الذي أصابه فيه ما أصابه ، ثم أذن للناس  
فدخلوا عليه . وعنده مروان ، فقال :

إن أكن قد ابتليت فقد ابتلي الصالحون قبلي ،

---

(١) هو الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ ،  
توفي سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) الأبواء . قرية بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ، بها  
قبر والد الرسول عليه السلام .

(٣) بئر عادية : قديمة نسة إلى عاد

(٤) القوة . داء يصيب الوجه فيعوج اللحم أو جانب منه .

وأرجو أن أكونَ منهم وإنْ عُوِّقْتُ فقدْ عُوِّقَ الظالمونَ  
 قبلي، وما آمَنُ أنْ أكونَ منهم ، وقد ابْتُئِلْتُ في أحسنِّ (١)  
 وما يَبْدُو مِنِّي ، وما أَحْصِي صحبِي . وما كان لي  
 على رَبِّي إِلَّا ما أعطاني . واللهِ إِنْ كانَ عَتَبَ بعضُ  
 خاصَّتِكُم لقد كنتُ حادِباً على عامَّتِكُم ؛ فرحمَ اللهُ  
 امرءاً دعا لي بالعافية .

دخلَ المسوَّر على معاويةَ ، فقال له : كيف تركتَ  
 قريشاً ؟ قال : أفتَ سيدُها يا أميرَ المؤمنين ، أعلاها  
 كعباً ، وأسودُها (٢) أباً ، وأرفعُها ذِكْراً وأجلُّها  
 قدراً . قال : كيف تركتَ سعيداً (٣) ؟ قال : عليلاً .  
 قال : للَّيدينِ وَلِلْفَمِّ (٤) :

(١) المعنى : في أحسنِّ صفو ، والظاهر لكل إنسان وهو وجهه .

(٢) أسودها . من اليادة .

(٣) يريد سعيد بن العاص كما سيبين من الكلام بعد .

(٤) هذا من أقوال العرب في الدعاء على الإنسان : أي : أمقطه الله

لليدين والعم



بِهِ لَا بِظَلِّي بِالصَّرِيحَةِ (١) أَعْفَرًا (٢)

قال : وعمر بن سعيد صبيٌ يسمعُ قوله من وراءه .  
فقال : إِذَا وَاللَّهِ لَا يَسُدُّ جُفْرَتَكَ (٣) ، وَلَا بَزِيدٌ فِي  
رِزْقِكَ ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفًا عَنْكَ ، بَلْ يَفْتُ فِي عَضْدِكَ ،  
وَيَبْضُ ظَهْرُكَ ، وَيَنْشُرُ أَمْرَكَ ، فَتَدْعُو فَلَا تُجَابُ ،  
وَتَتَوَعَّدُ فَلَا تُهَابُ .

فقال معاوية : أَبَا أُمِيَّةَ ، أَرَأَيْكَ هَاهُنَا . إِنَّ أَبَاكَ  
جَارَانَا إِلَى غَايَةِ الشَّرَفِ ، فَلَمْ تَعْلُقْ بَأَثَارِهِ ، وَلَمْ نَقْسِمْ  
لِمَحْفَارِهِ (٤) ، وَلَمْ نَلْحَقْ بِمُضَارِهِ ، وَلَمْ نَدْنُ مِنْ  
غُبَارِهِ ، هَذَا مَعَ قُوَّةِ مَكَانٍ ، وَعِزَّةِ سُلْطَانٍ . وَإِنَّ

---

(١) الصريحة : القطعة المنفردة من الرمل

(٢) عجز بيت صدره

أقول له لما أتاني نعيه

والبيت للفرزدق .

(٣) الحفرة : مجمع البطن والصدر .

(٤) المحقار . القرمس الشديد العلو .

أثقل قومنا علينا متن سبقنا إلى غاية شرف ؛ فأخذ أبوك  
علينا القصبة (١) . وملك دوننا الغلبة .

رُوي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قدم  
السام . ومعه عبد الرحمن بن عوف أو أبو عبيدة ، وهما  
على حمارين قرييين من الأَرْضِ ، فتلقاهما ، معاوية  
في كوكبة (٢) نخشناه ؛ فشئى وبركه ، فنزل ،  
وسلم بالخلافة : فلم يرد عليه ، فقال له عبد الرحمن أو  
أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أحضرت الفتى (٣) فلو كآمته .  
فقال : لئنك لصاحب الجيش الذي أرى ؟ قال : نعم .  
قال : مع شدة احتجاجك ، ووقوف ذوي الحوائج  
ببابك ؟ قال : أجل . قال : لم ؟ ويلك ! قال : لأننا  
ببلاد يكتر بها جواسيس العدو ، فإن نحن لم نأخذ  
العدو والعدو استخف بنا . وهجم على عورتنا . وأنا

- 
- (١) المراد : سبق إلى الغالب يقال للراهن في السباق : أحرز  
القصبة ، لأنهم كانوا يركزون فصبا عند غاية التهام .  
(٢) الكوكبة : الجماعة ، والخشاه : الخيرة السلاح .  
(٣) معنى حث به أو دعونه .

— بعدُ — عامُلك ؛ فإن وقفتني وقفتُ ، وإن استزددتني  
زدتُ ، وإن استنقصتني نقصتُ .

قال : والله لئن كنتَ كاذباً لَإِنه لرأيُ أريبٍ .  
ولئن كنتَ صادقاً لَإِنه لتدبيرُ أديبٍ . ما سألتُك قطُّ عن  
شيءٍ إلا تركتني فيه أضيقَ من رواجبِ الضر من (١) .  
لا آمرك ولا أنهاك .

فلما انصرف قال له صاحبه : لقد أحسنَ الفقى في  
إصدارِ ما أوردتَ عليه . قال : بحسنِ إصدارِه وإبرادِه  
جشمناه (٢) ما جشمناه .

قال معاويةُ : معروفُ زماننا هذا منكرُ زمانٍ قد  
مضى ، ومنكرُ زماننا هذا معروفُ زمانٍ لم يأتِ .  
ومن كلامه : الفرصةُ خُلصةٌ ، والحياةُ بمنعِ الرزقِ ،  
والهَيبةُ خيبةٌ ، والحِكْمةُ ضلالةٌ المؤمن .

---

(١) الرواجب . أصول الأصابع ، والفرس : الرجل الداجب  
والمراد تركتني في أمر يصعب علي الخروج منه .  
(٢) جشمه : كلفه أمراً فيه مشقة .

وقال ذات يوم لابنه يزيد : يا بُنيَّ ، لا تستفسدِ  
الحر فساداً لا تصلحهُ أبداً . قال : بماذا ؟ قال : لا  
تشتمَنَّ لهُ عِرضاً ، ولا تصرِهنَّ له ظَهراً ، فإن الحرَّ  
لا يرى الدُّنْيا عِوضاً مِن هذين ، ولكن خذ ماله ،  
ومضى شئت أن تصلحهُ فمالٌ بمالٍ .

وقال له عمرو بن العاص : قد أعياني أن أعلم  
شُجاعٌ أنت أم جبان ؟ فقال :

شجاعٌ إذا ما أمكنتنيَّ فرصةٌ  
فإن لم تكن لي فرصةٌ فجبَّانٌ

وقال لعاملٍ له : كُلْ قليلاً تعملْ طويلاً ، الزم  
العفاف يلزمك العملُ ، وإيتاك والرِّشَا يشتد ظهرك عند  
الخصام .

ورفع يوماً ثُنْلوْتَيْه (١) بيديه ، ثم قال : لقد علمَ  
الناسُ أن الخيلَ لا تجري بمثلي ، فكيف قال النجاشي : (٢)

---

(١) الثندرة : عند الرجل تقابل الصبي عند المرأة . أراد معاوية  
أن يدل على بدائته وثقل ودهنه .

(٢) النجاشي هو قيس بن عمر بن مالك شاعر إسلامي .

ونجى ابن حربٍ سابح\* (١) ذو علالة (٢)  
أجش\* (٣) هزيم\* والرماسح دوان  
وقال : إني لأكره النكارة (٤) في السبد ، وأحب  
أن يكون غافلاً أو متغافلاً (٥) .

وقال لأبي الجهم العدوي : أنا أكبر أم أنت يا أبا  
الجهم ؟ فقال : لقد أكلت من عرس أمك . فقال :  
عند أي أزواجها ؟ قال : في عرس حفص بن مغيرة  
فقال : يا أبا الجهم ، إيتاك والسلطان ، فإنه يغضب  
غضب الصبي\* ، ويعاقب عقوبة الأسد ، فإن قلبه  
يغالب كثير الناس .

وقال يوماً : أنا أعرف أرخص ما في السوق وأغلاه ،

---

(١) السابح : الفرس . وتسمى الخيل السابح ؛ لأنها تسبح في سيرها .

(٢) العلالة : بقية يجري الفرس .

(٣) الأجش . الغلظ الصوت ، أو الذي جهد صهله ، والمزيم من الخيل : الشديد الصوت .

(٤) النكارة : المفظة والدعاء .

(٥) المتغافل : الذي يظهر الغفلة ولبس له .

فقيل : وكيف ذلك ؟ فقال : أعلم أن الجيّد رخيص<sup>١</sup>  
والرديء غال<sup>٢</sup> .

ولما مات زياد وفد عليه عبيدُ الله ابنُه . فقال له :  
من استخلفَ أخِي على عَمَلِهِ بالكوفة ؟ قال : عبدَ الله  
ابنَ خالدٍ أَسِيد (١) قال : فعلى البصرة ؟ قال : سمرة<sup>٣</sup>  
ابنَ جُنْدُب (٢) . فقال له معاوية : لو استعملك أبوك<sup>٤</sup>  
استعملتُك ! . فقال له عبيدُ الله : أَنشُدكَ اللهَ أَن يَقُولَهَا  
لي أحدٌ بعدك : لو ولّاك أبوك ، وعمّك ولستُك<sup>٥</sup> .  
فولّاه خُراسانَ .

وأوصاهُ فقال : اتَّقِ اللهَ ولا تُؤْثِرَنَّ على تقواه  
شيئاً ، وقِ عَرْضُكَ (٣) من أن تُدَنِّسَهُ وإذا أعطيتَ

---

(١) عبد الله بن خالد بن أسيد اختلف في كونه مخزومياً أو أموياً .  
ولي فارس من قبل معاوية واستخلفه زياد على البصرة .

(٢) سمرة بن جندب بن هلال كان على شرطة زياد ، وكان من  
الحفاظ الكثيرين . مات سنة ٥٨ هـ .

(٣) قى عرضك : أحفظه وصنه ، فعل أمر من وقى . ف : فعل أمر  
من وفى .

عهداً فف به . ولا تسبيعن كثيراً بقليل ، ونخذ لنفسيك  
 من نفسيك ، ولا يخرجن منك أمراً حتى تبهرمه ،  
 فإذا خرج فلا يردن عليك . وإذا لقيت عدوك فغلبك  
 على ظهر الأرض فلا يغلبنك على بطنها ، وإن احتاج  
 أصحابك أن تؤاسيهم بنفسيك فؤاسيهم ، ولا تظنن  
 أحداً في غير حقه ولا تؤيسن أحداً من حق هو له .  
 وخطب مرة فقال : أيها الناس ، إنا قد أصبَحْنَا  
 في دهر عثود ، وزمن شديد ، يصبح فيه المحسن مُسْتِئاً ،  
 ويزداد الظالم عثواً ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل  
 عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى نحل بنا ،  
 فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد  
 إلا مهانة نفسه ، وكلال حده ، وتضيض (١) وفريه  
 ومنهم المصلت (٢) لسيئفه ، المجلب برجائه .  
 المعلن بشره ، قد أشرط نفسه (٣) ، وأوبق دينه (٤)

---

(١) التضيض القليل وهو في الأصل الماء القليل ، والوفر المال

المدخر .

(٢) أصاب سيئه : جرده من غمده . وأحلب برجله : جاء برحاله

(٣) أشرط نفسه : أطلعها وأعدها .

(٤) أوبق دينه : أهلكه .

لُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، وَمِثْقَلٍ (١) يَقُودُهُ أَوْ مُنْبِرٍ يَفْرَعُهُ (٢) ،  
وَلِبْسٍ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَاهُمَا لِنَعْسِكَ ثَمْنَا ، وَمَمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ  
عَوَضاً . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا  
يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ ،  
وَقَارِبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخَرَفَ نَفْسَهُ  
لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ .  
وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ الْمَالِ نَفْسُهُ ، وَانْقَطَعَ سَبَبُهُ ،  
فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ ،  
وَتَزَيَّنَ بِاسْمِ الزَّهَادِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مِرَاحٍ وَلَا مَفْدَى .

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ،  
وَأَرَاقُ دِمَوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ ، فَهَمَّ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ (٣)  
وِخَائِفٍ مُنْقَمِعٍ (٤) وَسَاكِتٍ مَكْنُومٍ (٥) ، وَدَاعٍ

---

(١) المِقْبَلُ : جَمَاعَةُ الْحَيْلِ وَالْفَرَسَانِ بَيْنَ الْأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ .

(٢) فَرَعُ الْمُنْبِرِ : عِلَاقٌ .

(٣) النَّادِ : الشَّرِيدُ الْفَاقِرُ .

(٤) الْمُنْقَمِعُ : الذَّلِيلُ ، وَانْقَمَعَ الرَّجُلُ : ذَلَّ .

(٥) مَكْنُومٌ مِنْ كَعَمَ : مَدَّ فَمَهُ .



مُخْلِصٌ وَمُوجِعٌ ثُكْلَانِ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ ، وَشَمَلَتْهُمْ  
الدَّلَّةُ ، فَهَمٌ فِي بَحْرِ أُجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ ،  
وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ . وَعَظُّوا حَتَّى مَلُّوا ، وَقَهَرُوا حَتَّى  
ذَلُّوا ، وَقَتَلُوا حَتَّى قَالُوا ، فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا أَقْلًا فِي  
أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ (١) وَقَرَاظَةِ (٢) الْجَلَمِ (٣)  
وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ . بِكُمْ مِنْ  
بَعْدِكُمْ .

قدم رجلٌ من مصر عليه ، فإنه ليحدثه إذ حَبَّقَ (٣) ،  
فانقبض وترك الكلام ، فقال معاوية : خذُ فيما كنتَ  
فيه . فما سمعتها من أحدٍ أَكْثَرَ مما سمعتها من نفسي .  
ودخل عليه رجلٌ مرتفعُ العطاء فرأى في عينيه  
رَمَصًا (٤) ، فحطَّ عطاءه وقال : بعجزُ أحدكم إذا  
أصبحَ أن يتعهدَ أديمَ وجهه .

(١) حُثَالَةُ الْقَرْظِ : نفايته ، والقَرْظُ : ورفُ شجر السلم .

(٢) الْقَرَاظَةُ : ما يتساقط من الثوب عند قسه . والجَلَمُ : المقصر .

(٣) حَبَّقَ : ضرب .

(٤) الرَمَصُ : قذى العين .

وقال لقريش في خلافته : إني أفتحُ إذا طرتم ، وأطير إذا وقعتم ، ولو وافق طيرائي طير انكم لاختلفنا .

وقال : العيال أرصةُ (١) المال .

وقيل له : ما بَلَغَ من عقلِكَ ؟ قال : لم أثقُ بأحدٍ .  
ونظر إلى يزيدَ وهو يضربُ غُلاماً له ؛ فقال له :  
لا تُفسِدِ أدَبَكَ بتأديبه ، ولكن و كَلِّ به من يؤدبه .

رُوي عن بعضهم أنه قال : قدم معاوية المدينة .  
فلنوتُ من المنبر لأحفظَ عنه ؛ فحمد الله وأثنى عليه ،  
ثم قال :

أما بعد ، فإنا قدمنا على صديق مستبشر ، وعلى عدو  
مُسْتَبْشِر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ؛  
فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يُعطوا منها سخطوا .  
ولسنا نَسعُ الناسَ كلَّهم ، فإن تكن شمعةٌ فلا بدَّ من  
لأئمة ، ليكنَ لوماً هوناً ، إذا ذكر غفَر ، وإياكم

---

(١) الأرضة : دوية قارضة ، والمراد : تفني المال كما تفني الأرضة ما تقرضه .

وَالْعُظْمَى الَّتِي إِنْ ظَهَرَتْ أُؤْتِيقَتْ ، وَإِنْ خَفِيََتْ  
أُوتِغَتْ (١) .

وَبَلَغَهُ أَنَّ ابْنَتَهُ امْتَنَعَتْ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ فِي الْإِفْتِضَاظِ ،  
فَمَشَى إِلَيْهَا يَتَوَذَّفُ (٢) فِي مِشْيَتِهِ ، وَفِي يَدِهِ مَخْصَرَةٌ ،  
فَجَلَسَ ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ :

مِنْ الْخِيفَرَاتِ الْبَيْضِ ، أُمًّا حَرَامُهَا  
فَصَعْبٌ ، وَأُمَّا حَلْثُهَا فَلَا تُقُولُ

وَيُخْرِجُ ، وَدَخَلَ ابْنُ عَامِرٍ فَلَمْ تَمْنَعْ عَلَيْهِ .  
وَسُئِلَ : مَا النَّبْلُ ؟ . فَقَالَ : الْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ ،  
وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ .

وَقَالَ : الدُّنْيَا بِحَدَائِيرِهَا (٣) الْخَفِضُ وَالِدَّاعَةُ .  
وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَايَعْتُكَ وَأَنَا كَارِهٌِ .  
فَقَالَ : قَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الْكَرِهَةِ خَيْرًا كَثِيرًا .

---

(١) أُوتِغَتْ : أَهْلِكَتْ . وَأُوتِيقَتْ : أَهْلِكَتْ .

(٢) يَتَوَذَّفُ : يَسْرِعُ الْخَطَا وَيُقَارِبُهَا .

(٣) حَدَائِيرُهَا : جَمْعُ حَذْفُورٍ وَهُوَ الْجَانِبُ وَالْمَرَادُ : كُلُّ مَا تُشْتَمَلُ

عَلَيْهِ .

وكان يَأْذَنُ لِلْأَحْنَفِ فِي أَوَّلِ مَنْ يَأْذَنُ لَهُ ،  
 فَأَذِنَ لَهُ يَوْمًا ، ثُمَّ أَذِنَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فجاء  
 محمدٌ فجلس بين معاوية وبين الأحنف ، فقال له معاوية :  
 لقد أحسست في نفسك ذلًّا ، إني لم أذن له قبلك ليكون  
 في المجلس دونك ، وإننا كما نملكُ أموركم نملكُ  
 تَسَادِيبَكُمْ ، فأريدوا ما يرادُ بكم ، فإنه أبقى لنعمتكم ،  
 وأحسنُ لأديبكم .

وقال معاوية في النساء : إني يغلبهن الكرام ،  
 ويغلبهن اللثام .

وفخر عنده سليم مولى زياد ، فقال معاوية :  
 اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه إلا وقد  
 أدركت أكثر منه بلساني .

\* \* \*

### يزيد بن معاوية وولده

كتب إلى أهل المدينة : أما بعد ، ف« إن الله لا  
 يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وإذًا

أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلًا مَرَدَّةً لَهُ ، وَمَالَهُمْ مِنْ  
دُونِهِ مِنْ وَآلٍ « (١) وَإِنِّي وَاللَّهِ لَيُبَسِّتُكُمْ  
فَأَخْلَقْتُكُمْ (٢) . وَرَفَقْتُ بِكُمْ فَأَخْرَقْتُكُمْ (٣) . ثُمَّ  
وَضَعْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي ، ثُمَّ عَلَى فَمِي ،  
ثُمَّ عَلَى بَطْنِي ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنَّمَا وَضَعْتُكُمْ تَحْتَ قَدَمِي  
لَأَطِئَنَّكُمْ وَطَاةٌ أَقِيلُ بِهَا عَذَابَكُمْ ، وَأَذِلُّ غَابِرَكُمْ ،  
وَأَتْرَكُكُمْ أَحَادِيثَ تُنْسَخُ فِيهَا أَخْبَارُكُمْ مَعَ أَخْبَارِ عَادٍ  
وَنُوحٍ .

لَعَلَّ الْحَلِيمَ دَلَّ (٤) عَلَيَّ قَوْمِي  
وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ (٥)

تَكَلَّمْتُ يَوْمًا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ الْخَطْبَاءُ فَأَحْسَنُوا وَأَكْثَرُوا ؛  
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا رَمِينَئِهِمْ بِالْخَطِيبِ الْأَشْدَقِ (٦) ، قُمْ  
يَا يَزِيدُ فَتَكَلَّمْ .

(١) سورة الرعد : ١١ .

(٢) أَخْلَقْتُكُمْ : أَلْبَسْتُكُمْ .

(٣) أَخْرَقْتُكُمْ : سَبَّيْتُ لَكُمْ الْخَرَقَ وَهُوَ الْحَقُّ .

(٤) دَلَّ : جَرَأَ ، مِنْ الدَّلَالِ .

(٥) الْهَيْتُ لَقَيْسُ بْنُ زَهْرٍ الْعَبِّيُّ .

(٦) الْأَشْدَقُ : الْوَاسِعُ الشَّدَقِينَ .

ذكر أن الحجاج لما أكره عبادة الله بن جعفر على أن يزوجه ابنته (١) استأجله في ثمنها سنة ، فذكر عبادة الله في الانفكاك منه ، فألقي في روعه خالد بن يزيد ابن معاوية ، فكتب إليه يعلمه ذلك . وكان الحجاج تزوجها بإذن عبد الملك ، فورد على خالد كتابه ليلاً ، فاستأذن من ساعته على عبد الملك ، فقيل : أي هذا الوقت ؟ فقال : إنه أمر لا يؤخر ، فأعلم عبد الملك بذلك . فأذن له ، فلما دخل إليه قال عبد الملك : فيم السرى (٢) يا أباهاشم ؟ قال : أمر جليل ، لم آمن أن أؤخره ، فتحدث عليّ حادثة ، فلا أكون قضيت حق بيعتك . قال : ما هو ؟ قال : تعلم أنه كان بين حيين من العداوة والبغضاء ، ما كان بين آل الزبير وبيننا ؟ قال : لا . قال : فإن تزوجني إلى آل (٣) الزبير حللت لهم ما كان

---

(١) هي أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، وأما زيد بنت علي ابن أبي طالب .

(٢) السرى : السر ليل .

(٣) تزوج خالد بن يزيد رة بنت الزبير بن العوام وله فيها شعر .

في قلبي ، فما أهل بيت أحب إليّ منهم . قال : إن ذلك ليكون ؟ قال : فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج من بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم ، والحجاج من سلطانيك بحيث عامت . قال : فجراه خيراً . وكتب إلى الحجاج يعزم عليه أن يطلقها . فطأطأها . فغدا الناس يعزونه عنها .

وكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان (١) ، فأوقع الحجاج بخالد . فقال : كان الأمر لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه . فقال له عمرو : لا تقل ذلك أيها الأمير ؛ فإن لخالد قديماً سبق إليه ، وحديثاً لن يغلب عليه ، فلو طأطأ الأمر أطالبه بجيدة وجد ، ولكن عالم علماً فسلم العلم إلى أهليه . فقال الحجاج ؛ يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تحببون أن نحاسموا ، ولا يكون الحلم إلا عن غضب ، فمنعنا غضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل .

---

(١) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ابن عم خالد بن يزيد ، قتل مع ابن الأشعث .

ثم قال الحمجاج : والله لأتزوجن من هو أمس  
به رحماً ، ثم لا يمكنه فيه شيء ، فتزوج أمّ الخلاس  
بنت عبد الله بن خالد بن أسيد .

تهذّب عبد الملك بن خالد بالجرّمان ، فقال خالد :  
أهدّ دُني ، ويهدّ الله فوقك مائة ، وعطاء الله دونك  
مهلول ٢ .

قال رجل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقرب شيء ؟  
قال : الأجل . قيل : فما أبعد شيء ؟ قال : الأمل .  
قيل : فدا أنس شيء ؟ قال : الصاحب الدوّاتي (١) .  
قيل : فدا أوحش شيء ؟ قال : المسيت .

دخل عبد الملك بن مروان على يزيد بن معاوية .  
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لك أرضاً بوادي القرى (٢)  
ليست لها غلّة ، فإن رأيت أن تأمر لي بها فقال له يزيد :  
إن لا نخدع عن الصغير ، ولا نبخل بالكبير ، وهي لك .

---

(١) الصاحب المواق . الموافق .

(٢) وادي القرى : وهو واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة  
سمي كذلك لكثرة القرى فيه .



فلما ولى قال يزيد: إن أهل الكتب يدعون أن هذا يرث ما نحن فيه ، فإن كان كما قالوا فقد صانعناه ، وإن لم يكن فقد وصانناه .

قال معاوية ليزيد : إن كنت بعدي— وكنهه فابدأ بالخير ، فإنه يُعَفِّي (١) على الشر . وما صنعت من شيءٍ فاجعل بينك وبين الله ستراً ترجوه له ، وتأمله به . وإياك والقتل فإن الله قاتلُ القاتلين .

وصف معاوية الوليد بن عتبة (٢) فقال : إنه لبعيدُ الخور ، ساكنُ الفُور (٣) ، نبتةٌ أصلٌ لا يخلف ، وسليل فعلٌ لا يُقْرِف (٤) .

ودخل خالد بن يزيد دار عبد الملك ، وكان يسحبُ

---

(١) يعني على الشر : يزيله ويفنيه .

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سميان ، ابن أخي معاوية ، اشتهر بالفصاحة والحلم والكرم .

(٣) الفور : مصدر فار والمراد قليل الغضب .

(٤) أقرف الفرس : صار هجيناً وأقرف الرجل إذا كان أحد

أبويه غير عربي

ثيابه ، فقام إليه عبد الرحمن بن الضحاك (١) يتلقاه  
معظماً له ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، لم تُطعم الأرض  
فضول ثيابك ؟ فقال : إني أكره أن أكون كما قال  
الشاعر :

قصيرُ الثياب فاحشٌ عند بيته

وشرُّ قريشٍ في قريشٍ مُركباً (١)

وهذا البيت مُجيب به الضحاكُ . قال الجاحظ : لو  
لم يتكلف مالا يعنيه لم يسمع هذا الجواب .

قال بعضهم : كنتُ عند معاويةَ إذ دخل عبدُ الملك ،  
فحدث ونمض ، فقال معاوية : إن لهذا الغلام همةً ،  
وخلقُ أن تبلغَ به هِمَّتُهُ ، وإنه مع ما ذكرتُ تاركُ  
لثلاثِ آحادٍ : ثلاثٍ : تاركُ مَسَامَةِ الجليسِ جيداً وهزلاً ،  
تاركُ لما يعتذرُ منه ، تاركُ لما لا يعنيه ؛ آخذُ بأحسنِ  
الحديثِ إذا حَدَّثَ ، وبأحسنِ الاستماعِ إذا حَدَّثَ ،  
وبأهونِ الأمرينِ عليه إذا خولفَ .

---

(٥) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، قتل أبوه في موقعة مرج راهط ،  
واستعمله يزيد بن عبد الملك والياً على المدينة .

(١) المركب . الطبع .

وقال لعبيد الله بن زياد : يا بن أخي ؛ احفظ عني ،  
لا يكونَنَّ في عسكري أميرٌ غيرُك . ولا تقولَنَّ على  
منبر قولاً يخالفه فعلُك . ومهما غابت فلا تُغلبَنَّ على  
مِيتةٍ كريمة .

وقال معاوية : آفةُ المروءةِ الكبرُ وإخوانُ السوء .  
وآفةُ العلمِ النسيانُ ، وآفةُ الحلمِ الدلُ ، وآفةُ الجودِ  
السرفُ ، وآفةُ القصدِ البخلُ ، وآفةُ المنطقِ الفحشُ .  
وآفةُ الجلدِ الكسلُ ، وآفةُ الرراةِ الكِبَرُ ، وآفةُ  
الصمتِ العيُّ ، وآفةُ اللبِّ العُجبُ ، وآفةُ الظرفِ  
الصلفُ ، وآفةُ الحياءِ الضعفُ .

وقال : لا جَدَّ إلا ما أقعَصَ عنك ما تكره (١) .

وقال : لا تَعِدَنَّ شيئاً ، وحسبك جوداً أن تُعطيَ  
إذا سئِلْتَ .

وقال لابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : إذا ابتليت  
صبرت ، وإذا أعطيت شكرت ، وإذا وعدت أنجزت .

---

(١) الجَد : الحِلَا . أقعَصَ الرجل : قتله قتلا سريعاً .

قال : أنتَ مني ، وأنا منك يا يزيد .

وقال معاويةُ : المروءة مؤاخنةُ الأَكفَاءِ  
ومُداجاةُ (١) الأعداء .

وقال : ما وجدتُ لِدَّةَ شيءٍ أَلَذَّ عِنْدِي غَيْبًا (٣)  
من غِيْظٍ أُنْجِرَعُهُ ، ومن سَقَمٍ بِالْجُلْمِ أَقْبَعُهُ .

وأغلظَ له رجلٌ فاحتملته ، وأفرطَ عليه فحلم  
عنه ؛ فقليلٌ له في ذلك . فقال : لا تَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ  
وَأَلْسِنَتِهِمْ مَا لم يَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا كُنَّا .

وقال لابنه : يا بني ، اتَّخِذِ المَعْرُوفَ عِنْدَ ذَوِي  
الْأَحْسَابِ تَسْتَمِيلُ بِهِ قُلُوبَهُمْ ، وَتَعْظُمُ بِهِ فِي أَعْيُنِهِمْ .  
وَتَكْفُ بِهِ عَنْكَ عَادِيَتُهُمْ .

• • •

---

(١) المداجاة : المداواة ، وعدم إظهار العدواة

(٢) القب : العاقبة .

## الباب الثاني

---



## كلام مروان بن الحكم عند خلع

كتب مروان إلى النعمان (١) بن بشير بخطبه إليه  
ابنته أم أبان لابنة عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من مروان بن الحكم إلى النعمان بن بشير .  
سلام عليك ، فلاني أحمدُ إليك الله الذي لا إله  
إلا هو .

أما بعد ، فإن الله ذَا المن والبرهان ، والعظمة  
والسلطان ؛ قد خصكم — معاشر الأنصار — بنصرة

(١) مروان بن الحكم ولد سنة ٢ هـ استنجد عثمان بن عفان وولاه  
معاوية المدينة ومكة والطائف ، تولى الخلافة واستمر بها أشهراً ، ومات  
سنة ٦٥ هـ .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ، ولد قبل وفاة الرسول  
بثمان سنين .

دينه ، وإعزاز نبيته محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد جعلك منهم في البيت العميم ، والفرع القديم وقد دعاني إلى إحياء مصاهرتك والإيثار لك على الأكفاء من ولد أبيي . وقد أحببت أن تزوج ابني عبد الملك بن مروان ابنتك أم أبان بنت النعمان ، وقد جعلت صداقتها ما نطق به لسانك وترنمت به شفقتك ، وبلغه منك . وحكمت به في بيت المال قبلك .

وقال مروان لابنه : آثر الحق ، وحصن مملكته بالعدل ، فإنه سورها المنع الذي لا يغرقه ماء ، ولا تحرقه نار . ولا يهدمه سنجنيق (١).

وذكر أبو هريرة معاوية في مجلس فيه مروان فاغتابه ، ثم خاف أن يبلغ معاوية ذلك ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه قال : « المتجالس بالآمانة » ، وسأل مروان أن يكتب عليه .

---

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .



فقال مروانُ : واللهِ . لَمَّا رَكِبْتَ مِنِّي فِي ظَنِّكَ  
بِي أَنِّي أَنَقُلُ حَدِيثَكَ أَعْظَمُ مِثْمًا رَكِبْتَ مِنْ مُعَاوِيَةَ .

### عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

خطب فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، اْعْمَلُوا لِلَّهِ رَغْبَةً أَوْ  
رَهْبَةً ، فَإِنَّكُمْ بَنَاتُ نِعْمَتِهِ ، وَحَصِيدُ نِقْمَتِهِ ، وَلَا  
تَغْرَسُ لَكُمْ الْأُمَالُ مَا تَعْجَتَنِيهِ الْأَجَالُ . وَأَقِيلُوا  
الرَّغْبَةَ فِيمَا يورِثُ الْعُطْبَ ، فَكُلُّ مَا تَزْرَعُهُ الْعَاجِلَةُ  
تَقْلَعُهُ الْأَجَلَةُ . واحذَرُوا الْجَدِيدَيْنِ ، فَهَمَا يَكْرَهُانِ  
عَلَيْكُمْ بِاقتِسَامِ النُّفُوسِ ، وَهَدْمِ الْمَاسُوسِ . كَفَانَا  
اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ سَطْوَةَ الْقَدَرِ ، وَأَعَانَنَا بِطَاعَتِهِ عَنِ الْحَذَرِ  
مِنْ شَرِّ الزَّمَنِ ، وَمُعْضِلَاتِ الْفِتَنِ .

استأذن رجلٌ عليه ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَوَعَّظَهُ ؛ فقال عَبْدُ الْمَلِكِ لِرَجُلٍ : قُلْ لِلْحَاجِبِ ،  
إِذَا جَاءَ هَذَا فَلَا تَسْتَمْنَعُهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُ الْحَاجِبُ  
فَلَا يَأْذَنَ لَهُ .

وقال : إِنِّي لَا أَعْرِفُ عِزَّةَ الرَّجُلِ مِنْ ذَلِكَ بِجِلْسَتِهِ .

وقال له ابنه الوليد : ما السيامة ؟ قال : هيبة  
الخاصة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة  
بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

ودخل الشعبي عليه ، فخطأه في مجلس واحد في  
ثلاث ، سمع الشعبي منه حديثاً ؛ فقال : أكتبيبه .  
فقال : نحن معاشر الخلفاء لا نكتب أحداً شيئاً . وذكر  
رجلاً فكنناه فقال : نحن معاشر الخلفاء لا يُكنى الرجال  
في مجالسنا ، ودخل إليه الأخطل ، فدعا له بكرسي .  
فقال : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الخلفاء لا تُسأل ،  
فأنحله في أول مقام .

وقال لأخيه عبد العزيز (١) حين وجهه إلى مصر :  
تفقد كتابك وحاجبك وجليستك ؛ فإن الغائب يخبره  
عنك كتابك ، والمتوسم (٢) يعرفك بحاجبك والخارج  
من عنده يعرفك بجليستك .

---

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن عبد العزيز ،  
ولد في المدينة ، وولاه مروان مصر ، فكانت إقامته بملوان . توفي  
سنة ٨٥ هـ .

(٢) المتوسم : المتفرس المتنيل .

وقال : أفضلُ الرجالِ مَنْ تواضعَ عن رفعة ،  
وزهد عن قُبرةٍ ، وأنصف عن قوة .

وقال : الهديةُ السحرُ الظاهرُ .

وقال لِمُعَلِّمٍ ولده : رَوِّ بَنِيَّ الشَّعْرَ يَعْرِفُوا  
بِهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَلَا تَرَوْهُمْ شَعْرَ هُذَيْلٍ (١)  
فَتَرِيْنَ لَهُمُ الْفِرَارَ ، وَلَا شِعْرَ أَحْيَحَةَ بْنِ الْجُلَّاحِ (٢)  
فَتَحْسِنَ لَهُمُ الْبُخْلَ ؛ وَأَطْعِمَهُمُ اللَّحْمَ تَشْتَدُّ قُلُوبُهُمْ ،  
وَجُرَّ أَشْعَارُهُمْ تَغْلُظَ رِقَابُهُمْ .

وقال : اطلبوا معيشةً لا يقدرُ سلطانٌ جائِرٌ على  
غصبِها . فقيل : وما هو ؟ قال : الأدب .

دخل إليه أعرابيٌّ فبرك بين يديه ، ثم قال : يا أمير  
المؤمنين ، إن الناقة إذا منعتِ الحلبَ قومَتِها العَصَا ؛  
فقال عبد الملك : إذا تكفيتُ الإناءَ ، وتكسرُ أنفُ  
الحالبِ .

---

(١) هذيل الأشجعي شاعر أموي ، عني في أواخر أيامه .

(٢) أحيمه بن الجلاح بن الحريش : شاعر جاهلي .

وقال زُفَر بن الحارث (١) : ما ظنك بي ؟ قال :  
ظني بك أنك تقتلني ، فقال : قد أكذب الله ظنك ،  
وقد صفوتُ عنك .

ونازعه عبدُ الرحمن بنُ خالد بن الوليد (٢) ،  
فأرَبَتِي عليه ، فقبل له : لو شكوتَه إلى عمِّه لا ننتقم لك  
منه ، فقال : مثلي لا شكُّو ، ولا أعدُّ — أنا — انتقام  
غيري لي انتقاماً ، فلما استخلف قبل له في ذلك ، فقال :  
حَقِّدُ السُّلْطَان عَجْز .

قال عمرو بن عبيد (٣) : كتب عبدُ الملك وصيةً  
بيده ، وأمر الناس بتدبر ما فيها وهي :

---

(١) كان زفر بن الحارث الكلبي قد خرج على عبد الملك ، مع  
الضحاك بن قيس ، ولما قتل الضحاك في مرج راحط تحصن زفر بقرقيسها  
على نهر الفرات إلى أن مات سنة ٧٥ هـ .

(٢) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، قائد شديد البأس  
من التابعين ، شهد صفين مع معاوية ، كما شهد فتوح الشام ومات سنة ٤٦ هـ .  
(٣) عمرو بن عبيد ، شيخ المعتزلة ، كان أنوّه شرطياً للمعجاج وهو  
فارسي الأصل . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٢ هـ .

إن الله جعل لعباده عُقُولاً عاقبهم بها على معصيته ،  
 وأثابهم على طاعته ؛ فائناسُ بين مُحسِنٍ بنعمة الله عليه ،  
 ومُسِيءٍ بخذلان الله إِيَّاه ، والله النعمة على المحسن والحجةُ  
 على المسيء ، فما أولى بمن تَمَتَّت عليه النعمةُ في نفسه ،  
 ورأى العِبرةَ في غيره ، بأن يضع الدنيا حيث وضعها الله ،  
 فيعطي ما عليه منها ولا يكثرث بما ليس له فيها ، فإنَّ  
 الدنيا دارُ فناءٍ ولا مسيل إلى بقائِها . ولا بد من لقاء الله ،  
 فأحذركم الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل  
 ما أخرته العَجْزةُ قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا  
 إليها ، فلا تقدرون فيها على توبةٍ . وليست لكم منها  
 أوبةٌ ، وأنا استخلفُ الله عليكم ، وأستخلفه منكم .

وأذن يوماً لخاصَّته ، فأخذوا مجالسهم ، وأقبل  
 رجلٌ منهم على عيب مُصعب بعد قتله ؛ فنظر إليه  
 عبدُ الملك فنظر كراهية ، لِمَا قال ، ثم قال : أمسيك .  
 أما عِلِمْتَ أن مَنْ صَنَعَ مَقْتُولاً فقد أَرَى بَقَاتِلَهُ .

\* \* \*

## الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ (١)

جاء إليه رجلٌ فقال : إن فلاناً نال منك . قال :  
أتريدُ أن تقتصَّ أوتارك من الناس بـ ؟ .

وهرب من الطاعون ، فقال له رجل : يا أميرَ  
المؤمنين إن الله تعالى يقول : « (لن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ  
إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ  
إِلَّا قَلِيلًا) » (٢) فقال الوليد : إنما تُريدُ ذلك القليل .

وقال له رجلٌ : إن فلاناً شتمَكَ ، فأكبَّ ،  
ثم قال : أراه شتمَكَ .

وكان الوليدُ لحناناً ، فدخل عليه يوماً رجلٌ من  
العرب ، فقال له الوليدُ : ما شأنك ؟ قال : أودُّ (٣)  
في أنفسي وأعوجاجي . فقال له رجلٌ من أصحابه : إن  
أميرَ المؤمنين يقولُ لك : ما شأنُكَ ؟ فقال : كذا وكذا .

---

(١) ولد الوليد بن عبد الملك سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة  
أبيه ، وافتتح في عهده الهند والترك والأندلس وهو بابي الجامع الأموي  
بدمشق . توفي سنة ٩٦ هـ .

(٢) سورة الأحزاب . ١٦ .

(٣) الأود : العوج .

ولما مات عبدُ الملكِ صعيدُ الوليدُ المنبرُ ، فحمد الله  
وأثنى عليه ، ثم قال : لم أرَ مثلَها مُصيبةً ولم أرَ مثله  
ثواباً : موتُ أمير المؤمنين ، والخلافةُ ؛ فإنَّ اللهَ وإنا إليه  
راجعون على المصيبةِ ، والحمدُ لله رب العالمين على النعمةِ  
انهمضوا فبايعوا على بركة الله .

مات لعبدِ الملكِ ابنُ ، فجاء الوليدُ فعزَّاه ؛ فقال :  
يا بني ؛ مُصِيبَتِي فِلكَ أعظمُ من مُصِيبَتِي بأخيك ، متى  
رأيتَ ابناً عزَّى أباه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أُمِّي أمرتني  
بذلك . قال : هو من مشورة النساء .

وروي أنَّ الوليدَ قام على المنبر بعد موت عبد الملك ؛  
فقال :

يا لها مصيبةٌ ما أفجعها وأعظمها ، وأشدّها وأوجعها  
وأغمها موتُ أمير المؤمنين ! ويا لها نعمةٌ ما أعظم المنَّةَ  
من الله تعالى عليَّ فيها ، وأوجب للشكر له بها ، خلافتُهُ  
التي سُرِبَتْها (١) .

فكان أولَ من عزَّى نفسه وهنأها بالخلافةِ .

---

(١) سُرِبَتْها : ألبستها كالسربال . وفي الكلام استعارة .

فأقبل غيلان بنُ مَسْلَمَةَ الثَّقَفِيَّ (١) ؛ فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال : أصبحت يا أمير المؤمنين ورثت خير الآباء ، وسُميت خيراً الأسماء ، وأُعطيْتُ أفضلَ الأشياء ، فعزّم اللهُ لك على الرّزِيَّةِ بالصبر ، وأعطاك في ذلك نوافلَ الأجر ، وأعانك في حسن ثوابه على الشكر ، ثم قضى لعبدِ الملك بغير القَضِيَّةِ ، وأنزله المنازل الرّضيَّةَ . فأعجبهُ كلامُهُ وقال : أنقضي أنت ؟ قال : نعم وأحدُ بني مُعْتَب . فسأله : كم هو من العطاء ؟ فقال : في مائة دينار . فألحقه بشرفِ العطاء ، فكان أول من ألحق بشرفِ العطاء .

• • •

## سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (٢)

تكلّم وفدٌ بين يدي سليمان فأخطؤوا ، وتكلّم بعدهم

(١) غيلان بن مسلمة الثقفى شاعر جاهلي أدرك الإسلام وتوفي سنة

٢٣ هـ .

(٢) سليمان بن عبد الملك ، الخليفة التالي بعد الوليد ، ولد بدمشق

سنة ٥٤ هـ ، وولي الخلافة سنة ٩٦ هـ . فتح في عهده جرجان وطبرستان ،

وتوفي سنة ٩٩ هـ .



رجلٌ فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامكم  
سدايةً لبّدت عجااجة (١) .

وقال : عجبْتُ لهذهِ الأعاجم ، ملكت طول الدهر ،  
فلم تحتج إلى العرب ، وملكك العرب فلم تستغن عنهم .

وتقدّم سليمانُ بن عبد الملك عند يزيد بن  
المهلب (٢) ، فقيل له : صيف أما أحسن ما كان في  
منزله . قال : رأيتُ غلمانهُ يخدمونه بالإشارة دون القول .  
وقال : قد أكلنا الطيب ، ولبسنا اللين ، وركبنا  
وامتطينا الفاريه العذراء ، فلم يبق من الدّقي إلا صديقٌ  
أطرحُ بيني وبينه مؤونة التّحفظ .

سمع سليمانُ رجلاً من الأعراب في سنة جدبة يقول :  
ربُّ العبادِ مالنا ومالكنا ؟

قد كنت تسقينا فما بدا لك  
أنزل علينا الغيث ، لا أبأ لك (٣)

---

(١) العجااجة : ما ثار من الدّبار .

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد شجاع ولد سنة ٥٣ هـ .

(٣) إن لا أبالك تذكر عند المدح ، أي لا مثال لأبيك .

فقال سليمان : أشهد أنه لا أبأ له ، ولا ولد له ولا صاحب . قال المبرد : فأخرجته أحسن مخرج .

قال سليمان ليزيد بن المهلب : ثلاث أنكرهن منك ، خفك أبيض مثل ثوبك ، ولا يكون خف الرجل مثل ثوبه ، وطيبك ظاهر ، وطيب الرجل يُشم ، ولا يرى أثره ، وتكثر من مس لحيثك . قال : فغير خفته وطيبه .

وقال : ما رأيت عاقلاً يهتم بأمر إلا كان معولته على لحيته .

وخطب فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء رفع ، ومن شاء وضع ، ومن شاء أعطى ، ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومزل باطل وزينة ، تقلب بأهلها ، تضحك باكياً ، وتبكي ضاحكاً ، وتُخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، تُفقر مثرية ، وتُقرّب مقصية ، ميالة لاعبة بأهلها . عباد الله ، اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما كان قبله ، وإن ينسخه كتاب بعده . اعلموا — عباد الله — أن هذا القرآن يحلوا

كيد الشيطان وضمائنه<sup>(١)</sup> ، كما يجلو ضوءُ الصبح إذا  
تنفّس أدبار الليل إذا عسعس<sup>(٢)</sup> .

• • •

### يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (٣)

كتب إليه عبدُ الرحمن بن الضَّحَّاك بن قيس يستأذنه  
في غلام يهديه إليه ، فكتب إليه يزيدُ : إن كنتَ لا بد  
فاعلاً فليكن جميلاً ظريفاً لبيباً أديباً كاتباً ، فقيهاً  
حلواً ، عاقلاً أميناً سرّياً ، يقولُ فيحسِن ، ويحضرُ  
فميزن ، ويغيب فبؤمن .

فكتب إليه : قد التمسْتُ صِفَةَ أميرِ المؤمنين ،  
فلم أجدها إلا في القاسمِ بن محمد ، وقد أبى أهلُه بيعه .

• • •

---

(١) الضمائن : الأحقاد .

(٢) عسعس : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل غلامه أو أدبر .

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٧١ هـ ، وتولى الخلافة

بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ .

## هشامُ بنُ عبدِ الملكِ (١)

ذكر خالدُ بن صفوان (٢) خالدَ بن عبد الله  
القسري عند هشام ، فقال هشام : إن خالداً أدلُّ  
فأملُّ (٣) ، وأوجفُّ فأعجفُّ (٤) ، ولم يترك لأوبة  
مرجعاً ، ولا للصلح موضعاً ، وإني لكما قال الشاعر (٥) :  
إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكدْ

إليه بوجهٍ آخرٍ الدهرُ تُقبلُ

نمض هشام عن مجلسه مرةً ، فسقط رداءه عن  
منكبه ، فتناوله بعضُ جلسائه ؛ ليرده إلى موضعه ،  
فجذبه هشامٌ من يده ، وقال : مهلاً ، إنا لا نتخذُ  
جلسائنا خولاً (٦) .

- 
- (١) هشام بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٣١ هـ ، وقول الخلافة  
سنة ١٠٥ هـ ، بن الرصافة وكان يسكنها صيفاً ، وتوفي سنة ١٢٥ هـ .  
(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله الخثري ، من قصماء العرب .  
(٣) أدلُّ بالحمية فأفرط ، وأدلُّ فأمل مثل يضرب لذلك .  
(٤) أوجف الدابة : حثها ، وأعجفها : أهزلها .  
(٥) قال البيت معن بن أوس المزني .  
(٦) الخول : العميد والإمام والحاشية ونحوها . يستوى في لفظه  
المؤنث والمذكر والمفرد والجمع .

عُدَّتْ لهشام — مع دهائه — سقطتان إحداهما :  
أن الحاديّ حدا به ، فقال :

إنّ عليك أيها البُخشي (١)  
أكرم من تمشي به المطي  
فقال هشام : صدق .

والأخرى : أنه ذُكر عنده سليمان بن عبد الملك ،  
فقال : والله لأشكونّه يوم القيامة إلى أمير المؤمنين  
عبد الملك .

وقال له مَسْلَمَةُ أخوه : كيف تطمعُ في الخلافةِ  
وأنتَ بخيلٌ . وأنتَ جبانٌ ؟ قال لأنّي حلِيمٌ وأنّي  
عفيفٌ .

\* \* \*

### الوليدُ بنُ يزيدَ (٢)

أتى هشام بعُودٍ ، فقال للوليد : ما هذا ؟ قال :  
خشب يُشَقَّقُ ثم يرقَّقُ ، ثم يُلصَقُ ثم تعلَّقُ عليه

---

(١) الجمال البخشي : الخراسانية ، والبخشي صفة للجميل منها .

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولد سنة ٨٤ هـ وولي الخلافة

سنة ١٢٥ هـ .

أوتاراً فينطق فتضرب الكرامُ رؤوسها بالحيطانِ سروراً  
به . وما في المجلس أحدٌ إلا وهو يعلمُ منه ما أعلمهُ ،  
وأنت أولهُم يا أمير المؤمنين . .

وقد قيل : إنَّ هذا الكلامَ هو للوليد بن مسعدة  
الفرزاري مع عبد الملك بن مروان .

وحكى بعضهم قال : رأيتُ هشامَ بن عبد الملك  
يوم توفى مسلمةُ بن عبد الملك إذ طلع الوليد وهو  
نشوانٌ يجرُ مطرَفَ خنزٍ ، فوقف على هشام ، فقال :

يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ عُقبى من بقي لحوقٌ بمن  
مضى ، وقد أفقرَ بعدَ مسلمةَ الصَّيْدُ (١) لمن رُمى ،  
واختل الثغرُ (٢) فوهى ، وعلى إثر من سلفَ يمضي من  
خلف ؛ فتزودوا ، فإن خيرَ الزَّادِ التَّقْوَى . قال :  
فأعرض هشامٌ ولم يجر جواباً ووجم الناس .

---

(١) أفقر الصيد : أمكن الصيد من فقاره لراميه والمعنى أن مسامة  
كان يفتروا العدو ويرده ، فحين مات اختل بلك الاسلام وأمكن لمن يتعرض  
إليه .

(٢) الثغر : الخد مع العدو .

وقيل : كان عمرُ بنُ الخطاب — رضي الله عنه —  
 يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى (١) ثم يجمع جراميزه (٢)  
 ويثبُ ، فكأنما خلّقَ على ظهْر فرسيه ، فكان الوليدُ  
 ابنُ يزيد يفعلُ مثل ذلك ، وفعلته مرة وهو ولي عهده ،  
 ثم أقبل على مسلمة بن هشام (٣) : فقال له : أبوكَ يُحسنُ  
 مثل هذا ؟ فقال مسلمةُ : لأبي مائةُ عبد يحسنون  
 هذا . فقال الناس : لم ينصفه في الجواب .

\* \* \*

يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ (٤)  
 لما قُتل الوليدُ بنُ يزيدَ قام يزيدُ خطيباً ، فحمد  
 الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
 أيُّها الناس ؛ والله ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ،

(١) المراد « بأذنه اليسرى » أذن القرس .

(٢) جراميزه : مجموع بدنه .

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك من القواد ، مات في خلافة أبيه .

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الملقب بالناقص ، ولد سنة

٨٦ هـ ، وثار على ابن عمه الوليد بن يزيد وقتله ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ  
 ولم يمكث بها غير خمسة أشهر ، وتوفي في السنة نفسها .

ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في الملك ، وما بي  
 إطرأ نفسي ، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربِّي ،  
 ولكني خرجتُ غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلى الله ،  
 وإلى سنة نبيه ، لما هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ  
 نورُ أهل التقوى ، وظهر الجبارُ العنيد ، المستحلُّ لكل  
 حرمة ، والراكبُ لكل بدعة ، مع أنه والله ما كان  
 يؤمنُ بيوم الحساب ، وإنه لابنُ عمي في النسب ،  
 وكُفئي في الحساب .

فلما رأيت ذلك استخرتُ الله في أمري ، وسألتُه  
 ألا يَكِلَنِي إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك من أجابني من  
 أهل ولايتي ، حتى أراحَ اللهُ منه العبادَ ، وطهرَ منه  
 البلادَ بحولِ الله وقوته ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ؛ إن لكم عليّ ألا أضَعَ حجراً على حجر ،  
 ولا لبنَةً على لبنَةٍ . ولا أَكْرِِي (١) نهراً ، ولا أَكْنِزَ  
 مالاً ، ولا أُعْطِيَه زوجةً ولا ولداً ، ولا أَنْزِلَ مالاً  
 من بلد إلى بلد ، حتى أَسُدَّ فقرَ ذلك البلدِ وخصاصةً

---

(٢) كرى النهر ، يكرهه ويكرهه : حفره .



أهليه (١) ، بما يُغنيهم ، فإنَّ فضلَ نقلته إلى البلدِ الذي يليه ممن هوَ أحوَجُ إليه منه ، ولا أجمركم (٢) في بعوثكم فأفتنكم ، وأفتنَ أهليكم ، ولا أغلقَ بابي دونكم فيأكل قوئكم ضعيفكم ، ولا أحملَ على أهل جزييتكم ما أجليهم به من بلادهم ، وأقطعَ نسلهم ، ولكنَّ عندي أعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهرٍ ، حتى تستدرَّ (٣) المعيشةُ بين المسلمين ، فيكونَ أقصاهم كآدناهم .

فإنَّ أنا وفيتُ لكم فعليكمُ السمعُ والطاعةُ ، وحسنُ المؤازرةِ والمكاثفةِ (٤) ، وإنَّ أنا لم أوفِ لكم فلكم أن تهاوني إلا أن تستسيئوني ، فإن تُبِتْ قبلتُم مني . وإن عرفتُم أحداً يقومُ مقامي مسنَّ يعرفُ بالصلاح ، يعطيكم من نفسه مثلَ ما أعطيتكم ، فأردتُم أن تباعوه ، فأنا أولُ من بآيعه ، ودخل في طاعته .

\* \* \*

(١) الخصاصة . وكذلك الخصاص ، الفقر وسوء الحال والخاصة .

(٢) جهر الجند حبسهم في الثغور عند أرض العدو .

(٣) استدر . كثر .

(٤) المكاثفة . المعاونة .

## مَسَلَمَةُ (١)

قال : عجبت لمن أحصى شعرة (٢) ثم أعفاه ،  
وقصّر شاربته ثم أطاله ، أو كان صاحب سراري (٣) ؛  
فأخذ المهيّرات (٤) .

ولما حضرته الوفاة أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب ،  
وقال : صناعةٌ مجفوء أهلها .

وكان إذا كثّر عليه أصحاب الحوائج وخشي  
الصّبح أمر أن يحضر ندماؤه من أهل الأدب ؛ فيتداكرون  
مكارم الناس وجميل طرائقهم ومروءاتهم فيطربُّ ،  
ويهيجُ ، ثم يقول : ائذّنوا لأصحاب الحاجة ؛ فلا يدخل  
أحد إلا قضى حاجته .

وقال له هشام : يا أبا سعيد ؛ هل دخلك ذُعرٌ

---

(١) سلمة بن عبد الملك بن مروان ، من أبطال بني أمية ، وله  
فتوحات شهيرة ، توفي بالشام سنة ١٢٠ هـ تقريباً .

(٢) أحصى الشعر : قصره وخطف منه .

(٣) السراي : جمع سرية وهي الأمة .

(٤) المهيّرات : ذوات المهر .

قطُّ لحربٍ شهدتها أو لعدو؟ قال : ما سلمتُ في ذلك  
من دُعرٍ ينبّه عليَّ حيلةً ، ولم يَغشَّني فيها دُعرٌ  
يسلُبني رأبي . قال هشام : هذه البسالة .

ودخل على عُمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات  
فيه ؛ فقال : ألا توصيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : بسم  
أوصي ؟ فوالله إن لي من مال (١) . فقال : هذه مائةُ  
ألفٍ ، مرُ فيها بما أحببت . قال : أو تقبّل ؟ قال :  
نعم . قال : ترُدّها علي من أخذتها منه ظلماً . فبكى  
مسلمةٌ ثم قال : يرحمك الله ، لقد ألنتَ منّا قلوباً  
قاسيةً ، وأنقيتَ لنا في الصالحين ذكراً .

واستبطأ عبدُ الملك ابنه مسامةً في مسيره إلى الروم ؛  
فكتب إليه :

لِيَمَنَ الظُّعَانُ سِيرُهُنَّ تَزَحَّسْفُ؟  
سَيَّرَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسَ يُجْدَفُ (٢)

---

(١) إن نافية بمعنى ليس ومن زائدة

(٢) البيت لأعنى همدان ، سطلع قصيدة قالها وهو أسير ببلاد الروم

فلما قرأ مسلمة الكتاب ، كتب في جوابه :

ومستعجب مما يرى من أنانيتنا  
ولو زبنته (١) الحرب لم يترمرم (٢)

• • •

### مروان بن محمد (٣)

دخل عبد الرحمن بن عطفة التغلبي على مروان بن محمد ، فاستأذنه في تفصيل يده فأعرض عنه ، ثم قال له :  
قد عرف أمير المؤمنين موضعك في قومك ، وفضلك في نفسك ، وتفصيل اليد من المسلم ذلة ، ومن الذمي خديعة ولا خير لك في أن تنزل بين هاتين .

قالوا : كان يأخذ مروان بن محمد كل سنة من الخزانة قبايع (٤) ، فإذا أخلفتها ردهما إلى الخزانة وأخذ جديدين .

---

(١) زبنته الحرب : دفعته وصدته

(٢) يترمرم : يحرك فاه بالكلام . والبيت لأوس بن حجر .

(٣) مروان بن محمد بن مروان ، وهو ابن أخي عبد الملك بن مروان ، آخر الخلفاء الأمويين ، ولد سنة ٧٣ هـ استولى على الملك منه

١٢٧ هـ ، هزم في موقعة الزاب ، وقتل بمصر سنة ١٣٣ هـ

(٤) قبايع : منى قباء ، وهو نوع من الثياب

كتب إلى بعض الخوارج : إني وإيساك كالزجاجة  
والحجر؛ إن وقع عليها رختها ، وإن وقعت عليه فضتها.

قال الأصمعي : لما ولي مروانُ الخلافةَ أرسلَ إلى  
ابن رغبان (١) — الذي نُسب إليه بعد ذلك مسجدُ ابنِ  
رَغْبَان — ليوليّه ، فرأى له سجادةً مثل رُكبةِ  
البعير ، فقال : يا هذا ، إن كان مابك من عبادةٍ فما  
يحلُّ لنا أن نُسَخِّلَكَ . وإن كان من رياءٍ فما يحلُّ  
لنا أن نستعملَكَ .

قال (٢) عبد الحميد : تعلّمتُ البلاغةَ من مروان ،  
أمرني أن أكتبَ في حاجةٍ فكتبتُ على قدر الموسع ،  
فقال لي : اكتب ما أقول لك :

بسم الله الرحمن الرحيم  
أما آنَّ للحُرمةِ أن تُرعى ، وللدُّينِ أن يُقضى ،  
وللموافقةِ أن تُتَوَخَّسَ !

---

(١) هو مولى حبيب بن مسلمة من فريزر .

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد المتهور بعبد الحميد الكاتب  
أول من طول الرسائل ، راعى فيها . اقتص بمروان بن محمد ، وقتله  
العباسيون معه سنة ١٣٢ هـ .

ووقع إلى عامل بالكوفة : حَاطِبِ عِلْدِيَّةَ النَّاسِ فِي  
كَلَامِكَ ، وَسَوِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَلَةِ فِي أَحْكَامِكَ .

قالوا : وَلَمَّا لُقِّبَ بِالْحِمَارِ لِأَن أَصْحَابَ أَبِي  
مُسْلِمٍ لَمَّا خَرَجُوا كَانُوا حَمَّارَةً ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا  
اسْتَعَجَلَ حِمَارَهُ يَقُولُ : هَرَّ مَرَّوَانُ ، هَيْسُ ، مَرَّوَانُ (١)  
فَلَمَّا ظَفَرُوا بِهِ اسْتَمَرَّ بِهِ اللَّقْبُ .

قال عمر بن مروان : عرض أبي بظهر الكوفة  
ثَمَانِينَ أَلْفَ عَرَبِيٍّ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ وَثِقَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ  
الْعُدَدِ وَالْعُدَدِ : إِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ لَمْ تُغْنِ الْعِدَّةُ  
وَلَا الْعِدَّةُ (٢) .

قال بعض القرشيين : وفد على مروان بن محمد -  
وقد تولَّى الخلافة - ونزل حرَّانَ (٣) قال : فتوات على  
بابه الوفودُ ، فخرج لإيْنَا آذِنُهُ ، فقال : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) هَرَّ . هَرِهَتْ بِالْفَمِ دَسَوْتَهَا ، وَالْهَرُّ ضَرْبٌ مِنْ زَجَرِ الْإِبِلِ  
وَهَسَ . بِكَسْرِ الْهَاءِ وَضَمِّهَا : زَجَرٌ قَشَاءٌ

(٢) أَيُّ لَا يَنْفَعُ الرِّجَالُ وَلَا السَّلَاحُ .

(٣) حَرَّانُ . مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ مَشْهُورَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْمَوْصِلِ وَالشَّامِ .

يفسلُ ثيابه . فمن أراد أن يُقيمَ فليقم . ومن أراد أن  
ينصرفَ فلينصرف . فجعل الناس يعجبون من ذلك .  
ولم يهرح أحدٌ .

وكان يُقال : لو ذهبت دولةُ بني مروانَ على يد  
غير مروانَ لقال الناسُ : لو كان لها مشروانٌ ما ذهبت .

• • •





# الباب الثالث

---



## كلام الخلفاء من بني هاشم السفاح<sup>(١)</sup>

رفع بعضُ السُّعَاةِ إليه قِصَّةً بِسِيعَايَةٍ عَلَى بَعْضِ  
عَمَالِهِ ، فَوَقَّعَ فِيهَا :

هَذِهِ نَصِيحَةٌ لَمْ يُرَدِّ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَنَحْنُ فَلَا نَقْبَلُ  
قَوْلَ مَنْ آثَرْنَا عَلَى اللَّهِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : إِنَّ مِنْ أَدْنِيَاءِ النَّاسِ وَوَضَعَائِهِمْ مَنْ  
عَدَّ الْبُخْلَ حَزْماً ، وَالْحِلْمَ ذُلًّا .

وَمِنْهُ : إِذَا عَظُمَتِ الْمُقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ ، وَقَلَّ  
تَبَرُّعُ<sup>(٢)</sup> إِلَّا وَمَعَهُ حَقٌّ مُضْطَاعٌ .

وَمِنْهُ : إِذَا كَانَ الْحِلْمُ مُفْسِدَةً كَانَ الْعَفْوُ مَعْجِزَةً ،  
وَالصَّبْرُ حَسَنًا إِلَّا عَلَى مَا أَوْتَعَ الدِّينَ (٢) ، وَأَوْهَنَ

(١) عَدَّ اللَّهُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، أَوَّلَ خُلَفَاءِ  
الْمِيسَاقِينَ ، وَلَدَ سَنَةَ ١٠٤ هـ وَلَقِبَ بِالسَّفَاحِ ، لِقَوْلِهِ فِي إِحْدَى خُطَبِهِ .  
« قَاتَا السَّفَاحَ الْهَائِجَ » تَوَفِّيَ سَنَةَ ١٣٦ هـ .

(٢) أَوْتَعَ . أَهْلَكَ .

السلطان . والآناةُ محمودةٌ إلا عند إمكانِ الفرصة .

قالوا : كَلَّمَ المنصورُ أبا العباس في محمد بن عبد  
الله بن حسن وأهله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، آتَيْسْتَهُمْ  
بالإحسان ، فإن استوحشوا فالشرُّ يُصلح ما عجز عنه  
الخيرُ ، ولاتدعُ محمداً يمرحُ في أعينِ العقوق .

فقال : يا أبا جعفر ، إننا كذلك . ومن شدّد نفراً ،  
ومنّ لأن تَأَلَّفَ . والتغافلُ من سجايا الكرام ،  
وما أحسن . اقال أعشى وائل (١) :

يُخْضِي عَنِ الدَّوراءِ (٢) ، أو  
لا الحِلْمُ غَيْرَهَا انتصارُهُ

وكان يقول : إنَّ المقدرةَ تُصَغِّرُ الأُمِّيَّةَ ، لقد كُنَّا  
نستكثرُ أمورا ، أصبحنا نستقلها لأخسَّ منَّ صاحبينا ،  
ثم نسجدُ شكراً .

\* \* \*

---

(١) هو الشاعر أعشى بن ميس المتهور .

(٢) الدوراء ، الكلمة أو الفعلة القبيحة

## الْمَنْصُورُ (١)

ذكر يوماً ملوك بني مروان ، فقال : كان عبدُ  
الملكِ جبَّاراً لا بُدَّالي ماصنع ، وكان الوايدُ لحافاً مجنوناً ،  
وكان سليمانُ همَّه بطنه وفرجه ، وكان عمرُ أعورَ  
بين عميانٍ ، وكان هنامُ رجل القوم .

لما اتصل به خروجُ محمدٍ وإبراهيمَ (٢) - رضى  
الله عنهما - سنَّ (٣) عليه درعته ، وتقلد سيفه وصعد  
المنبرَ ، فحمد الله وأثنى عليه وقال .

مالي أكتفكفُ عن سعدٍ وتشتُمني  
ولو شتمتُ بني سعدٍ لقد سكتُوا  
جهلاً علينا ، وجُبناً عن عدوِّهم  
لبستِ الخلتانِ : الجهلُ والجبنُ (٤)

---

(١) ثابُّ الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ٩٥ هـ ، وولي الخلافة سنة ١٣٦ هـ .

نابغ بغداد وقويت بتمجيده حركة الترجمة . توفي سنة ١٥٨ هـ .

(٢) محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن العلوي : خرج أولهما

سنة ١٠٤ هـ بالمدينة ، وتبعه الثاني في السنة نفسها بالبصرة .

(٣) سن درعه . أسبغه عليه .

(٤) البينان لقنن بن أم صاحب سحر إسلامي كان في عهد الوليد بن

عبد الملك .

أما والله لقد عَجَزُوا عما قُتْنَا به ، فما عضدُوا  
المكافى ، ولا شكروا النِّعَم .

فماذا حاولوا ؟ أَأَشْرَبَ رَنْثًا (١) على غَصَص ،  
وأَيُّتُ منهم على مَضَض ؟ كَلَّا والله أَصْل ذَا رَحِمٍ  
حاولَ قَطِيعَتَهَا ، ولئن لم يَرْضَ بالعَفْوِ لِيَطْلُبَنَّ مَا لَا  
يُوجَدُ عِنْدِي ، فَلْيُبْقِ ذُو نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، قَبْلَ أَنْ  
تَمُتِي عَنْهُ ، ثُمَّ لَا يُبْكِي عَلَيْهِ ، وَلَا تَذْهَبُ نَفْسٌ  
مَسْرُوءَةً لِمَا أَتَاهُ .

وخطب بعد قتلِهِ أبا مسلم (٢) ، فحمد الله ، ثم أَثْنَى  
عليه ، ثم قال : أَمَّا بعد ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّهُ مِنْ نَازِعَتِنَا  
عُرُوءَةً هَذَا الْقَمِيصِ أَوْطَأَنَاهُ خَبِيئَةً (٣) هَذَا الْغِمْدِ —  
وَأَوْمَأَ إِلَى سَيْفِهِ — وَإِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بَايَعَتَنَا ، وَبَايَعَ  
أَنَا عَلَى أَنَّهُ مَنْ نَكَثَ بَنَا فَقَدْ حَلَّ دَمُهُ ، ثُمَّ نَكَثَ بَنَا ،  
فَحَكَمْنَا فِيهِ لِأَنفُسِنَا حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَحْمَهُ  
رِعَايَةُ الْحَقِّ لَهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ .

---

(١) الرَنْقُ : الماء المختلط بالطين .

(٢) قتل المنصور أبا مسلم سنة ١٣٧ هـ .

(٣) خبيء الغمد : ما استتر فيه والمراد السوف .

أهوى (١) هشام (٢) بن عروة إلى يده ليقبلها ،  
فقال له : يا أبا المنذر ، إنا نكرمك عنها ، ونكرمها  
عن غيرك .

استأذن سوار (٣) قاضي البصرة على المنصور ،  
فأذن له ، فدخل وسلم ، فقال المنصور : وعليك السلام .  
ادنُ أبا عبد الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، آذنو على  
مامضى عليه الناس أم على ما أحدثوا ؟ (٤) فقال : بل على  
مامضى عليه الناس ، فدنا فصافحه ثم جلس ، فقال  
المنصور : يا أبا عبد الله ، قد عزمتُ على أن أدعو أهل  
البصرة بسجلائهم ، وأشريتهم (٥) ، فقال : يا أمير  
المؤمنين ، نشدتُك الله ألا تعرض لأهل البصرة . فقال :  
ياسوار ، أباهل البصرة تهددني ؟ والله لهمتُ أن أوحه

---

(١) أهوى : انحط من قرب .

(٢) هشام بن عروة بن الزبير ، ولد سنة ٦١ هـ ، من علماء الحديث ،  
توفي ببغداد سنة ١٤٦ هـ .

(٣) سوار بن عبد الله قاضي البصرة ، تولى قضاءها سبع عشرة سنة .

(٤) يريد بما مضى عليه الناس : المصافحه ، ربما أحدثوا : تقبيل اليد .

(٥) الأشرية : جمع شري أو شراء .

إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم ، ويضعُ السيف  
فيهم فلا يرفعهُ عنهم حتى يفنيهم . فقال : يا أمير  
المؤمنين ، ذهبتُ إلى غير ما ذهبتُ إليه ، إنما كرهتُ لك  
أن تتعرض لدعاء الأرملة واليتيم ، والشيخ الكبير الفاني ،  
والحدث الضعيف . فقال : يا أبا عبد الله ، أنا للأرملة  
بعل ، ولليتيم أب ، وللشيخ أخ ، وللحدث الضعيف  
عم ، وإنما أريدُ أن أنظرَ في سجلاتهم وأشريتهم  
لأستخرج مافي أيدي الأغنياء ، مما أخذوه بقوتهم  
وجاهيهم من حقوق الضعفاء والفقراء . فقال : وفقك  
الله للخير ، وأرشدك لما يُحبُّ ويرضَى .

كان المنصورُ يقولُ : الملوكُ تحمل كلَّ شيء إلا  
ثلاثَ نحلل : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح  
في الملك .

وقال : إذا مدَّ عدوك يدهُ إليك فاقتطعها إن  
أمكنك ، وإلا فقبلها .

وخطبَ بمكةَ وقد أمَّلَ الناسُ عطائه ، فقال :  
أيها الناس ، إنما أنا سلطانُ الله في أرضه ، أسوسُكم



بتوقيقه وتسديده ، وخازنه على فيثه ، أعمل فيه  
 بمشيئته وأقسمه بإرادته ، وقد جعلني الله عز وجل  
 قفلاً عليه ، إذا شاء أن يفتحنى فتحني ، وإذا شاء أن  
 يقفلني أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا  
 اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه ، فقال  
 جلّ اسمه : ( اليوم أكملت لكم دينكم ،  
 وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام  
 ديناً ) (١) أن يوفقني للصواب ، ويسدّني للرّشاد ،  
 ويثميني الرّافة بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحنى  
 لأعطيائكم ، وقسم أرزاقكم فيكم ، إنه قريب مجيب .  
 فقال ابن عباس المتوفى : أحال (٢) أمير المؤمنين  
 بالمتنع على ربه .

خطب المنصور بالكوفة فقال : الحمد لله أحمده ،  
 وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله  
 إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأراد أن يقول : وأشهد أن  
 محمداً عبده ورسوله ، فقال رجلاً : يا أمير المؤمنين ،

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) أحال الغريم : زجاء إلى غريم آخر .

أَذْكُرَكَ مَنْ تَذْكُرُ بِهِ ، فقال المنصورُ : سَمْعاً سَمْعاً  
 لمن فهمَ عن الله ، وأعوذُ بالله أن أذكُرَ بالله وأنساه ،  
 وأن تأخذني العزةُ بالإثم : ( قد ضللتُ إذا وما أنا مِن  
 المهتدين ) (١) وأنتَ والله ما الله أردتَ بذلك ، ولكن  
 حاولتَ أن يُقالَ : قامَ فقالَ فعوقِبَ فصبر ، وأهونُ  
 بها وبقاتلها ! ولو صمتَ لكانَ خيراً له ، فاهتَبِلها  
 إذا غفرتُها ، وإياكم وأخواتِها ، فإن الموعظةَ علينا  
 نزلتْ ، ومن عندنا انبثَّت ، فرُدُّوا الأمرُ إلى أهلِهِ  
 يصدِّروهُ كما أوردُوهُ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .  
 ورجع إلى خطبته .

وقال للمهدي ابنه : يا أبا عبد الله ، لا تُبْرِمَنَّ  
 أمراً حتى تفكَّرَ فيه ، فإنَّ فكرةَ العاقِلِ مرآةٌ تُريهِ  
 قبيحَهُ وحسنَهُ .

وقال له : يا أبا عبد الله ، الخليفةُ لا يُصْلِحُهُ إِلَّا  
 التقوى ، والسلطانُ لا يُقِيمُهُ إِلَّا الطاعةُ ، والرعيةُ  
 لا يُصْلِحُهَا إِلَّا العدلُ ، وأولى الناس بالعفوِ أقدرُهم على

---

(١) سورة الأنعام : ٥٦ .

العقوبة ، وأنقصُ الناسُ مُروءةً وعقلاً مَنْ ظلم من هو دونه .

وقال له الربيعُ : إن فلانَ حقاً ، فإن رأيت أن نقضيه فتوليّه ناحية . فقال : ياربُّعُ ، إنَّ لاتصاله بنا حقاً في أموالنا ، لافي أعراض المسلمين وأموالهم . إننا لانوليّ للحرمةِ والرعاية ، بل للاستحقاق والكفاية ، ولا نُؤثِّرُ ذا النسب والقرباة على ذي الدِّرايةِ والكِتابةِ ، فمن كان منكم كما وصفنا شاركناهُ في أعمالنا ، ومن كان عطيلاً (١) لم يكن عُذرٌ عند الناس في توليتنا إياه ، وكان العُذرُ في تركيناهُ له وفي شخاص أموالنا مايسعهُ .

• • •

## المهديُّ (٢)

حكى أن رجلاً أتى باب المهديِّ ، ومعه نعلانٌ

---

(١) العطل . يقال للخالي من أي شيء ، وفي الأصل يقال في الخلو من

الحل النساء

(٢) محمد بن عبد الله المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٢٧ هـ ،

وتولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ كان شديداً على الزنادقة توفي سنة ١٦٤ هـ .

فقال : هما نعلان رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
 فعُرفَ المهديُّ ، فأدخلته ووصلته ، فلما خرج قال  
 المهديُّ : والله ما هذا نعلُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
 ومن أين صارت إليه ؟ أيسيراث أم بشرى (١) أم  
 هبة ؟ لكني كرهت أن يقال : أهدى إليه نعلُ رسول الله  
 — صلى الله عليه وسلم — ، فلم يقبلها ، واستخفَّ بحَقِّها .

قال الربيعُ : لما حبَّسَ المهديُّ موسى بنَ جعفر  
 — رضي الله عنه — (٢) رأى في النوم عليا — رضي الله عنه —  
 وهو يقول له : يا محمد ، ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ  
 أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ) (٣)  
 قال الربيعُ : فأرسلَ إليَّ ليلاً فراعني ذلك ، وإذا  
 هو يقرأ هذه الآية — وكان أحسنَ الناس صوتاً — فعرفني  
 خبرَ الرؤيا . وقال : عليٌّ بموسى بنِ جعفر . فبعثتهُ  
 به ، فعانقه وأجلسه إلى جانيبه ، وقال : يا أبا الحسن ،

---

(١) الثرى والشراء بمعنى واحد .

(٢) هو موسى بن جعفر الطالبي ، ولد سنة ١٤٥ هـ . حبه المهدي

ثم أطلقه .

(٣) سورة محمد : ٢٢ .

إِنِّي رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَرَأَ عَلَيَّ كَلَامًا .  
أَفْتَوَمَنْنُيْ أَنْ تَخْرُجَ عَلَيَّ ، أَوْ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِي ؟  
فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا ذَاكَ شَأْنِي . فَقَالَ : صَدَقْتَ . يَا رَبِيعُ ،  
أَعْطَيْهِ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ .

وَلَمَّا اسْتُخْرِفَ أُخْرِجَ مَنْ فِي السُّجُونِ ، فَقِيلَ لَهُ :  
إِنَّمَا تُزْرِي عَلَى أَبِيكَ ، فَقَالَ : لَا أَزْرِي ، وَلَكِنْ أَبِي  
حَاسِبٌ بِالْمَذْنَبِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ عَنْهُ .

وَوَلَّى الرَّبِيعَ بْنَ أَبِي الْجَهْمِ فَارِسًا ، فَقَالَ لَهُ :  
يَا رَبِيعُ ، آثَرِ الْحَقِّ ، وَالزَّمِ الْقَصْدَ ، وَارْفُقْ بِالرَّعِيَّةِ ،  
وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْدَلَ النَّاسِ مَنْ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ ،  
وَأَجْوَدَهُمْ مَنْ ظَلَمَهُمْ لغيرِهِ .

قِيلَ : كَانَ الْمُهَدِيُّ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ كَمَا هِيَ فِي الْمَسْجِدِ  
الْجَامِعِ بِالْبَصْرَةِ لَمَّا قَدِمَهَا ، فَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ يَوْمًا ،  
فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَسْتُ عَلَى طَهْرٍ ، وَقَدْ رَغِبْتُ  
إِلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَكَ ، فَتَأَمَّرَ هَؤُلَاءُ أَنْ يَنْتَظِرُونِي  
فَقَالَ : انْتَظِرُوهُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، وَدَخَلَ إِلَى الْمَحْرَابِ ،

فوقف إلى أن أقبل ، وقيل له : قد جاء الرجل ، فمعجب  
الناس من سماحة أخلاقه .

هاجت ربيعٌ سوداء في أيام المهدي ، فرؤي وهو  
ساجدٌ يقول : اللهم لا تُشِمِتْ بنا أعداءنا من الأمم  
واحفظُ فينا دعوة نبيِّنا - صلى الله عليه وسلم - وإن  
كنتُ أخذتُ العامة بلنبي فهذه ناصيتي بيدك (١) .

وكان المهدي يجبُ التحمُّام ، فأدخلَ عليه غِيَاثُ بْنُ  
إِبْرَاهِيم ، فقبل له : حدثتُ أميرَ المؤمنين وكان قد بلغه  
استهتارُ (٢) المهدي بالتحمُّام ، فقال : حدثتني فلانٌ عن  
فلان عن أبي هريرة - رفعه - أنه قال : « لا سَبَقَ  
إِلَّا فِي حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ أَوْ جَنَاحٍ » (٣) ، فأمر له بعشرة  
آلاف درهم . فلما قام ، قال المهدي ، وهو ينظرُ في  
قَفَا غِيَاثٍ : أشهدُ أن قَفَاكَ قَفَا كَذَّابٍ على رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - وإلَّمَا استجلبتُ ذلكَ أنا -  
وأمر بالتحمُّام فذُبِحَتْ .

• • •

---

(١) الناصية : قصاص الشر في مقدم الرأس . يريد : أمري بيدك ،

(٢) الاستهتار بالشيء : التولع به .

(٣) والحديث موضوع .

## الهادي (١)

اعتُشَّت أمُّه الخيزران (٢) ، فأراد الركوبَ إليها ،  
فقال عمرُ بن بزيع (٣) ألا أدُلُّكَ على ما هو أنفعُ  
من عيادتها ، وأجلبُ لعافيتها ؟ قال : بلى . قال :  
تجلس للمظالم ، فقد احتاج الناسُ إلى ذلك ، فرجع وجلس  
ووجهَ إليها : إني أردتُك اليوم ، فعرضَ من حقِّ الله  
ما هو أوجبُ ، فمِلْتُ إليه ، وأنا أجيئك في غدٍ إن شاء  
الله .

قال سعيد بن مسكُم الباهلي : صلَّى بنا الهادي صلاةَ  
الغداة فقراً : ( عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ) (٤) فلما بلغ قِوَاهُ  
تعالى : (( أَلَسُمُ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً )) أرْتَجِحُ

---

(١) موسى بن محمد المهدي بن المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ ، تولى  
الخلافة سنة ١٦٩ هـ .

(٢) الخيزران بنت عطاء جارية اشترأها المهدي ، وولدت له الهادي  
والرشيد .

(٣) عمر بن بزيع ، تولى ديوان زمام الأمانة في عهد المهدي ،  
وديوان الرسائل في عهد الهادي .

(٤) سورة النبا : ١ و ٦ .

عليه ؛ فردّها ولم يتجسّر أحدٌ أن يفتّحَ عليه لميئته ،  
وكان أهيّبَ الناسِ ، فعلمَ ذلك فقراً : (( أَلَيْسَ مِنْكُمْ  
رَجُلٌ رَشِيدٌ )) (١) ففتّحنّا عليه ، وكنا نعدُّ هذا من  
محاسنه .

\* \* \*

## الرَّشِيدُ (٢)

قال لحاجبه : احجُبْ عَنِّي مَنٌ إذا قعدَ أطال ،  
وإذا سألَ أمالَ ، ولا تَسْتَخِفَّنْ بِذِي الْحَرَمَةِ ،  
وقدّمُ أبناءَ الدعوةِ .

عرض له رجلٌ وهو يطوفُ بالبَيْتِ ؛ فقال : يا أميرَ  
المؤمنين ؛ إني أريدُ أنْ أَكَلِّمَكَ بِكَلَامٍ فِيهِ حُشُونَةٌ  
فاحتملته لي ، قال : لا ، ولا كرامةَ ، قد بعثَ الله من هو  
خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ مِنِّي ؛ فقال : (( فَقُولَا لَهُ  
قَوْلَا لَيْسْنَا )) (٣) .

(١) سورة هود : ٧٨ .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٤٨ هـ ، وتولى

الخِلافة سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .



ولما احتُضِر قال : واحياني من رسول الله !

ودعا بعبد الملك بن (١) صالح وعندهُ وُلاةٌ عندهِ  
وقوَّادُ جنُودهِ ؛ فجِئَ بهِ وهو يَرسُفُ في قَيدِهِ ،  
فلما مثل بين يدي الرشيدِ . قال الرشيدُ :

أريدُ حياتَهُ ويريدُ قَتْلِي

عذِيرَكَ مِينَ نَحْلِيكَ من مُرادِ (٢)

واللهِ لَتَكُنِّي أَنْظُرُ إلى شُؤْبُوبِهَا (٣) . وقد جمع (٤) ،  
وإلى عارضِها (٥) وقد جمع ، وإلى الوعيدِ قد أَوْرَى ناراً ؛  
فَأَقْلَعَ عن رُؤوسِ بلا غَلَاصِمِ (٦) ، ومَعَاصِمِ بلا  
بِراجِمِ (٧) ، مهلاً مهلاً بني هاشمٍ ، فبِئْسَ سُهْلَ لَكُمْ

(١) عبد الملك بن صالح العبَّاسي ، من أمراء العبَّاسين ، حبسه الرشيد  
سنة ١٨٧ هـ ، وأطلق الأَمين سراحه مات سنة ١٩٦ هـ .

(٢) البيت لمعرو بن معد يكرب .

(٣) الشُّبُوب : دُقنة المطر .

(٤) جمع المطر : سَال .

(٥) العارض : السحاب المترص في الأفق .

(٦) الغلاصم : جمع غلصمه وهي اللحمية بين الرأس والعنق .

(٧) البراجم : جمع برجمة وهي مفصل الإصبع .

الْوَعْرُ ، وصفاً لكم الكَدْرُ ، فَمَنْدَارٍ تَدَارٍ (١) من  
 حُلُولٍ دَاهِيَةٍ خِيوطٍ بِالْيَدِ ، لَتَبُوطٍ (٢) بِالرُّجُلِ .  
 فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أأتكلم فذّاً (٣) أو توأمًا ؟  
 فقال : بل فذّاً ، فقال : اتقى الله يا أمير المؤمنين فيما  
 ولّاك ، وراقبه فيما استرعاك ، ولا تجعل الشُّكْرَ  
 بموضع الكُفْرِ لقول قاتل يَنْهَسُ اللحمَ (٤) ، ويأْتِغُ  
 الدمَ ، فوالله لقد حدّدتُ القلوبَ على طاعتِكَ ، وذَلَّتْ  
 الرجالُ لمحبتِكَ ، وكنتُ كما قال أبو بني كلابٍ (٥) .  
 ومقامٌ ضيقٌ فَرَجَتْهُ

بياني ، ولساني ، وجدلُ  
 أو يقومُ القبلُ أو فيآلهُ  
 زلَّ عن مِثْلِ مَقَامِي وزحَلُ (٦)

- 
- (١) لذار : اسم فعل أمر بمعنى أنذر .  
 (٢) لبوط : صيغة مبالغة من لبط الأرض : ضربها برجله ضرباً  
 شديداً .  
 (٣) فذّاً : الفرد .  
 (٤) يهنس اللحم : ينزعه بالشفا بالأكْل .  
 (٥) لبهذ بن ربيعة .  
 (٦) زحل : تحول عن المكان .

فأمر به فَرُدَّ إلى مَحْبِسِهِ . ثم قال : لقد دعوت  
به ، وأنا أرى مكانَ السيفِ من صليفي قفاه (١) ، ثم  
هَآنَا قد رثيتُ له .

كتب الرشيدُ إلى الفضل بن يحيى : أطال الله يا أخي  
مُدَّتِكَ ، وأدامَ نعمَتَكَ ، والله ما متعني من إتيانك  
إلا التطيُّرُ من عبادتِكَ ، فاعلِمْ أخاك ، فوالله ما قلاك  
ولا سلاك ، ولا استبدل بك سيواك .

وعاتبته أم جعفر (٢) في تقرّيطه للمأمون ، دونَ  
محمد ابنها ، فدعا خادماً بحضرته ، وقال له : وجهُ إلى  
محمدٍ وعبد الله خادِمَيْنِ حصيفَيْنِ يقولان لكل واحد  
منهما على الخلوة : ما يفعلُ به إذا أفضت الخلاقة إليه ؟  
فأما محمدٌ فإنه قال للخادم : أقطِمْكَ وأعطيك ،  
وأقدِّمْكَ . وأما المأمون فإنه رمى الخادمَ بدواةٍ كانت  
بين يديه ، وقال : يا ابنَ اللُخْناء (٣) ، أتسألُنِي عما أفعلُ

---

(١) صليفي القفا : عرضه أو رأس الفقر التي تلي للرأس .

(٢) أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور تزوجها الرشيد  
سنة ١٦٥ هـ وهي أول سفيدة خليفة وزوج خليفة وأم خليفة تونيت في  
أيام المأمون سنة ٢١٦ هـ .

(٣) اللُخْناء : المستنة الرامحة .

بك يوم يموتُ أميرُ المؤمنين ، وخليفةُ ربِّ العالمين ؟  
إني لأرجو أن تكون جميعاً فداءً له .

فرجعا بالخَبَر ، فقال الرشيدُ لأم جعفر : كيف  
تؤمن ؟ ما أقدمُ ابنك إلاّ متابعاً لرأيك ، وتركاً  
للحزم .

وسايرَه يوماً عبدُ الملكِ بنُ صالح ، فقام رجل ،  
فقال : يا أمير المؤمنين ، طأطىء من إشرافِه (١) ،  
واشدُّه شكائمه (٢) ، وإلاّ أفسد عليك مملكتك . فقال  
الرشيدُ : يا عبد الملك ، ما هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ،  
ونافسُ رتبة أغضبه رضاك عني وباعدَه قُربك مني ،  
وساءَه إحسانك إليّ . فقال الرشيدُ : انْخَفَضَ القومُ  
وعَلَوَتهم ، فتوقَّلتُ في قلوبهم جَمرةُ التأسُّف ، فقال  
عبد الملك : أضرمَها الله بالتزيُّد عندك ، فقال : هذا  
لك ، وذلكَ لهم .

---

(١) الإشرافُ : العلو والارتفاع

(٢) الشكائم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة عن الفجاء ، المعترضة

في فم الفرس

كَانَ الْحَسَنُ الْوَلَوِيُّ (١) يَخْتَلِفُ إِلَى الْمَأْمُونِ ، يُلْقِي  
 عَلَيْهِ الْفَرَاثُصَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ لَيْلَةً وَقَدْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ،  
 فَجَعَلَ يُلْقِي عَلَيْهِ ، وَتَعَسَّ الْمَأْمُونُ فَأَطْبَقَ جَفَنَيْهِ ،  
 فَقَالَ الْحَسَنُ : أُنِمْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ — وَهُوَ إِذْ  
 ذَلِكَ صَبِيٌّ — فَقَالَ : عَامِي وَاللَّهِ لَمْ يُغْدَّ بِالْأَدَبِ ،  
 خَلَدُوا بِيَدِهِ وَلَا تُعِيدُوهُ إِلَيَّ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّشِيدَ ، فَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ زَهِيرٍ (٢) :

وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَةَ (٣) إِلَّا وَشَيْجُهُ (٤)  
 وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

وَصَعِدَ يَوْمًا الْمَنْبَرَ وَقَدْ شَفِيبَ الْجُنْدُ ، ثُمَّ سَكَنُوا  
 بَعْدَ لَيْقَاعٍ بِهِمْ ، فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَلَائِكَتِهِ  
 الْمُقَرَّبِينَ ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ .

(١) الْحَسَنُ بْنُ زِيَادٍ الْوَلَوِيُّ ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، تَلَفَهُ بِالْكُوفَةِ وَرَدَّهَ  
 إِلَى بَغْدَادٍ وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ .

(٢) الْمُرَادُ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى .

(٣) الْخَطِيئَةُ : الرَّمَاحُ ، نَسَبَ إِلَى خَطِّ الْبَحْرِيِّينَ .

(٤) الْوَشَيْجَةُ : عَرَقُ الشَّجَرَةِ .

أما بعد ، فقد كان لكم ذنبٌ ، وكان لنا عتْبٌ ،  
وكان منكم اضطِلامٌ<sup>(١)</sup> ، وكان منّا انتقامٌ . وعندى  
بعد هذا التنفيسُ عن المكرويين ، والتفريجُ عن المغمومين ،  
والإحسانُ إلى المحسنين ، والتَّغْمُدُ<sup>(٢)</sup> لإساءةِ المسيئين ،  
والأُكْفَرُ<sup>(٣)</sup> لكم بلاءٌ ، ولا يُحْبَسُ عنكم عطاءٌ ،  
وعليّ بذلك الوفاءُ إن شاء الله . ثم نزل .

قال سعيدُ بنِ سَلَمٍ : كان فهمُ الرشيدِ فهمَ  
العلماء . أنشده العُثماني<sup>(٤)</sup> في صفةِ فارس :

كَأَنَّ أَذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّقَا<sup>(٥)</sup>  
قَادِمَةً أَوْ قَلْبًا مُحَرَّقًا

فقال الرشيدُ : دَعُ كَأَنَّ ، وقُلْ : تخالُ أذنيه  
حتى يستويَ الشعر .

---

(١) اضطلم الشيء : اجتمع من بذوره .

(٢) التغمُد : السر ، وأصله من تخيئة السيف في غده .

(٣) يكفر : يجهل .

(٤) هو محمد بن ذؤيب الدارمي ، اشتهر بلقب العمالي ، ولم يكن

من صان ، شاعر رجاز متوسط من شعراء الدولة العباسية .

(٥) تشرف : نصب عتقه .

أُنشد النَّمْرِيَّ (١) الرّشيدَ شِعراً يقول فيه :

ليست كَأَسِيافِ الحُسَيْنِ ولا بِنِي  
حَسَنٍ ، ولا آلِ الزبيرِ الكُلِّ (٢)

فقال له الرشيد : وماتوا لَعَنَكَ (٣) بِذِكْرِ قَوْمِ  
لَا يَنَالُهُمْ ذَمٌّ إِلَّا شَاطَرْتُهُمْ لِيَا . قَدَّ رَأْبِي هَذَا مِنْكَ  
وَفِيكَ ، فَلَا تَعُدُّ لَهُ ، فَإِنَّمَا تَفَارِقُهُمْ فِي الْمَلِكِ وَحْدَهُ ،  
ثُمَّ لَا اقْتِرَاقَ فِي شَيْءٍ بَعْدَهُ .

قال الأصمعي : قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه  
على تَأْنِيسِي (٤) : يَا عَبْدَ الْمَلِكِ (٥) ، أَنْتَ أَحْفَظُ مِنَّا ،  
وَنَحْنُ أَعْقَلُ مِنْكَ . لَا تَعْلَمُنَا فِي مَلَأٍ ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَى

---

(١) منصور بن سلمة بن الزبرقان النزارى النسري ، شاعر من  
شعراء الدولة العبّاسية ، حبسه الرشيد حتّى أطلقه الفضل بن الربيع ، ومات  
في أيام الرشيد .

(٢) الكلل : جمع كال وهو السيف لا حد له ، أو الذي لا يقطع .

(٣) تولع بفلان : شغبه وذمه .

(٤) التأنيس : الطمأنينة .

(٥) هو عبد الملك بن قريب العلامة اللغوي الأغباري ولد سنة ٨١٣٨ ،

وتوفي سنة ٨٢١٦ .

تذكيرنا في خلاته ، واطرقنا حتى نثبتدركك بالسؤال ،  
 فإذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزدد ،  
 وإياك والبداءة إلى تصديقنا ، أو شدة العجب بما  
 يكون منا ، وعلمنا من العلم مانحتاج إليه ، على عتبات  
 المنابر ، وفي أعطاف الخطب ، وفواصل المخاطبات ،  
 ودعنا من رواية حوشي الكلام (١) وغرائب الأشعار ،  
 وإياك وإطالة الحديث إلا أن نستدعي ذلك منك .  
 ومتى رأيتنا صادقين (٢) عن الحق فأرجعنا إليه  
 ما استطعت ، من غير تقرير بالخطأ ، ولا إضجار  
 بطول الترداد .

قال : قلت : أنا إلى حفظ هذا الكلام أحوج مني  
 إلى كثير من البر .

### الأمين (٣)

قل لبعض العلماء : كيف كانت بلاغة الأمين ؟

(١) حوشي الكلام : شربه .

(٢) صادق عن الحق : أعرض .

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، ويوه له  
 بالخلافة سنة ١٩٣ هـ بعد وفاة الرشيد .



قال : والله لقد أتتهُ الخلافةُ يومَ جُمُعَةٍ ، فما كان إلاَّ ساعةً حتى نُودي : الصلاةُ جامعةً ، فخرجَ ورَقيّ المِنتَبرَ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وأثنى عليه . ثم قال :

أيُّهَا النَّاسُ ، وَخِصَّوْصاً يَا بَنِي الْعَبَّاسِ ، إِنَّ الْمُنُونَ مِرَاصِدُ ذَوِي الْأَنْفَاسِ ، حَتَمٌ مِّنَ اللَّهِ لَا يُدْفَعُ حُلُولُهُ ، وَلَا يُنْكَرُ نَزُولُهُ ، فَارْتَجِعُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الْحُزَنِ عَلَى الْمَاضِي إِلَى السُّرُورِ بِالْبَاقِي ، تُجْزَوْنَ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ ، وَتُعْطَوْنَ أَجُورَ الشَّاكِرِينَ .

فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ جُرْأَتِهِ ، وَبِلَّةِ (١) رِيقِهِ ، وَشِدَّةِ عَارِضَتِهِ (٢) .

وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : كَانَ يَقُولُ لِي الرَّشِيدُ : وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ لَكَ بِلَاغَةَ مُحَمَّدٍ ، وَأَنَّ عَلِيَّ غَرَمَ كَذَا وَكَذَا .

وَذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدًا فِي صِبَاهٍ كَانَ كَثِيرَ اللَّعِيبِ ، وَكَانَ الْمَعْلَمُ يُلْقِي عَلَيْهِ فِي الْكُتَّابِ ، وَعَلَى الْمَأْمُونِ ،

---

(١) بِلَّةُ اللِّسَانِ : انطباق الحروف على مخارجها .

(٢) شِدَّةُ الْعَارِضَةِ : كَثَايَةُ عَنِ الْقُوَّةِ .

وكان محمدٌ يلعبُ ويحفظُ ، والمأمونُ ينسى وهو مُقبِلٌ  
على العلم يقصِدُ قَصْدَهُ .

ذُكر أنه دعا يوماً عبدَ الله بن أبي عَقَّانَ ليصطحبَ ،  
فأبطأ فلما جاء قال : أظنُّكَ أَكَلْتَهُ . قال : لا والله .  
قال : والله لتصدقنَّ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فدعا  
بحكَّاءٍ فحكَّ أَضراسه السُّفلى ، فلما ذهبَ ليحكَّ  
العليا قال : يا أمير المؤمنين ، دعها لغضبةٍ أخرى ،  
فخلاه .

قال الفضلُ بنُ مروان (١) : سمعتهُ يقول في  
خطبته : الناسُ جميعاً آمنونَ إلاَّ أصحابَ الأهواء .  
وقال لكاتبٌ بين يديه : دعِ الإطنابَ ، والزمِ  
الإيجازَ ، فإنَّ للإيجازِ إفهاماً ، كما أنَّ مع الإسهابِ  
استيهاماً .

---

(١) الفضل بن مروان بن ماسرئيل ولد سنة ١٧٠ هـ أخذ البيعة  
للمتصم سنة ٢١٢ هـ ، وكان وزيراً عنه ، ألف بعض الكتب ، توفي سنة  
٢٥٠ هـ .

## المأمون (١)

وذكر أن الكسائي (٢) قام إليه يوماً -- وهو يُعلِّمُه -- وهو صغير -- فضربه . وقد كان صلياً ذلك اليوم قاعداً فقال المأمون : أما تستحي أيها الشيخ تصلياً لله قاعداً ، وتضربني قائماً ! .

قال بعضهم : قرأتُ كتابَ ذي الرياضين (٣) إلى المأمون ، وتوقيع المأمون فيه ، فإذا في الكتاب بعد الصَّدر والدعاء :

إنَّ قَارِئاً قرأ البارحة : « وقلن نسوة في المدينة » (٤)

---

(١) عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون ، ولد سنة ١٧٠ هـ من أم ولد ، ولي الخلافة سنة ١٩٨ هـ وكان عصره من أزهى عصور الثقافة العربية توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٢) هو إمام النحو ، وعالم القراءات واللغة علي بن حمزة الأسدي ، رأس النحويين في الكوفة كما كان سيبويه في البصرة ، وكان مؤدباً للأمين والمأمون توفي سنة ١٨٩ هـ .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخي ، لقب بذي الرياضين لأنه جمع بين رياضي القلم والتدبير أو لأنه جمع بين رياضي الحرب والتدبير .

(٤) الآية : ( وقال نسوة في المدينة . . . ) سورة يوسف : ٢٠ .

فأنكرنا ذلك عليه ، لحدّ كَرَّ أنْ الكسائيُّ أجازَه ، وكتاب  
الله لا يأتِيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، فردّدنا  
علمَ كتابِ الله إلى خليفته .

قال : وإذا توقيحُ المأمون فيه : عمّرك الله — ذا  
الرياستين — طويلاً في طاعته ، وجعلك قائماً بأمر دينه ،  
ذائباً عن حريم أمّيه ، إنَّ لكلِّ علمٍ دستوراً ، ودستورُ  
هذا العلمِ القرآنُ ؛ فعليك بقراءته على ما أجمِعَ عليه ،  
ولا تلتفتِ إلى مختارٍ قولاً ليعقد له رياسةً ، والسلام .  
كتب المأمونُ إلى طاهرٍ لما قتل عليّ بن عيسى (١)  
في رسالة طويلة :

إنّما لك من هذا الأمرِ موقعُ السَّهمِ من الرَّمِيَّةِ ،  
والسَّديدُ والرأيُ . والتدبيرُ لأبي العباسِ الفضلِ بن سهل .  
وكان يقولُ : إذا رُفِعتِ المائدةُ من بين يديه :  
الحمدُ لله الذي جعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا (٢) .

وقال : ما انفَتَقَ عليّ قط إلا وجدتُ سببه  
جورَ العمال .

---

(١) علي بن عيسى بن ماهان ، من نواد المباسين ، وقائد جيش الأمين .

(٢) اجعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا : زائدة عنها .

وقال : أهلُ السُّوقِ سُفُلٌ ، والصَّنَاعُ أُنْدَالٌ ،  
والتجار بخلاء ، والكتابُ ملوكٌ على الناس .

وقيل له : ليس في السَّرَفِ شَرَفٌ ، فقال : ليس  
في الشرفِ سَرَفٌ .

وقال يوماً لبعضهم : متى قدمْتَ ؟ قال : بعد غدٍ  
يا أمير المؤمنين . فقال : بيني وبينك بَعْدُ مرحلتان .

وقال لعبد الله (١) بن طاهر : تَشَبَّهْتُ ، فإنَّ  
اللهَ قد قطعَ عَذْرَ العَجُولِ ، بما مَكَّنَّه من التَّشَبُّه ،  
وأوجبَ عليه الحُجَّةَ على القَلْق ، بما بَصَّرَه مِن  
فَضْلِ الأَنَاة . فقال ابنُ طاهر : أأَكْتبه ؟ فقال : نعم .

قالوا : لما وجدَ عمرُ بنُ فرج (٢) كتاباً من أهل  
الكَرَّخِ (٣) إلى علي بن محمد بن جعفر بن محمد (٤) —

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخراسي ولد سنة ١٨٢ هـ ،  
رلى الشام ومصر سنة ٢١١ هـ ، ثم ولي خراسان وبها توفي سنة ٢٣٠ هـ .

(٢) عمر بن فرج الرعجي من أعيان الكتاب في أيام المأمون .

(٣) المراد به كرخ بغداد ، بناء الممتصم لتجار ، وجمله سوقاً  
لبغداد ورتبهم فيه .

(٤) هو علي بن موسى بن جعفر أحد أئمة البيعة الإمامية ، توفي

سنة ٢٥٢ هـ .

رضي الله عنهم — جاء به إلى المأمون ، فقال المأمون :  
نحن أولى من ستر هذا ولم يُشيعه . ودعا عليّ بن محمد ،  
فقال له : قد وقفنا على أمرك ، وقد وهبنا ذلك لعلّي  
وفاطمة — رضي الله عنهما — فاذهب ، وتخيّر ما شئت  
من الذنوب ، فإننا نتخيّر لك مثل ذلك من العفو .

رفع الواقدي (١) قصة إليه يشكو غلبة الدين ،  
وقلة الصبر ، فوقع المأمون عليها : أنت رجل فيك  
خلتان : السخاء والحياء ، فأما السخاء ، فهو الذي أطلق  
ما في يدك ، وأما الحياء فبلغ بك ما أنت عليه ، وقد أمرنا  
لك بمائة ألف درهم . فإن كنّا أصبنا لإرادتك فازدّد  
في بسط يدك ، وإن كنّا لم نصيب لإرادتك فبجنايتك  
على نفسك . وأنت كنت حدثني ، وأنت على قضاء  
الرشيد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن  
مالك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال للزبير :  
« يَا زُبَيْر ، إِنَّ مَفَاتِيحَ الرِّزْقِ بِلِزَامِ الْعَرْشِ ، يُنْزَلُ

---

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد ، من المؤرخين ، وحفاظ  
الحديث تولى القضاء ببغداد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٧ هـ .

اللَّهُ لِلْعِبَادِ عَلَى قَدَرِ نَفَقَاتِهِمْ ، فَنْ كَثُرَ كَثُرَ لَهُ .  
وَمَنْ قَلَّ قَلَّ لَهُ .»

قال الراقي : وَكُنْتُ أَنْسِيْتُ هَذَا الْحَدِيثَ ؛ فَكَانَتْ  
مَذَاكِرُهُ إِيَّايَ بِهِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ صَلَاتِهِ .

وقال المأمون : الطعامُ لونٌ واحدٌ . فإذا استطبَّته  
فاشبعَ منه . والندمانُ واحدٌ ، فإذا استطبَّته فاستزدهُ  
حتى تقضي وطركَ منه .

وذكر أنَّ إبراهيمَ بنَ المهدي دخلَ على المأمون ،  
وبين يديه صاعٌ رطبٌ ، فقال : ادنُ فكلْ . فقال :  
يا أميرَ المؤمنينَ على ما بي ؟ وكان وجعَ العينِ ؛ فقال :  
ويحك ولا تهَبْ عينك للرطبِ .

ودخلَ إليه الطبيبُ فشكا إليه وجعَ الأسنانِ ؛ فقال :  
يا أميرَ المؤمنينَ لا تأكلِ الرطبَ ولا تشربِ الماءَ بثلجٍ ؛  
فقال : لولاهما ما أردتُك .

وَقَعَ المأمونُ في قصةٍ مُتَظَلِّمٍ مِنْ أَبِي عِيسَى بْنِ

الرشيدي (١) : ( فإذا نُفِخَ في الصورِ فتلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ) (٢) .

وتظلم إليه قوم من قاضي جبَل (٣) ، ودكروا أنه بعض رؤوس الخصوم ، فوقع في قصتهم : يُشْتَقُّ (٤) إن شاء الله .

وقال : من أراد أن يطيبَ عيشه فليدفع الأيامَ بالأيامِ .  
قال العباسُ بن المأمون (٥) لغلامه : إن رأيتَ في الرُصَافَةِ بَقْلاً حسناً فاشترِ لي منه بنصف درهم . فقال المأمونُ : أمّا إذ عرفتَ أنَّ للدرهم نصفاً فوالله لا أفلحتُ أبداً .

---

(١) أبو عيسى هو أحمد بن الرشيد ، أمه بربرية ، كان أديباً ظريفاً وله شعر .

(٢) سورة المؤمنون ، ١٠١ .

(٣) جبل بليد بين النعمانية وواسط ، كانت مدمة كبيرة وينسب إلى قاضيها في أيام المأمون ما يدل على ضعف عقله .

(٤) يشنق : يؤخذ منه الشنق وهو الأرض ما دون الدبة من العقائل الصغار .

(٥) العباس بن المأمون ، ولاء أبوه الخليفة سنة ٢١٣ هـ .



قال يحيى بن أكرم : ما شئتُ المأمون في بستانه ،  
ويده في يدي : فكان في الظل\* ، وأنا في الشمس . فلما  
بلغننا ما أردنا . ورجعنا صرتُ أنا في القيء وصارَ هو  
في الشمس : فندرتُ أنا إلى الشمس ؛ فقال : ليس هذا  
بإنصاف ، كما كنتُ أنا في القيء ذاهبا . فكانتُ أنت  
في القيء راجعا .

وخطب بمرو - وقد ورد عليه كتابُ الأمين  
يُعزيه بالرشيد ، ويحثُّه على أخذِ البيعة له - فقال :

إنَّ ثمرة الصبرِ الأجرُ ، وثمرَةُ الجزعِ الوزرُ ،  
والتسليمُ لأمرِ الله جلَّ وعزَّ فائدةٌ جليلةٌ ، ونجاةٌ  
مُربحةٌ ، والموتُ حوضٌ مورودٌ ، وكأسٌ مشروبٌ .  
وقد أتى على خليفَتكم - رضي الله عنه - ما أتى على  
نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ،  
فما كان إلا عبداً دُعيَ فأجابَ ، وأمرَ فأطاع ، وقد  
سدَّ أميرُ المؤمنين ثلثته (١) وقام مقامه ، وفي أعناقكم  
من العهدِ ما قد عرَفْتُم ؛ فأحسنُوا العزاءَ عن إمامكم  
الماضي ، واغبطوا بالنعماء بالوفاء لخليفَتكم الباقي . يا أهلَ

---

(١) الطلحة : الخلل .

نَحْرَ أَمَانٍ : إِنَّ الْمَوْتَ نَازِلٌ ، وَالْأَجَلَ طَالِبٌ ، وَأَمْسِرْ  
وَاعْظُ ، وَالْيَوْمَ مَغْتَمٌ ، وَغَدًا مَنْتَظَرٌ . ثُمَّ نَزَلَ .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ عَقَالٍ يُشْتَقِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
طَاهِرٍ ، فَوَقَعَ الْمَأْمُونُ فِي كِتَابِهِ : عَبْدُ اللَّهِ كَمَا ذَكَرْتَ ،  
وَعَلَى أَكْثَرِ مَا وَصَفْتَ . قَدْ حَمَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَاحْتَمَلَ ،  
وَأَثَقَلَهُ فَاضْطَلَعَ .

كَانُوا يَسْمُونُ أَرْصَادَ السُّلْطَانِ الْمَسَالِحَ مِنَ السَّلَاحِ ،  
فَكَرِهَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ فَصَيَّرَهُ الْمَصَالِحَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ .

وَقَالَ : إِذَا أَصْلَحَ الْمَلِكُ مَجْلِسَهُ ، وَاخْتَارَ مِنْ  
يُجَالِسُهُ صَالِحَ مُلْكِهِ كُلِّهِ .

وَرَفَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ قِصَّةً إِلَيْهِ يَشْكُونَ عَامِلًا ؛  
فَوَقَعَ : عَيْنِي تَرَاكُمُ ، وَقَلْبِي يَرْعَاكُمُ ، وَأَنَا مَوْلٌ  
عَلَيْكُمْ ثِقَتِي وَرِضَاكُمُ .

وَشَغِبَ الْجُنْدُ فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ؛ فَوَقَعَ : لَا يُعْطَوْنَ  
عَلَى الشَّغْبِ ، وَلَا يُحَوَّجُونَ إِلَى الطَّلَبِ .

قَالَ بِحَبِيءُ بْنُ أَكْثَمَ : لَمَّا أَرَادَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَزُوجَ عَلِيَّ

ابن موسى (١) ، قال لي : يا يحيى تكلم ، فهبت أن  
أن أقول أنكحت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت  
الحاكم الأكبر وأنت أولى بالكلام ، فقال :

الحمد لله الذي تصاغرت الأمور لمشيئته ، ولا  
إله إلا الله ، إقراراً برؤيته . وصلى الله على محمد  
عند ذكره .

وأما بعد ، فإن الله تعالى جعل النكاح سنة  
الأنام ، وفصلاً بين الحلال والحرام ، وإني قد زوجت  
ابني مفضل من علي بن موسى الرضا ، وقد  
مهرتها عنه أربعمئة درهم .

وقال المأمون : تمام النعمة أن تستتم بلزوم  
شكرها ، وأول منازل الشكر ألا يتوصل إلى معصية  
منعم بفضل نعمته .

قال أحمد بن أبي دؤاد (٢) : قال لي المأمون :

---

(١) علي بن موسى بن جعفر الملقب بهل الرضا ، ولد سنة ٨١٤٨ هـ ،  
وتوفي سنة ٨٢٠٣ هـ .

(٢) أحمد بن أبي دؤاد القاسمي ، ولد سنة ٨١٦٦ هـ ، كان مسلماً  
للعلم وتوفي سنة ٨٢٤٦ هـ .

لا يستطيع الناس أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم ،  
ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحُماهم  
وكفائهم ، وبين صنائعهم وبطانتهم ، وذلك أنَّهُم  
يَرَوْنَ ظاهراً حُرمةً وخِدمةً ، واجتهاداً ونصيحةً ،  
ويرون إيقاعَ الملوكِ بهم ظاهراً ، حتى لا يزال الرجلُ  
يقولُ : ما أوقعَ به إلا رغبةً في ماله ، وإلا رغبةً فيما  
لا تجودُ النفوسُ به ، أو لعلَّ الحسدَ والملافةَ ، وشهوةَ  
الاستبدالِ اشتركتُ في ذلك . وهناك جنایاتٌ في صُلُبِ  
الملك ، أو في بعضِ الحُرْمِ لا يستطيعُ الملكُ أن يكشفَ  
للعامة موضعَ العورةِ في الملك ، وأن يحتجَّ لتلك العقوبة بما  
يستحقُّ ذلك الذنبُ ، ولا يستطيعُ تركَ عقابه ، لما  
في ذلك من الفسادِ على علمه بأنَّ عذره غيرُ مبسوطٍ عند  
العامة ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصة . .

ونزل رجلٌ فعدا بين يديه ، فأشار بيده أنْ حسبك ؛  
فقال له بعضُ من كان بقُربِ المأمون : اركبْ .  
فقال المأمونُ : لا يقالُ لمثلِ هذا : اركبْ ، إنما يقالُ  
لهُ : انصرفْ .

تحدث المأمون يوماً ، فضحك إسحاقُ بنُ إبراهيم  
المُصنعي (١) ؛ فقال :

يا إسحاقُ ، أوهيلُكَ لشرطتي ، وتفتحُ فاك من  
الضحك ؟ ، خذُوا سوادهَ وسيفه ، ثم قال : أنتَ  
بالشرابِ أشبهُ ، ضعوا منديلا على عاتقه ؛ فقال إسحاقُ :  
أقبلني يا أمير المؤمنين . قال : قد أقلتكَ . فما ضحك  
بعدها .

\* \* \*

## المُعْتَصِمُ (٢)

لما أقطع المعتصمُ أشناساً (٣) ضياعَ الحسنِ بن  
سهل ، وجهه الحسنُ بقبالاتها (٤) إلى أشناس ، وكتبَ إليه :

- 
- (١) إسحاق بن إبراهيم المصنعي صاحب الشرطة أيام المأمون -  
والمعتصم والواثق والمتوكل - كان صارما ، وتوفي سنة ٨٢٣٥ .
- (٢) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ٨١٧٩ ، وتولى الخلافة  
سنة ٨٢١٨ ، كان شجاعا قويا ، بنى مدينة سمر من رأى وبها توفي سنة ٨٢٥٧ .
- (٣) أبو جعفر أشناس ، من القواد ، ولاه المعتصم مصر سنة ٨٢١٩ ،  
اشترك في فتح صورية ، وتوفي سنة ٨٢٣٦ .
- (٤) القبالات : الضمانات والكفالات .

كَلَمْ عَرَفْتُ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِخْلَاصِكَ بِهِذِهِ  
الضِّيَاعِ ، وَأُحِبُّتُ أَلَّا تَعْرِضَ عَلَيَّ عَقَبِيكَ عُنُقِي ،  
فَأَنْفَذْتُ لَكَ قَبَالَاتَهَا مَعْتَدًا فِي قَبُولِكَهَا بِإِسْبَاحِ النِّعَةِ  
عَلَيَّ ، وَادْخَالِ الشُّكْرِ لَدَيَّ ، وَمُقَرَّبًا بِهِ إِلَى سَيِّدِي أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ، فَرَأَيْكَ فِي الْإِمْتِنَانِ عَلَيَّ بِقَبُولِهَا مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ أَنْفَذَهُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ ، فَوَقَعَ فِيهِ :  
ضَمِيمٌ فَصِيرٌ ، وَسُلَيْبٌ فَعَذَرٌ ، فَلِيْقَابِلُ الشُّكْرِ عَلَى  
صَبْرِهِ ، وَبِالْإِحْسَانِ عَلَى عُدُوِّهِ . وَتُرَدُّ عَلَيْهِ ضِيَاعُهُ ،  
وَيُرْفَعُ عَنْهُ خَرَاجُهُ . وَلَا أَوْامِرَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .

قَالَ كَاتِبُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ : لَمَّا ثَقُلَتْ الْمُعْتَصِمُ  
الْخِلَافَةَ عَرَضَتْ لَهُ ، فَتَرَجَّاتٌ . فَلَمَّا بَصُرَ بِي ، قَالَ :  
هَذَا الْمَجْلِسُ الَّذِي لَمْ تَنْزَلْ أَكْثَرَهُ النَّاسَ بِحُلُولِي بِهِ .  
قَالَ : فَتَحِيرْتُ ، وَلَمْ أُدْرِ مَا أَقُولُ ، ثُمَّ عَنْ (٢) لِي أَنْ  
قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ تَعْفُو عَمَّا تَسْتَبِقُنَّهُ .

---

(١) يُلَامِرُ فِي الشَّيْءِ : يَسْتَشَارُ فِيهِ .

(٢) عَنْ لَهُ خَاطِرٌ : عَرَضَ لَهُ .

فكيف نُعاقِبُ على ما تتوهمُه ؟ قال : فقال : لو أردتُ  
عقابكَ لتركْتُ عِتَابَكَ .

وكان سببُ خروجهِ إلى « سرِّ مَنْ رأى » (١) أنْ  
علمان الأتراك . كثُرُوا ببغداد فتولَّعوا (٢) بحُرْمِ الناسِ  
وأولادِهِمْ ، فاجتمع إليه جماعةٌ منهم ، فقالوا : يا أميرَ  
المؤمنين ؛ ما أحبُّ إلينا مجاورةَ منك ، لأنك الإمامُ  
والمحامي عن الدين ، وقد أفرطَ غِلْمَانُكَ ، فلما منعتهُم  
منَّا ، ولما نقلتَهُم عنَّا . فقال : نقلُهُم لا يكون إلا  
بنقلِي ، ولكي أفتقِدُهُمْ ، وأزيل ما شكوتُمْ .

فنظر فإذا الأمرُ قد زادَ وعظُم ، وخاف أن يقعَ  
بينهم حربٌ ، وعاهدُوهُ بالشكوى ، وقالوا : إن قدرتْ  
على نصفَتنا (٣) ، وإلا فتحولَ عنَّا . فقال : أتحوّلُ  
وكرامةً فرحلَ إلى سرِّ مَنْ رأى ، واتخذَهَا داراً .

---

(١) سر من رأى : كانت موجودة قبل المتصم ، واسمها سامرا ،  
عمرها المتصم وسماها : سر من رأى ، وتسمى أيضا سامراء ، وسر من  
راء ، وهي على نهر دجلة .

(٢) تولع بعرض فلان : قذف فيه .

(٣) النصفة والإنصاف بمعنى واحد .

وكان يقولُ : الفضلُ بنُ مروانَ عصى اللهَ  
— عز وجل — وأطاعني ، فسلبني الله عليه .

وذكر أنه كان معه غلامٌ في الكتاب يتعلمُ معه ،  
فمات الغلام ، فقال له الرشيد : يا محمد ؛ مات غلامُك .  
قال : نعم يا سيدي ، واستراح من الكتاب فقال الرشيدُ :  
وإن الكتابَ ليبلغُ منكَ هذا المبلغَ ، دَعُوهُ إلى حيث  
انتهى ، ولا تعلِّمُوهُ شيئاً ؛ فكان يكتبُ كتاباً ضعيفاً ،  
ويقرأ قراءةً ضعيفةً .

حكى عن الفضل بن مروان أنه قال : والله لقد كان  
المعتصم مؤيداً من عند الله في أموره كلها ؛ لقد رجع  
يوماً من محاربة الروم ، وقد سهر ليلتهُ وبقي إلى العشاء ،  
ولم يَطْغَم ولم يشرب ؛ فدخل إلى المأمون فعرَّفه خبره ،  
فبينما هو يخاطبه إذ صيح : السلاح السلاح ، واستفحل  
أمرُ الروم ؛ فقال له المأمونُ : ارجع يا أبا إسحاق إلى  
موضعك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . أمضي إلى مضربي  
وأركبُ من ثَمَّ (١) ؛ فكان المأمونَ كره هلامه ،

---

(١) ثم ( بفتح التاء وتشديد الميم ) هناك .



وَنَكَّسَ رَأْسَهُ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ تَأْنِيْهُ لِأَمْرِهِ ، فَفُطِنَ  
 الْمُعْتَصِمُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :  
 (( كِتَابًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَسَاطِنٌ لِّسَانُهُ )) (١)   
 وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَالِي مِنَ الدَّوَابِّ إِلَّا أَرْبَعٌ ، وَمِنَ الْغِلْمَانِ  
 إِلَّا أَرْبَعَةً ، وَإِنِّي لَأَقِفُ عَلَى بَابِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ سَائِرَ  
 يَوْمِي ، أَتَمَنَّى أَنْ يَأْتِرَنِي بِأَمْرٍ أَنْفُذٍ فِيهِ ، وَلِي مِنْ كُلِّ  
 هَذَا الْيَوْمِ أَلُوفٌ لِّتَفْضُلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يَأْتِرُنِي  
 بِأَمْرٍ فِيهِ شَرَفِي فَأَشْتَرِطُ عَلَيْهِ . أَنَا أَمْضِي مِنْ وَجْهِ هَذَا  
 عَلَى هَيْئَتِي هَذِهِ .

فَضَحِكَ الْمُؤْمِنُونَ وَقَالَ : اأَدْنُ إِلَيَّ ، فَلَدْنَا إِلَيْهِ ،  
 فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ بِالظَّفَرِ ، وَخَرَجَ .

• • •

## الْوَائِقُ (٢)

قِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَادِي رَكِبَ الْمُعْتَصِمُ

---

(١) سورة العلق : ٧ و ٦

(٢) الواثق بالله هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ ، وَلَدَ سَنَةِ ٢١٠ هـ ، وَلِي

الْخِلَافَةَ سَنَةَ ٢٢٧ هـ ، وَمَاتَ بِسَرٍّ مِنْ رَأْيٍ سَنَةَ ٢٣٢ هـ .

حتى صلّيت عليه ، ثم قال للوائق : أقيم يا بني حتى  
تُجِنّه (١) . وقيل : بل لم يُصلّ عليه تَجَرُّحاً ، وأمر  
الوائق بالصلاة عليه ؛ فسأل عن وصيته ، فوجدّه قد  
أمر بمالٍ عظيم أن يُفَرَّق على أولاد الصحابة كلهم ،  
إلا أولاد علي رضي الله عنه ؛ فقال الوائق : والله لولا  
طاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه ، ولا انتظرت دَفَنَه .  
ثم انصرف وهو يقول : يَنْحَرِفُ عن شرفه وخير  
أهله ! والله لقد دلّيت في قبره كافراً ، وأمر ففُرِّق  
في ولد علي رضي الله عنه - مالا فاضلاً ؛ فأصاب  
كل رجل منهم ضعف ما أصاب غيرهم من وصيته .

نظر الوائق إلى أحمد بن الحصب (٢) يمشي  
فهمّل :

مِنْ النَّاسِ لِنَسَائِنِ دَيْئِي عَلَيْهِمَا  
مَلِكَيْنِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَنِي

---

(١) تجنه : تنزه والمراد : تدفنه وتواريه في القبر  
(٢) أحمد بن الحصب وزير للمتصر والمعتن ، نفى إلى المغرب ،  
وتوفي سنة ٨٢٦هـ .

خزيلي ، أمّا أمّ عمرو فمتهما  
 وأمّا عن الأخرى فلا تسلّاني (١)  
 قال : فبلغ ذلك سليمان بن وهب ، فقال : إنّ الله ،  
 أحمد بن الحبيب أمّ عمرو ، وأنا الأخرى ، فنكبهما  
 بعد أيام .

غنى مخارق (٢) في مجلس الواثق :  
 أظلم ، إنّ مصائبكم رجل  
 أهدى السلام ببحكم ؟ ظلم (٣)  
 فغناه « رجل » فتابعه بعض ، ونحاله آخرون ،  
 فسأل الواثق عن بقي من رؤساء النحويين بالبصرة ،  
 فذكر له أبو عثمان المازني ، (٤) قال : فأمر بحملي ،

---

(١) البيتان لابن الدمينه .

(٢) مخارق بن يحيى ، كان مولى ، اعتقه الرشيد ، أحد الحاذقين  
 في الغناء ، وأول من أدخل أنشادا فارسية على النغم العربي مات في خلافة  
 المتوكل ، وقيل في آخر خلافة الواثق .

(٣) البيت للحارث بن حنبل المخزومي .

(٤) أبو عثمان بكر بن محمد المازني ، إمام من أئمة النحويين بالبصرة  
 له تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٨٢٤٩ .

وليزاحة عليّني فلما وصلتُ إليه وسلّمتُ قال : ميمّن الرجلُ ؟ قلتُ : من بني مازن . قال : أمين مازن قيس ، أم مازن تميم ، أم مازن ربيعة ، أم مازن اليمن ؟ فقلت : من مازن ربيعة . فقال لي : بآاسمك ؟ يريدُ : ما اسمك قال : وهي لغةٌ كثيرةٌ في قومنا ، فقلتُ على القياس : مكرٌ ، أي : بكرٌ ، يا أمير المؤمنين ؛ فضحك وقال : اجلس واطبّئن . فجلستُ ، فسألني عن البيتِ ، فأنشدته :

أظلمُ ، إن مصابكم رجلاً .

فقال : أين خبرُ إن ؟ قلتُ : ظلمُ . أما ترى يا أمير المؤمنين أن البيتَ كلّهُ متعاقٍ بهٍ ، لا معنى له حتّى يتم بهذا الحرفِ ، إذ قال :

« أظلمُ إن مصابكم رجلاً أهدى السلامَ إليكم » .

فكأنهُ ما قال شيئاً ، حتّى يقولَ : ظلم . قال : صدقت . ألك ولدٌ ؟ قلتُ : بُنيّةٌ . قال : فما قالت حين ودّعتهَا ؟ قلتُ : أنشدتُ شعرَ الأعشى :

نقولُ ابنتي حينَ جدِّ الرِّحيلِ  
أرأيتا سواءَ ومن قَدِ يَتِمُّ  
أبانا - فلا رِمْتَ (١) من عندنا  
فإنَّا بخيرٍ إذا لَمْ تُسِرِّمُ  
قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قول جرير :

ثقي باللهِ ليسَ لهُ شريكُ  
ومِنَ عِندِ الخليفةِ بالنجاحِ  
فقال : تيقُ بالنجاحِ إن شاء اللهُ . ثم أمر لي بألفِ  
دينار وكسوة وطيب .

وكان الواثقُ عالماً بكلِّ شيءٍ ، وله صنعة حسنة  
في الغناء ، وكان يُسمَّى المأمونَ الصغيرَ ؛ لأدبِهِ وفضلِهِ ،  
وكان المأمونُ يجاسه ، وأبوه المعتصمُ واقفٌ . وكان  
يقول : يا أبا إسحاق لا تُؤدِّبَ هارونَ ، فإنِّي أَرْضِي  
أدبَهُ ، ولا تعترضُ عليه في شيءٍ يصعَلُهُ .

» « «

---

(١) دام عن المكان يريم : نحول .

## المُتَوَكِّلُ (١)

قال يزيدُ المهلبِي (٢) : أنسَ بي أميرُ المؤمنينَ في  
سبعةِ أيامٍ فوق أنسِ محمدٍ (٣) كان بي في سبعِ سنينَ .  
فقال : إنما أنستُ بكَ في سعةِ أيامٍ لأنسَ محمدٍ كان  
بيكَ في سبعِ سنينَ .

قيل للمتوكل : لم لا تقلدَ الحسنَ بنَ وهبٍ (٤)  
ديوانَ الرسائل . قال : أخافُ أن يحيفنَ في الديوانِ .  
قال علي بن يحيى : تغدَّيت مع المتوكل ، فقدَّم  
لوني كان أشتهاهُ ، فوجدت فيه ذُبَابَةً ، فألقاها وأكلت ،  
ثم وجد أخرى وأخرى ، فلما رُفِع من بين يديه قال :

---

(١) المتوكل هو جعفر بن محمد المصم ، ولد سنة ٢٠٦ هـ ، وتول  
الخلافة سنة ٢٣٢ هـ ، وأراد قتل قمرها إل دمشق ، ولكنها لم تطلب له ،  
فأد إلى سر من رأى .

(٢) يزيد بن محمد ، من أولاد المهلب ، ساعر ، اتصل بالمتوكل  
ومدحه ، توفي ببغداد سنة ٢٥٩ هـ .

(٣) المراد بمحمد : المتصر ابن المتوكل

(٤) الحسن بن وهب بن سعيد كاتب شاعر ، كان وجيهاً سورياً ،

ومات سنة ٢٥٠ هـ

أعيذوا علينا هذا اللونَ غداً ، وليكن أقل ذباباً مما هو  
اليوم ! !

قال إبراهيم بن المديّر (١) ، قال المتوكلُ : إذا خرجتُ  
توقّعي لايك بما فيه مصلحةٌ للناس ، ورفقٍ بالرعيةِ  
فأنفذه ، ولا تراجمني فيه ، وإذا خرج بما فيه حيفٌ (٢)  
على الرعية فراجعني ، فإنّ قلبي بيدِ الله عزّ وجلّ .  
بلغ المتوكلُ أنّ أحمدَ بن حمدونَ النّديمَ يحملُ  
ريّقاعَ الفتحِ إلى خادميه فائري ، فأعدّ له حجاماً ،  
وأوصاه بما يريدُ ، فلما جلسَ أحمدُ مع الجلّساء قال :  
يا أحمدُ ، ماجزأُ منْ أفسدَ غُلامَ فتى ؟ قال : تُقْطَعُ  
أذُنُهُ ، فدعا بالجامِ فقطعَ من أذُنِهِ قطعةً ، وإنما قال  
به هذا لأنّه كان يحدثُهُ كثيراً بحديثِ الفتيانِ والعيارينِ  
ويتنادرُ بذلك بين يديهِ ، ثم نفاه إلى بغداد إلى أن كلفه  
الفتحُ فيه ، فرصيّ عنه .

• • •

---

(١) إبراهيم بن المديّر ، شاعر كاتب ، كان المتوكل يحبّه ويقرّبه ،  
ثم أفلت عليه وحسّه مدة ثم أطلقه . مات سنة ٢٧٠ هـ  
(٢) الحيف : الظلم والجور .

## الْمُنْتَصِرُ (١)

قال : لذّةُ العفوِ أطيبُ من لذّةِ التّشفي ، وذلك لأنّ لذّةَ العفوِ يلحقها حمدُ العاقبة ، ولذّةُ التّشفي يلحقها ذمُّ النّدَم .

ولما تمت له البيعةُ كان أولَ شيءٍ عمله أن عزَلَ صالحَ بنَ عليٍّ عن المدينة ، وولّاها عليّ بنَ الحسينِ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ بنِ محمّدٍ ، وقال له : إنّما وليتُكَ لتخلُفني في برِّ آلِ أبي طالبٍ ، وقضاءِ حوائجهم ، ورفعها إليّ ، فقد نالتهم جفوةٌ ، وخُذْ هذا المالَ ففرّقْه على أقدارهم .

فقال له عليّ بنُ الحسينِ : سأبلُغُ بعونِ الله رضا أميرِ المؤمنين ، فقال : إذا تسعدُ بذلكَ عندَ اللهِ وعندي . قال بعضهم : سمعتهُ يوماً وهو يناظرُ قوماً : واللهِ لا عزَّزَ وفَرَّ باطلٍ ، ولو طَلَعَ من جبينهِ القَمَرُ ، ولا ذَلَّ ذو حقٍّ ، ولو كان العالمُ عليه .

---

(١) هو محمد بن جعفر المتوكل ، ولد سنة ٢٢٣ هـ ، تولى الخلافة بعد قتل أبيه سنة ٢٤٧ هـ ، توفي في السنة نفسها بعد ستة أشهر من ولايته .



قال بعضهم : سمعتُ بُغا الكبير (١) يقول : مامشيتُ  
 بينَ يدي خليفة أهيبَ من المنتصر ، وقد كان مَشِييَ  
 بينَ يدي المأمونِ ، والمعتصمِ ، والوائقِ والمتوكلِ .  
 قال أحمدُ بن الحُصيب : سمعتُ المنتصرَ لَمَّا عفا  
 عن الشاري (٢) يقول : أحسنُ أفعالِ القادرِ العفوُ ،  
 وأقبحُها الانتقامُ .

• • •

### المُسْتَعِينُ (٣)

قيل : لما جيء بكتاب الخلع إليه ، وقيل له : وقع  
 بخطك فيه ، أخذ الكتابَ فابتدأ ابنُ أبي الشَّواربِ يُحلي  
 عليه ، فقال له المستعين : أمسيك عافاك الله ، ثم كتب :  
 أقرَّ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ أميرِ المؤمنين المعتصمِ  
 بالله : « أنه قد بايعَ أبا عبدِ الله المعتزَّ بالله ، هذه البيعة »

---

(١) بُغا الكبير : أسد قواد الترك ، كان قائدا للمعتصم والوائق والمتوكل والمنتصر ، مات سنة ٥٢٤٨ .

(٢) الشاري : نسبة إلى الشراة ، إحدى فرق الخوارج .

(٣) هو أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٥٢٢٩ ، ولما  
 أترك الخلافة سنة ٥٢٤٨ ، ثم خلعه وقلوه سنة ٥٢٥٢ ، وكان عهده  
 عهد فتن واضطراب .

المنسوخة في هذا الكتاب ، مُوجِباً على نفسه كل ما فيه من الشرائط المثبتة فيه ، والعهود المؤكدة .  
وأشهد الله وملائكته على جميع ذلك ، وأشهد من حضر . وكفى بالله شهيداً .

قال : فعجب الناس من فهمه وبلاغته .  
وقال له الحسن بن أبي الشوارب (١) : يا أمير المؤمنين ، أشهد عليك بما في هذا الكتاب ؟ قال : نعم خارت الله لك يا أبا العباس .

\* \* \*

## المُعْتَزُّ (٢)

قال الزبير (٣) : لما وفدتُ على المتوكل قال لي : ادخل إلى أبي العباس يعني : المعتز فدخلتُ إليه وهو

---

(١) الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي قاضي المعتز ، توفي سنة ٢٦١ هـ ،

(٢) المعتز هو محمد بن جعفر المتوكل ، وقيل أحمد ، وقيل الزبير ، ولد بر من رأى سنة ٢٣٢ هـ ، وبايعه الأتراك بالخلافة سنة ٢٥٢ هـ ، كثرت الفتن في أيامه ، واضطرب القواد أن يخلع نفسه ، وطبوه حتى مات سنة ٢٥٥ هـ .

(٣) الزبير بن بكار أديب أخباري كان قاضي مكة توفي سنة ٢٥٦ هـ .

عبيّ فحدّثته وأنشدته فسألني عن الحجازِ وأهله ،  
ثم نهضت لأنصرف فعثرتُ فسقطتُ ، فقال لي المعتزُ :  
يا زبير :

كَمْ عَثْرَةٌ لِي بِاللِّسَانِ عَثْرَتُهَا  
تُفَرِّقُ مِنْ بَعْدِ اجْتِمَاعٍ مِنَ الشَّمْلِ  
يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ  
وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ

\*\*\*

### المُهتدي (١)

كان يقولُ : لو لم يكن الزُّهدُ في الدنيا ، والإيثارُ  
للحقِّ ، بما لَطَّفَ اللهُ تعالى فيهما ، ووفَّقني لهما ،  
ولاني أرجو بملك الفَوْزِ يومَ القيامةِ ، لتَصَنَّعتُ بما  
أفعلهُ للناسِ ، لئلا يكونَ مثلُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ  
في خلفاء بني أمية ، ولا يكونُ في خلفاء بني هاشمٍ بعدهم  
مثله ، وهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقربُ .

---

(١) هو محمد المهتدي بالله بن هارون الواثق ، ولد سنة ٨٢٢٧ هـ ،  
وتولى الخلافة سنة ٨٢٥٥ هـ ، كان حميد السيرة زاهدا ، خلعه الترك وقتلوه  
سنة ٨٢٥٦ هـ .

قال بعضهم : سمعته يوماً يقولُ لعيسى بن فرخانشاه (١) : عاون على الخير تسلم ، ولا تجزه فتندم . ف قيل له : إن هذا بيت شعر . قال : ما تعمدت ذلك ، ولكني رويت قول الشاعر :

تعاون على الخيرات تظفر ، ولا تكن  
على الإثم والعدوان ميمناً يُعاون

\* \* \*

## المُعْتَمِدُ (٢)

قال محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٣) : بعثني أبي إلى المعتمد في شيء ، فقال لي : اجلس . فاستعظمت ذلك ، فأعاده ، فاعتذرت بأن ذلك لا يجوز ،

\* \* \*

---

(١) عيسى بن فرخانشاه ، وزير المعتد .

(٢) أحمد المعتد بن جعفر المتوكل ولد سنة ٨٢٢٩ ، وولي الخلافة سنة ٨٢٥٦ طالت أيام ملكه ، وعاونه أخوه الموفق معاونة كبيرة على قهر أعدائه ، ثم استبد بالأمر ، مات سنة ٨٢٧٩

(٣) محمد بن عبيد الله بن يحيى أبوه وزير المعتد ، صار محمد بعده وزيراً لمقتدر وكاتبه .

فقال لي : يا محمد ، إنَّ أدبَكَ في القبول مني خيرٌ من  
أدبِكَ في خلافي .

وقال يوماً لبعضِ نُدَمائِهِ : إذا عدمَ أهلُ التفضُّلِ ،  
هلكَ أهلُ التجَمُّلِ .

\* \* \*

### المُعْتَضِد (١)

حدَّثَ العلاءُ بنُ صاعدٍ (٢) قال : لما حُصِّلَ رأسُ  
صاحبِ البصرة (٣) ركبَ المعتضدُ في جيشٍ لم يُرَ مثلهُ ،  
فاشتقَّ أسواقَ بغدادٍ ، والرأسُ بين يديه ، فلما صرنا  
بابَ الطاقِ (٤) صاح قومٌ من درجٍ من تلك الدروبِ :

(١) أحمد المعتضد بن طلحة الموفق ، ولد سنة ٥٢٤٢ هـ ، أظهر  
يسالة في الحروب ، تولى الخلافة سنة ٥٢٧٩ هـ وكان مهيباً حازماً ، توفي  
سنة ٥٢٨٩ هـ .

(٢) العلاء بن صاعد أبو عيسى كاتب أديب ، كان يتعاطى علم النجوم .  
(٣) صاحب البصرة أو صاحب الزنج علي بن محمد ، ادعى أنه  
سلوي سمي بصاحب البصرة لأنه دخلها وذهب كثيراً من أهلها ، وبصاحب  
الزنج لأن أتباعه منهم ، خرج سنة ٥٢٥٢ هـ ، وقتله الموفق سنة ٥٢٧٠ هـ .  
(٤) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي منها تعرف  
بطاق أسماء .

رَحِمَ اللهُ معاويةَ . وزادَ حتى علَّتْ أصواتُهُم ، فتغيَّرَ  
وجههُ وقال : أما تسمع يا أبا عيسى ؟ ما أعجبَ هذا !  
ما ذِكرُ معاويةَ في هذا الأمرِ ؟ والله لقد بلغ أبي الموتَ ،  
وما أفلتُ أنا منه إلا بعد مُشارَفتِهِ ، ولقينا كلَّ جهدٍ وبلاءٍ ،  
حتى أرحناهُم من عَدُوِّهِم ، وخصَّنا حرَمَهُم وأموالَهُم .  
تركوا أنْ يترحمُوا على العباسِ ، أو عبدِ اللهِ بنِ العباسِ ،  
أو من وُلِدَ من الخلفاء ، وتركوا الترحمَ على أميرِ  
المؤمنين عليٍّ ، وحمزةَ وجعفرِ والحسنِ والحسينِ ،  
والله لا يرحتُ أو أُؤثِّرَ في تأديبِ هؤلاء أثراً لا يعاودُون  
بعدهُ مثله .

ثم أمرَ بجمْعِ النَّفَّاطِينِ (١) لتَحْرِيقِ الناحية ،  
فقلتُ : أيُّها الأميرُ ، هذا من أشرفِ أيامِ الإسلامِ فلا  
تُفْسِدْهُ بجهلِ غِلْمَةٍ لا أخلاقَ لَهُم ، ولم أزل  
أداريه وأرفقُ به حتى سارَ .

لما ولي المعتضدُ حَسُنَتْ آثارُهُ ، وأمرَ بالزيادةِ في

---

(١) النفاطون : جمع نفاط ، الجندي المتخصص برمي النفط المشتعل

لإحراق العدو .

المسجد الجامع بالمدينة ، وأمر بتسهيل عقبة  
 حلوان (١) . وأنفق عليها نيفاً وعشرين ألف دينار ،  
 وأمر بردّ المواريث على ذوي الأرحام . وأخّر النيروز ،  
 واستبدّ (٢) الخراج إلى وقت إدراك الغلات ، وعمّر  
 الدنيا ، وضبط الأطراف ، وأحسن السياسة . وقيل :  
 إنه أفضت إليه الخلافة وليس في الخزانة إلا سبعة عشر درهماً  
 زائفةً ومات وخلف ما يزيد على عشرين ألف ألف دينار .

\* \* \*

### المكتفي (٣)

نظر إلى رأس صاحب الزنج ، وقد أخرج إليه من  
 من الخزانة ، فقال : لعنه الله ! فإنه عدا على الأنساب (٤) .  
 كما عدا على الأسلاب .

\* \* \*

(١) حلوان : المراد التي بالعراق وصفه حاوان التي بها نخلتا  
 حلون الشهيرتان وقد غرم فيها عشرين ألف دينار ، فسهلها بعد أن كان  
 الناس يلقون منها مشقة عظيمة .

(٢) استبدّ الخراج . أخر ميعاد تسديد

(٣) المكتفي بالله : هو علي بن العنضد ، ولد سنة ٢٦٣ هـ وتولى

الخلافة سنة ٢٨٩ هـ تغلب على الثائرين عليه ، وتوفي سنة ٢٩٥ هـ .

(٤) المراد : ادعى النسب إلى العلويين وليس منهم . والأسلاب

غنائم الحرب .

## المقتدر (١)

حكى أن علي بن عيسى الوزير (٢) كتب عنه كتاباً إلى ملك الروم ، فلما عرض عليه . قال : فيه موضع يحتاج إلى إصلاح ، فسأله عن ذلك - وكان قد كتب في الكتاب : « إن قرئت من أمير المؤمنين قرب منك ، وإن بعدت بعد عنك » - فقال : ما حاجتي إلى أن أقرب منه ؟ اكتبوا : « إن قرئت من أمير المؤمنين قربك ، وإن بعدت بعدك » .

ولم يعرف للمقتدر مثل هذا الكلام ، ولا مثل هذه الفطنة ، وقد ذكرناه على ما حكى ، وهو بكلام غيره من الخلفاء أشبه .

\* \* \*

- 
- (١) المقتدر ، هو جعفر بن المعتضد ، ولد سنة ٥٢٨٢ هـ . وتولى الخلافة سنة ٥٢٩٥ هـ ، خلعه الناس وبايعوا المعتز ، ثم خلعه المعتز وأعيد هو ثانية ، كثرت الفتن في أيامه ، قتله مؤنس سنة ٥٣٣٠ هـ .
- (٢) علي بن عيسى بن داود ، وزير المقتدر ، ولد سنة ٥٢٢٤ هـ ، وولي الوزارة سنة ٥٣٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٣٣٤ هـ ، وله مؤلفات .



## الراضي (١)

لما استوزر ابن البريدي<sup>(٢)</sup> ، وهو غائب عن حصرتيه ، وأجابته إلى مقترحاته ، قال الراضي كالآنف من طرحه الوزارة على من يشترط فيها : إن الوزارة قطعة من الخلافة ، ووهنها وهن الخلافة .

• • •

## إبراهيم بن المهدي (٣)

كتب إلي أحمد بن يوسف<sup>(٤)</sup> الكاتب : لعن الله زماناً أخركَ عمن لا يساوي كلُّه بعضك .

وقال محمد بن راشد : سأئني إبراهيم بن المهدي

---

(١) هو محمد الراضي بن المفتر بن المعتضد ، ولد سنة ٨٢٩٧ ، وتولى الخلافة سنة ٨٣٢٢ ، تفككت في هذه الدولة العباسية ، ولم يعد تحت يديه إلا بغداد ، مات سنة ٨٣٣٩ .

(٢) تولى الوزارة للراضي ٨٣٢٧ ، والمتفي سنة ٨٣٣٠ ، وكانت « واسط » تحت نفوذه ، حارب الحمدانيين ، توفي سنة ٨٣٢٢ .

(٣) إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، ولد سنة ٨١٦٢ ، كان أديباً شاعراً حاذقاً في الفناء ، خرج على المأمون عندما ولي علي بن موسى الرضا ولاية العهد ، وقد انتصر عليه المأمون ثم عفا عنه ، توفي سنة ٨٢٢٤ .

(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم من أشهر كتاب الدولة العباسية تولى ديوان الرسائل للمأمون وتوفي سنة ٨٢١٣ .

عن رجلٍ ، فقلت : يساوي فلسين . فقال : زدت  
في قيمته درهمن .

وكتب إليّ صديقٌ لهُ : لو عرفتَ فضلَ الحسنِ  
لتجنّبتَ القبيحَ وأنا وإياكُ كما قال زهير (١) :

وذي خطّالٍ في القولِ يحسبُ أنّه

مصيبٌ ، فما يلُمِّم به فهو قائلُهُ

عبأتُ له حلّمي ، وأكرمتُ غيرهُ

وأعرضتُ عنهُ ، وهو بادٍ مقاتلُهُ

ومن إحسانِ اللهِ إلينا ، وإساعتكُ إلى نفسكُ أنا

صَفَحْنَا عَمَّا أَمَكْنَا ، وتناولتُ ما أعجزكُ .

ولما أُدخلَ على المأمون عند الظفرِ به سَلَمٌ عليه ،

وقال : يا أمير المؤمنين وليُّ النارِ مُحَكَّمٌ في القصاصِ ،

والعفوُ أقربُ للتقوى ، ومن مدَّ له في الأناةِ حَسَنٌ

عندهُ الذَّنْبُ ، وقد جعلكُ اللهُ فوقَ كلِّ ذي ذَنْبٍ

كما جعل كلَّ ذي ذَنْبٍ دُونَكَ ، فإن عاقبتَ فبحقِّكَ ،

وإن عفوتَ فبفضلكُ .

---

(١) زهير بن أبي سلمى ، شاعر جاهلي من أصحاب الملقات .

فقال المأمون : يا إبراهيم ، إنني شاورتُ العباسَ  
ابني ، وأبا إسحاقَ أخي في أمرِكَ ، فأشارا عليَّ بِقَتْلِكَ  
إلا أَني وجدتُ قدركَ فوقَ ذنبِكَ ، فكرهتُ القتلَ  
إِلْلازِمَ حرْمَتِكَ .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد نصحَ المشيرُ لما جرت به  
العادة في السياسةِ ، وحياطةِ الخلافةِ إلا أَنك أبيتَ أن  
تطلبَ النصرَ إلاَّ من حيثُ عُوذتَهُ من العفو ، فإن عاقبتَ  
فلكَ نظيرٌ ، وإن عفوتَ فلا نظيرَ لك ، فإن جُرْمي  
أعظمُ من أن أنطقَ فيه بعذرٍ ، وعفوُ أميرِ المؤمنين  
أجلُّ من أن يقيَّ به شُكر .

فقال المأمون : ماتَ الحقدُ عندَ هذا العُذر .

فاستعبرَ إبراهيمُ ، فقال المأمون : ما شأنُكَ ؟  
قال : الندمُ ، إذ كان ذنبي إلى مَنْ هذِهِ صِفَتُهُ في الإنعامِ  
عليَّ ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنه وإن بلغَ جُرْمي  
استحلالَ دمي فحيثُمُ أميرِ المؤمنينَ وفضلهُ يُبلغاني  
عَفْوَهُ ، وإنَّ لي لشفعةَ الإقرارِ بالذنبِ وحقَّ العمومةِ  
بعدَ الأبِ فلا يسفُطُ عن كَرَمِكَ عَمُّكَ ، ولا يقع  
دونَ عَفْوِكَ عندكَ .

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسَبِكَ حَقٌّ<sup>١</sup>  
الْصَفْعُ عَنْكَ لَبَدَّغْتُكَ مَا أَمَلْتُ حُسْنَ تَنْصَلُّكَ ،  
وَلَطْفُ تَوَصُّلِكَ .

ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا الْبَلَاغَةُ يَا إِبْرَاهِيمُ ؟  
قَالَ : أَنْ يَكُونَ مَعْنَاكَ يُجَلِّتُنِي عَنْ مَفْزَاكَ .

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا كَلَامٌ يَشْدَرُ<sup>(١)</sup> بِالذَّهَبِ ، لَقَدْ  
ذَهَبَ بِهِ وَغَرَأَ<sup>(٢)</sup> كَانَ فِي صَدْرِي عَلَيْهِ .

\* \* \*

### عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ ( ٣ )

كَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ  
تَحِبُّ مَعْرِفَةَ خَبْرِي لَمْ أَبْخُلْ بِهِ عَلَيْكَ ، وَلَوْ طَمَعْتُ فِي

---

(١) يَشْدَرُ بِالذَّهَبِ : يَفْصَلُ بِهِ .

(٢) الْوَغْرُ : احْتِرَاقُ الْقَيْظِ ، وَذَهَبُ وَضُرُّ صَدْرِهِ ، وَوُغْمُ صَدْرِهِ :  
زَالَ مَا فِيهِ مِنْ غُلٍّ وَعِداوَةٍ .

(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، الشَّاعِرُ الْمُبْدِعُ ، وَالْأَدِيبُ  
النَّائِرُ ، صَاحِبُ كِتَابِ طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٤٧ هـ ، بَوْرِعَ بِالْخَلِيفَةِ  
سَنَةَ ٢٩٦ هـ ، وَبَقِيَ بِهَا يَوْمًا وَاحِدًا ، ثُمَّ تَخَلَّعَ وَقُتِلَ .

جوابك لسألت عن خبرك ، ورجوت العُشْبِي منك  
لأكثر عِتَابِكَ ، ولو ملكتُ الخواطرَ لم آذنَ لنفسي  
في ذكرك . ولولا أنْ يضيع وصفُ الشوقِ لأطلتُ به  
كتابي . ولولا أنْ عزَّ السلطان يشغلك عني لشغلت به  
سروري ، والسلام .

وكتب يذمُّ رجلاً : ذكرتُ حاجةَ أبي فلانِ  
المُكْنَى ليُعرفَ ، لالِبُكُرمَ ، فلا وصلها اللهُ بالنجاح ،  
ولايسَّرَ بابها للانفتاح وذكرتُ عُذراً نَضَحَ (١) به من  
نَفْسِهِ ، فواللهِ ما نَضَحَ عنها لكنه نَضَحَ عليها (٢) ، وأنا  
واللهِ أصونُك عنه ، وأنصحُ لك فيه ، فإنه خبيثُ النية ،  
متلقِّفٌ للمعائب ، مُقَلِّبٌ للسانهِ بالملق ، شائن (٣)  
بالتخلق وجهَ الخلق ، موجودٌ عند النعمة ، مفقودٌ  
عند الشدة ، قد أنيسَ بالمسألة ، وضري (٤) بالرَّد ،  
فلا تَعُقْ عقلك باختياره ، ولا توحشِ النعمةَ بإذلالها به .

---

(١) نضح عن الشيء : ذب ودفع عنه ، وأصل نضح من رمي السهام .

(٢) نضج عليها : رماها .

(٣) شائن : عائب ، والتخلق : إهداء الإنسان ما ليس من خلقه .

(٤) ضري : تعود .

وقال ابن المعتز : الخضاب من شهود الزور .  
ولعبد الله بن المعتز آداب مجموعة ، ومواعظ  
وحكم تمر أكثرها في كلام المتقدمين ، وفيها نواحر من  
كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وغيره ،  
وقد اخترت بعضها ، وأوردته هذا المكان ، فمنها :  
إعادة الاعتذار تذكير بالذنب .

في العواقب شاف أو مريح .  
العقل غريزة تربيها التجارب .

النصح بين الملأ تقريع .

أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بيك ، وعظم  
نفسك عن التعظم ، وتطول ولا تتطول (٢) .

الأمل رفيق مؤنس ، إن لم يُبليغك فقد استمتعت به .  
لا يقوم عز الغضب بذل الاعتذار .

الشفيع جناح الطالب .

إن بقيت لم يبقَ لهم .

---

(١) التطول : الاستطالة والترفع ، والصلول : التفضل . والتطول

عند العرب محمود ، والتطول مذموم .

لا تُنكحُ خاطبةُ سرك (١) .

من زاد أدبه على عقله كان كالرأعي الضعيف  
مع غنم كثيرة .

الدارُ الضيقةُ العَمى الأصفر .

إذا هرب الزاهدُ من الناسِ فاطناً به ، وإذا طابهم  
فاهربُ منه .

النَّحَامُ جسرُ الشرِّ .

لا تشين وجهَ الغفورِ بالتقريع .

إذا زال المحسودُ عليه عانت أن الحاسدَ كان يحدُّ

على غيرِ شيء .

العجزُ قائمٌ ، والحزمُ يقظانٌ .

من تجرأ لك تجرأ عابك

ماعفا عن اللئبِ من قرع به .

أمرُ المكاره ما لم يُحتسب (٢) .

---

(١) أي لا تطلعه على ما يريد من سرك .

(٢) بحسب : أي ينتظر المثوبة في الآخرة .

عبدُ الشهوةِ أَذُلُّ من عبدِ الرقِّ .

لا ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره ، وطاعةُ نفسهِ  
عليه ممتنعة .

النامس نَفْسَان : واجدٌ لا يكتفي ، وطالبٌ لا يجيد .  
ذُلُّ العَزَلِ يضعحك من تيهِ الولاية .

كلما كثرُ خُزَّانُ الأسرارِ ازدادت خُمُيَّاءُ .  
بشرُّ مالِ البخيلِ بحادثٍ أو وَاَرِثِ .

• • •



## الباب الرابع

---



## كلام جباعه من بني أمية

قال سعيد بن العاص (١) : لا تمازح الشريفه ؛  
فيحقد عليك ، ولا اللئيم فيجترى عليك .  
ودخل عمرو بن سعيد إلى معاوية فقال له : إلى من  
أوصى بك أبوك ؟ قال : إن أبي أوصى إلي ، ولم يوص  
بني . قال : فبأي شيء أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا  
يفقد إخوانه منه إلا وجهه . فقال معاوية لأصحابه :  
إن ابن سعيد هذا لأشلق (٢) .  
قال عتبة بن أبي سفيان (٣) لمعلم والده (٤) : ليكن

---

(١) المراد هنا سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، من أجداد العرب وأشرف بني أمية ، توفي سنة ٥٥٩ .

(٢) الأشلق : الواسع الشق ، كناية عن الفصاحة .

(٣) عتبة بن أبي سفيان أمير مصر .

(٤) اسمه : زيد المصمدي بن الأعلى الشيباني .

أَوَّلَ إِصْلَاحٍ لَوَادِي إِصْلَاحُ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ عِيونَهُمْ  
 معقودةٌ بعَيْنِكَ ؛ فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ ،  
 وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَقْبَحَتْهُ ؛ عَلَّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ ،  
 وَرَوَّاهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ ، وَمِنَ الشَّعْرِ أَعَفَّهُ ،  
 وَلَا تُكْرِهْنَهُمْ عَلَى عِلْمٍ فِيمَلُّوهُ ، وَلَا تَدْعُهُمْ  
 فِيهِمْ جُرُوءَ ، وَلَا تَخْرِجْنَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى  
 يُتَقَبِّلُوهُ فَإِنَّ أَرْوَاحَهُمَ الْعِلْمَ فِي السَّمْعِ مَقْبَلَةٌ لَهُمْ ؛  
 وَعَلَّمَهُمْ سِيرَةَ الْحُكَمَاءِ ، حَدَّثَهُمْ بِي ، وَأَدْبَهُمْ دُونِي  
 وَلَا تَتَكَلَّفْ عَلَى عِلْمٍ مِنِّي ؛ فَإِنِّي اتَّكَلْتُ عَلَى كَفَايَةِ مِنْكَ .

أَطْعَمَ أَبُو سَفْيَانَ النَّاسَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَقَصَّرَ  
 طَعَامَهُ ، فَاسْتَعَانَ بِرَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —  
 فَأَعَانَهُ بِالْأُفِّ شَاةً ؛ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَا أَبَا أُمَيٍّ ،  
 لَقَدْ حَارَبْنَاكَ فَمَا أَجَبْتَنَاكَ (١) ، وَسَأَلْنَاكَ فَمَا أَبْخَلْنَاكَ (٢) .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ؛ مُوْطِنَانِ لَا أَعْتَلِرُ مِنَ الْعَبِيِّ  
 فِيهِمَا : إِذَا سَأَلْتُ حَاجَةً لِنَفْسِي ، وَإِذَا أَكَلْتُ جَاهِلًا .

(١) أَجَبْتُهُ : وَجَدَهُ جَبَانًا .

(٢) أَبْخَلَهُ : وَجَدَهُ بَخِيلًا .

وكان سعيدُ بن العاص والياً على المدينة من قبل معاوية . وكان معاوية يعاقبُ بينهُ وبين مروان (١) في ولايتها ، وكان يُغري بينهما ؛ فكتب إلى سعيد : أن اهدم دار مروان ، فلم يهدمها ، وأعاد إليه الكتاب بهدمها ، فلم يفعل ، فعزله ، وولّى مروان ، وكتب إليه : أن اهدم دار سعيد ؛ فأرسل الفعلة ، وركب ليهدمها فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك ، أتهدم داري ؟ قال : نعم ، كتب إليّ أمير المؤمنين ، وأو كتب إليك في هدم داري لفعلت . فقال : ما كنت لأفعل . قال : بلى ، والله لو كتب إليك لهدمتها . قال : كلا يا أبا عبد الملك ؛ وقال لخلامه : انطيق فمجنّي بكتاب معاوية ؛ فجاء به ، فقال مروان : كتب إليك يا أبا عثمان في هدم داري ، فلم تهدمها ولم تعلّمني ؟ قال : ما كنت لأهدم دارك ، ولا أؤمن عليك ، وإنما أراد معاوية أن يحرّض بيننا ؛ فقال مروان : فذاك أبي وأمي ، أنت والله أكثرُ مني ريشاً (٢) وعقباً ، ورجع فلم يهدم دار سعيد .

(١) مروان بن الحكم .

(٢) أثريش . الخصب والمعاش والمال المستفاد واللباس الحسن

الفاخر والعقب : الأولاد .

ذكر العتيبي : أن معاوية بن أبي سفيان أسرَّ إلى عمرو بن عتبة بن أبي سفيان حديثاً ، قال عمرو : فجئتُ إلى أبي ، فقلت : إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً ، أفأحدثُك به ؟ قال : لا ؛ لأنَّه من كتَّمت حديثه كان الخيارُ إليه ، ومن أظهره كان الخيارُ عايه . فلا تجعلُ نفسك مملوكاً ؛ بعد أن كنتَ مالِكاً . فقلت : أو يخلُ هذا بين الرجل وابنه ؟ قال : لا ، ولكن أكرهُ أن تُدكِّلَ لسانك بإفشاء السرِّ . قال : فرجعتُ إلى معاوية ، فذكرتُ ذلك له . فقال : أعتقك أخي من رِقِّ الخطأ .

خطب عتبة بن أبي سفيان الناسَ بالموسم في سنة إحدى وأربعين ، وعهدُ الناسِ حديثُ بالفتنة فاستفتح ، ثم قال :

أيُّها الناس ؛ قد وليتُنا هذا الموضعَ الذي يضاعِفُ الله عزَّ وجلَّ للمحسنين فيه الأجرَ ، وعلى المسيءِ الوزرَ (١) ، فلا تمدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ، فإنها تنقطعُ

---

(١) الوزر : الذنب .

دُونَنَا ، وَرُبَّ مُتَمَنٍّ حَتَفَهُ فِي أَمْنِيَّتِهِ . اقبلوا العافية  
ما قبلناها منكم وفيكم ، وإياكم و « لو » ، فقد اتعبت  
من كان قبلكم ، وإن تُريحَ من بعدكم . أسألُ الله أنْ  
يعينَ كُلًّا على كلِّ .

قالوا : لما استتبَّ الأمرُ لمعاويةَ ، قدم عليه عبدُ الله بن  
عباس ، وهي أولُ قِدْمَةٍ قلمها عليه ، فدخل وكأنه  
قرحةٌ (١) تَتَبَجَّسُ (٢) ، فجعل عتبةُ بن أبي سفيان  
يُطِيلُ النظرَ إلى ابنِ عباسٍ ، وَيُقِيلُ الكلامَ معه .  
فقال ابنُ عباس : يا عتبةُ ، إنك لتُطِيلُ النظرَ إليَّ ،  
وتُقِيلُ الكلامَ معي . أَلَمْ تَوْجِدْ فِدَامَتُ ، أو لمعتبةٍ  
فلا زالتُ ؟ قال له عتبةُ : ماذا أيقِيتَ لما لا رأيتَ ؟  
أما طُولُ نظري إليك فسروراً بك ، وأما قِلَةُ كلامي  
معك فقلائتُه مع غيرك ، ولو سلَّطْتَ الحقَّ على نفسك  
لعلمتَ أنه لا ينظرُ إليك عينُ مُبَغِضٍ .

فقال ابنُ عباس : أمهيتَ (٣) يا أبا الوليد ، أمهيت !  
لو تحقَّق عندنا أكثرُ ممَّا ظننَّاه لمحام أقلُّ ممَّا قات .

---

(١) القرحة والقرح : أول ما يخرج من البشر حين تحفر .

(٢) تنهَّس - تنفجر

(٣) أمهيت . بلدت ما تريد ، وأصله : بلغ الماء في حفرة .

فذهب بعضٌ من حضر أن يتكلم ، فقال معاوية :  
اسكت . وجعل معاوية يصفق بيديه ويقول :  
جندلَتَانِ اصْطَلَكْتَا (١) اصْطَلَكَا

دعوتُ عركاً إذ دعوا غيراً كـ  
إِنَّ الدَّاخلَ بينَ قريشٍ لحاشنٌ (٢) نفسه .

وقال سعيد بن العاص : قَبِّحَ اللهُ المعروفَ إذا  
لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأماً إذا أتاك ترى دمه  
في وجهه ، مخاطباً لا يدري أتعطيه أم لا ، وقد بات  
ليته يتملُّ على فراشه ، يعاقب بين شقيقه ، مرةً  
هكذا ، ومرةً هكذا ، مَنْ لحاجته ، فخطرتُ بباله أنا  
وغيري ، فتميلُ (٣) أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من  
حاجته ، ثم عزم عليّ وترك غيري ، فلو خرجتُ له بما  
أملكُ لم أكافيه (٤) ، وهو عليّ آمنٌ مني عليه .

---

(١) الجندلة : الصخرة « جندلتان اصطكتا » مثل يضرب للقرنين  
يتصاولان .

(٢) الحاشن : الهالك . لبي أقاء الحين : وهو الهلاك .

(٣) ميل بين أمرين : تردد ، ثم اختار أنفعهما له .

(٤) لم أكافه : لم أكافئه ، وكافأ وكافى بمعنى واحد .



قالوا : لَمَّا وَلَّى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ  
 الْمَلِكِ (١) دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ أَلْبُ (٢) مِنْهُ فِي  
 حَدَاثَةِ سِنِّهِ ، قَالَ أَهْلُ دِمَشْقَ : هَذَا غُلَامٌ شَابٌ ،  
 وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ، وَسَيَسْمَعُ مِنَّا ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ :  
 أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، عِنْدِي نَصِيحَةٌ . قَالَ لَهُ : لَيْتَ شِعْرِي  
 مَا هَذِهِ النَّصِيحَةُ الَّتِي ابْتَدَأْتَنِي بِهَا ، مِنْ غَيْرِ يَدٍ سَبَقَتْ  
 مِنِّي إِلَيْكَ ؟ قَالَ : جَارٌ لِي عَاصٍ مُتَخَلِّفٌ عَنْ ثَغْرِ (٣) .  
 فَقَالَ لَهُ : مَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفِظْتَ  
 جِيَوَارِكَ . إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِيمَا تَقُولُ ، فَإِنْ كُنْتَ  
 صَادِقًا يَنْصَعُكَ ذَاكَ عِنْدَنَا ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبْنَاكَ .  
 وَإِنْ شِئْتَ أَقْلَيْنَاكَ . قَالَ . أَقْلَسِي . قَالَ : اذْهَبْ حَيْثُ  
 شِئْتَ لَا صَحْبَيْكَ اللَّهُ . إِيَّيْ أَرَاكَ شَرَّ جَبَلٍ (٤) رَجُلًا .

---

(١) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولي نيابة دمشق لأبيه  
 رِعْزَا الرُّومِ سنة ٨٩٤ .

(٢) أَلْبُ اسمٌ تفضيلٌ من لَبٍ : صار ذالِبٌ .

(٣) عن ثغر . عن حرب العدو . وانتشر : الموقع على الحدود  
 مع العدو .

(٤) الجبل . كل صنف من الناس .

ثم قال : يا أهل دمشق ، أمّا أعظمتكم ما جاء به الفاسق ؟  
 إن السعاية — أحسبُ منه (١) — سجيّةٌ ، ولولا أنه  
 لا ينبغي للوالي أن يُعاقب قبل أن يُعاتبَ كان لي في  
 ذلك رأيٌ ، فلا يأتيننني أحدٌ منكم بسعايةٍ على أحدٍ  
 بشيء ، فإنّ الصادقَ فيها فاسقٌ ، والكاذبَ فيها بهاتٌ (٢) .

• • •

---

(١) المعنى : إني أظن أن السعاية طيبة فيه .

(٢) البهات : صيغة مبالغة من بهت : إذا قال عنه ما ليس فيه .

# الباب الخامس

---



## نمكت لآل الزبير

قدم فضالةُ بنُ شريكٍ (١) ، على عبد الله بن الزبير ،  
فقال : إني سِرتُ إليك المَواجِرَ (٢) يا أَميرَ المؤمنين .  
قال : ولِمَ ؟ أما كان لكَ في البَرَدِينِ (٣) ما تَسِيرُهُما ؟  
كَأَنَّكَ تَناذرُ نَهْماً ، لا أَبالكَ ، فقال : إنَّ نَاقَتِي قد  
نُصِبَ (٤) خُفُّها فاحمِلْنِي . قال : ارقعها بجلد .  
واخْصِفْها بِهَلْأَب (٥) ، وأنْجِدْ بِها (٦) ، وسرُّ بِها

- 
- (١) فضالة بن شريك الأسدي ، شاعر غنصرم أدرك الجاهلية والإسلام .  
(٢) المَواجِر جمع مَاجِرَة ، وهي وقت اشتداد الحر في الظهيرة .  
(٣) البَرَدان : العداة والعُني لبرود الجو فيهما .  
(٤) نُصِب الخب : رق .  
(٥) الهَلَب : الشعر أو حَصْلَة منه .  
(٦) أنْجِدْها : سر بها في النحر ، وهو ما غلظ وارتفع واستوى من الأرض .

البرّدين . قال : إنما أتيتك مُستَحْمِلًا (١) ، ولم آتِكَ  
مُسْتَوْصِفًا ، لعنَ الله ناقةً حَلَّتْني إليك . قال : إن (٢)  
وراكبَها ، فإنصرفَ وهجَاهُ بالأبياتِ التي يقول فيها :  
أرى الحاجاتِ عند أبي خُنيبٍ (٣)

نَكِيدُنَ ، ولأُمَيَّةَ فَيَ البلادِ (٤)  
كان مُصْعَبٌ (٥) يقول : المرأةُ فراشٌ فاستوثِرُوا .  
نازع ابنُ الزبيرِ مَرْوانَ في مجلسِ معاوية ، فرأى  
أنَّ ضَلَعَ (٦) معاويةَ مع مروانَ . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .  
إنَّ لك حقًّا وطاعةً علينا ، وإنَّنا سَيِّطَةٌ (٧) وحرمةٌ ،  
فأَطعِ اللهَ بِطِيعَتِكَ ، فإنه لا طاعةَ لكَ علينا إلَّا في حقٍّ

---

(١) مستحل : طالب منه أن يحمله .

(٢) إن : نعم

(٣) أبو خبيب : كنية ابن الزبير ، يفرها له من يده ، أم بن  
يدحه فيكنيه أبا بكر .

(٤) نكد الزمان : صفاق وابت

(٥) مصعب بن الزبير : أمير رقاذه من قواد أخيه ، ولد سنة ٢٦ هـ .

(٦) ضلع معاوية مع مروان : ميله معه .

(٧) السطة : مصدر وسط ، ووسط القوم كناية عن الرفعة والشراف .

الله ، ولا تُطَرِّقْ إِطْرَاقَ الْأَفْعُوانِ (١) فِي أَصُولِ  
السُّخْبَرِ (٢) .

وَقَالَ لَهُ مَرَّةً : يَا مَعَاوِيَةَ ، لَا تَدْعُ مَرَّوَانَ يَرْمِي  
جَمَاهِيرَ (٣) قَرِيْبَتِ بِمِشْقَاقِيصِهِ (٤) وَيَضْرِبُ صَفَاتِهِمْ (٥)  
بِمِعْمُولِهِ ، لَوْلَا مَكَانُكَ لَكَانَ أَخْفَافًا عَلَى رِقَابِنَا مِنْ فَرَّاشَةٍ ،  
وَأَقْلَافًا فِي أَنْفُسِنَا مِنْ خَشَّاشَةٍ (٦) ، وَابْيَسَ اللَّهُ لَيْثَ مَلِكٍ  
أَعْنَتُهُ نَحِيلُ تَنْقَادُ لَهُ لِيَرْكَبَنَّ مِنْكَ طَبَقًا (٧) تَخَافُهُ .  
فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِنْ يُطْلَبُ هَذَا الْأَمْرُ فَقَدْ طَمِعَ فِيهِ  
مَنْ هُوَ دُونَهُ وَإِنْ يَتْرُكُهُ يَتْرُكُهُ لِمَنْ فَوْقَهُ ، وَمَا أَرَاكُمْ  
بِمُنْتَهَيْنَ حَتَّى يَبْتَغِيَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يُعْطِيفُ عَلَيْكُمْ

---

(١) الْأَنْعُوانُ : ذِكْرُ الْأَفْعَامِي ، شَبَّهَ بِهِ لِأَنَّهُ يَطْرُقُ عِنْدَ نَفْثِ السَّمِّ .

(٢) السُّخْبَرُ : الشَّجَرُ .

(٣) الْجَمَاهِيرُ : جَمْعُ جَمْهُورٍ ، وَهُوَ مَعْظَمُ النَّاسِ .

(٤) الْمِشْقَاقُ : جَمْعُ مِشْقَاقٍ وَهُوَ مَا طَالَ وَغَرَضَ مِنَ الْإِنِّصَالِ

وَالْمَرَادُ : لَا تَدْعُهُ يَصِيْبُهُمْ بِالْأَذَى .

(٥) الصَّمَاةُ : الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ .

(٦) الْخَشَّاشَةُ : وَاحِدَةُ الْخَشَّاشِ وَهُوَ الْهُوَامُ .

(٧) الطَّبَقُ : جَمْعُ طَبَقَةٍ ، وَهِيَ مِثْلُ فَوْقِ مِثْلَةِ ، وَالْمَعْنَى :

لِيَرْكَبَنَّ مِنْكَ أَحْوَالًا وَمَنَازِلَ فِي الْعِدَاوَةِ غُخُوفَةً .

بِقَرَابَةٍ ، وَلَا يَذْكُرُكُمْ عِنْدَ مُلِيمَةٍ . وَيُسَوِّمُكُمْ (١)  
خَسَفًا (٢) ، وَيُورِدُكُمْ تَانِمًا .

قال ابنُ الزبير : إِذَا وَاللَّهِ نَظَلِقُ عِقالَ الحَرْبِ .  
بِكتابِ ثَمُورٍ كَرَجَلِ الجِرَادِ (٣) . تَتَّبِعُ غِطْرِيْفًا (٤) مِنْ  
قَرِيْشٍ لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ بِرَاعِيَةٍ ثَلَاثَةَ (٥) .  
قال معاوية : أَنَا ابْنُ هَنْدٍ ، أَطْلَقْتُ عِقالَ الحَرْبِ .  
فَأَكَلْتُ ذَرَّةَ السَّانِمِ ، وَشَرِبْتُ عَنْفُوانَ المَكْرَحِ (٦) .  
وَلَيْسَ لِّلأَكْلِ إِلَّا الفِلْدَةُ (٧) ، وَلِللشَّارِبِ إِلَّا الرَنْقُ (٨) .  
لِيَمَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى طُولِ خُطْبَتِهِ عَشِيَّةَ  
عَرَفَةَ ، فَقَالَ : أَنَا قَائِمٌ وَهُمْ جُلُوسٌ وَأَتَكَلِّمُ وَهُمْ  
سَكُوتٌ وَيَضْجُرُونَ ! .

---

(١) سَامَهُ الْأَمْرُ : أَلْزَمَهُ إِهَادَ فَرَسٍ

(٢) الخَسَفُ : الْفُجْرُ وَالْإِذْلَالُ .

(٣) رَجَلُ الْجِرَادِ : الْقِطْعَةُ الَّتِي قَوَى بِمِصْبَا بِمِصْبَا

(٤) الْغَطْرِيْفُ : السَّيْدُ .

(٥) رَاعِيَةٌ ثَلَاثَةُ : رَاعِيَةُ الْعَمِّ .

(٦) عَنْفُوانُ الْمَكْرَحِ : أَوَّلُهُ وَهُوَ أَصْفَى مَا يَكُونُ .

(٧) الْفِلْدَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ أَوْ السَّانِمِ

(٨) الرَنْقُ : الْكَدَرُ .



وكان عبدُ الله بن الزبير يقول : لاعاش بخيرٍ من  
لم يرَ برأيه ما لم يرَ بعينه .

قال عروة<sup>(١)</sup> بن الزبير : التواضعُ أحدُ مصادِرِ  
الشرف .

لما قال عبدُ الله بن الزبير : أكلتم تمرِي ، وعصيتُم  
أمرِي . قال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكرٍ - وربُّكَ غالبُ  
على أمره - يبيحُ الخلافةَ بالتمرِ

قال عمرُ بن شبة<sup>(٢)</sup> : وقف ابنُ الزبير على باب  
مَيْمَّةَ ، مولاةٌ كانت لمعاوية . تُرفَعُ حوائجُ الناسِ إليها .  
فقال له : يا أبا بكرٍ تقفُ على باب مَيْمَّةَ ! قال : نعم .  
إذ أُعيتك الأمورُ من رؤوسها فأتتها من أذُنابها .

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام ، أحدُ الفقهاء العظماء ، كان حجةً  
كريمةً عالماً بالدين ، ولد سنة ٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٩٧ هـ .  
(٢) عمر بن شبة : شاعرٌ وأوحد مؤرِّج عدت ، ولد سنة ١٧٢ هـ .  
وتوفي سنة ٢٦٢ هـ ، وله مؤلفات .

قال عروة : لعهدي بالناس ، والرجل منهم إذا  
أراد أن يسوء جاره سأل غيره حاجته ، فيشكوه جاره ،  
ويقول : تتجاوزني بحاجته ، أراد بذلك شيئي (١) .  
لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب ، خطب الناس ،  
فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال :

إنه أئانا خبر مقتل المصعب فسررنا واكتأبنا ،  
فأمّا السرور فلما قدر له من الشهادة ، وخير له من  
الثواب ، وأمّا الكتابة فلوعة يجدوها الحميم لفراق  
حميمه . وإنّا والله لانموت حبّجاً (٢) كميّة آل أبي  
العاص (٣) ، إنّما نموت قتلاً بالرماح ، وقعصاً (٤)  
تحت ظلال السيوف ، فإن يهلك المصعب فإنّ في آل  
الزبير خلفاً .

وقال لما أئاه قتله : أشهده المهلب ؟ قالوا : لا .

(١) الشين : العيب .

(٢) الحجج : أن تتفخ بطون الإبل من أكلها العرفج ، وقد تموت  
من ذلك .

(٣) والمراد أنه يعيب عليهم إقبالهم على الماطام والشهوات .

(٤) مات قعصاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

كَانَ الْمُهَلَّبُ فِي وَجْهِ الْخَوَارِجِ . قَالَ : أَفَشْهَدُهُ  
عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبْطِيُّ (١) ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ :  
أَفَشْهَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ السَّلَمِيِّ (٢) ؟ قَالُوا : لَا .  
فَتَمَثَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ :

فَقُلْتُ مَا عَيْثِي جَعَّار (٣) . وَجَرَّي  
بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

خَرَجَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَوَطَّيَهُ  
عَظْمًا ، فَلَمْ يَبْلُغْ دِمَشْقَ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ ،  
فَجَمَعَ الْوَلِيدُ الْأَطْبَاءَ . فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قَطْعِهَا .  
فَقَالُوا لَهُ : اشْرَبْ مُرْقِدًا (٤) ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ  
أَغْفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَأُحْمِي لَهُ مِثْثَارٌ ، وَكَانَ

(١) عباد بن الحصين بن يزيد الحبلي ، فارس بني عيم ، ولي شرطة  
البصرة لابن الزبير .

(٢) عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي ، ولي إمرة خراسان لبني أمية .

(٣) جعار : اسم للضبع أصله جاعرة ، وعيبي جعار : مثل يضرب  
إذا أتت الضبع اللحم وغاب الخار .

(٤) المرقد : شراب يشربه الرجل ميتا .

قَطْعاً وَحَسْماً (١) ، فَمَا تَوَجَّعَ ، وَقَالَ : ضَعُوهَا بَيْنَ  
يَدَيَّ ، لَئِنْ كُنْتُ ابْتَلَيْتُ فِي عَضْوٍ لَقَدْ عُوِفِيتُ فِي أَعْضَاءٍ .

فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ نَعِيُّ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ قَدْ  
اطْلَمَعَ مِنْ سَطَطٍ عَلَى دَوَابٍ لِلْوَلِيدِ ، فَسَقَطَ بَيْنَهَا فَخَبَطَتْهُ  
فَقَالَ عَرَوْهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَئِنْ أَخَذْتَ وَاحِداً لَقَدْ أَبْقَيْتَ  
جَمَاعَةً . وَلَئِنْ ابْتَلَيْتَ فِي عَضْوٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ أَعْضَاءً .

حَدَّثَ وَهَبُ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ فِي وَلَايَتِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ  
كِتَاباً يُعْطَاهُ فِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ . فَإِنَّ لِلتَّقْوَى فِي أَهْلِهَا عَلَامَاتٍ يُعْرِفُونَ  
بِهَا ، وَيَعْرِفُونَهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، مِنْ صَبَرٍ عَلَى الْبَلَاءِ  
وَرِضَى بِالْقَضَاءِ . وَشُكْرِ لِلنَّعْمَةِ ، وَذِلٌّ لِحُكْمِ  
الْقُرْآنِ ، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ كَالسُّوقِ . يُحْمَلُ إِلَيْهَا مَا زَكَ (٢)  
فِيهَا ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ أَتَاهُ أَهْلُ الْحَقِّ بِحَقِّهِمْ ،

---

(١) المعنى : وَكَانَ الْفَطْعُ قَطْعاً حَسْماً . وَالْحَسْمُ هُوَ الْكَيْ بِعَدِّ الْقَطْعِ  
حَتَّى لَا يَنْزِلَ الدَّمُ .  
(٢) زَكَ : طَهَّرَ .

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ أَتَاهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ بِبَاطِلِهِمْ ،  
فَانْظُرْ أَيَّ الْإِمَامِينَ أَنْتَ . وَالسَّلَامُ .

قال : فكان عبدُ الله يعجب من بلاغةِ هذه الرسالةِ  
وإيجازها ، ويضعُها تحت فراشه ، ويتعاهدُ قراءتها .  
كان لعبد الله بن عروة مَولاةٌ يُقال لها : شُهدة ،  
لفزعَت ليلاً ، فسمعها تقول : اللهمَّ إِنِّ أَحْسَنُ فَأَحْسَنُ  
إِلَيَّ ، وَلِيْنُ أَسَاتُ فَأَسِيءُ إِلَيَّ . فقال : أَيُّ شَهَادَةٍ  
عَتَقَ مَا يَمْلِكُ (١) إِن لَمْ يَكُنْ هَذَا أَقْلٌ مَالِكٍ عِنْدَ  
رَبِّكَ .

قال عبد الله بن عروة بن الزبير : إلی الله أشكو عيبي  
مألاً أدعُ ، ونعشي مألاً آتي ، وإنما يُبكتي للدنيا بالدين :  
نازع عبد الله بن الزبير أخاه حمراً (٢) ، والآخرُ  
بالمدينة سعيدُ بن العاص ، فاستعمل عبدُ الله في القول :  
فأقبل سعيدُ على عمرو ، فقال : إِيهًا يَا بَنَ أَبِي ، فَأَقْبِلْ

---

(١) وعنى لما يملك حملة دعائه ؛ فوحده وبأدائها شهادة بدلائلها  
ومعنى : شهادة في الأمل المصل ؛ وجمعه شهاد .  
(٢) عمرو بن الزبير بن العوام ، كان شديد العارضة ؛ قريبا .

عليه عبدُ الله ، فقال : هيهَا يَا بَنَ أَبِي أُحِيحَةَ (١) ،  
 فَوَاللَّهِ لَا تَأْخِيرُ مِنْكَ . وَلَا بِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ : وَلَا مُنِي خَيْرٌ  
 مِنْ أُمِّكَ ، وَلِحَالِي خَيْرٌ مِنْ خَالِكَ ، وَلِتَجِدُنِي خَيْرٌ مِنْ  
 جَدِّكَ . ثُمَّ ، اللَّهُ رَفَعَ بِالْإِسْلَامِ بَيوتاً وَوَضَعَ بِهِ بَيوتاً ،  
 فَكَانَ يَبْقَى مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي رَفَعَ ، وَكَانَ يَبْنِيكَ مِنَ الْبُيُوتِ  
 الَّتِي وَضَعَ ، وَإِنْ خَتَسَ (٢) أَنْفُكَ ، وَانْتَفَخَتْ  
 لِفَاقِدِكَ (٣) .

اِخْتَصَمَ رَجُلَانِ فِي حَدٍّ بَيْنَهُمَا بِالْأَعْوَصِ (٤) ،  
 فَتَهَا تَرَا وَتَخَاصِمَا ، فَأَتِيَا الزُّبَيْرَ بْنَ هِشَامٍ بْنِ عُرْوَةَ (٥) ،  
 وَجَعَلَاهُ حَكَمًا بَيْنَهُمَا . قَالَ : فَقَالَ لهُمَا : كَانَ رَجُلَانِ مِنَ  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ اِخْتَصَمَا فِي أَرْضٍ ، فَأَذِنَ اللَّهُ لِلْأَرْضِ ،  
 فَكَلَّمَتْهُمَا فَقَالَتْ : لَقَدْ مَلَكَنِي سَبْعُونَ أَعْوَرَ ، وَلَيْسَ

---

(١) رَأَبُو أُحِيحَةَ : هُوَ سَعِيدُ بْنُ الدَّامِصِ ، حَدَّثَهُ عَنْ هَذَا ، تَوَفَّى  
 سَنَةَ ٥٣ هـ ، وَهُوَ مُشْرِكٌ .

(٢) خَتَسَ : مِنَ الْخَسِّ ، وَهُوَ تَاخُرِي الْآلِفِ مَعَ ارْتِفَاعِ قَلِيلٍ  
 فِي أَرْنَبَتِهِ .

(٣) الْفَاقِدُ : جَمْعُ الْفَدْرِ : الْحَمَةُ فِي الْخَلْقِ .

(٤) الْأَعْوَصُ : مَوْضِعٌ قَرِيبُ الْمَدِينَةِ عَلَى أَرْيَالِ بَسِيرَةٍ مِنْهَا .

(٥) الزُّبَيْرُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ عُرْوَةَ حَدَّثَ ثِقَةً .

منهم<sup>١</sup> الآن أحد\* على ظهر الأرض . قال : فنفرتكما .  
وقال كل منهما : لا حاجة لي بها ، وترادأها .

قيل لعروة الزيري حين حمل إلى الرشيد مقيّداً :  
اختضب<sup>(١)</sup> . فقال : حتى أعلم أراسي لي أم لكم ؟  
فأدخل عليه في سلسلة ، فقال : كنت أشتيهي أن أراك  
فيها ، اخلعوا عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ، خلعة  
شتاء لا خلعة صيف .

• • •

---

(١) اختضب : صبغ شعره بالحناء .





# الباب السادس

---



## نوادير أبي العيناء ومخاطباته

حمله بعضُ الوزراءِ على دابةٍ ، فانتظرَ علفَها ،  
فلما أبطأ عليه قال : أيها الوزير هذه الدابةُ حملتني  
عليه أو حملتهُ عليَّ (٢) .

قال : وقال لي يوماً : لا تكثر الوقعةَ في الناس .  
فقلتُ : إنَّ لي في بصري شغلاً عن ذلك . فقال : ذاك  
أشدُّ لحقاً عليك على أهل العافية .

وقال له يوماً المتوكلُ : إنَّ سعيدَ بنَ عبدِ الملكِ

---

(١) محمد بن القاسم ، كنيته أبو العيناء ، ولد سنة ١٩١هـ ، هاشمي بالولاء  
وأديب فصيح ، أشهر بنوادره ، كاتب شاعر ، ولكنه خبث اللسان .  
كف بصره في الأربعين ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٧هـ .  
(٢) الدابة تطلق على المذكر والمؤنث .

يضحك منك ، فقال : ( إنَّ الذين أُجْرِمُوا كانوا منَ  
الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ) (١) .

وقال يوماً بحضرته ليخراشة : ابنُ كَمْ أنتَ ؟  
قال : ابنُ ثَيْفٍ وخمسين . قال أبو العيناء : زانيةٌ .

ودخل يوماً إلى ابنِ ثَوَابَةِ (٢) ، فقال : بلغني ما  
نحاطبتَ به أُمسَ أبا الصَّقْرِ (٣) ، وما منعه من استقصاءِ  
الجوابِ إلا أنَّه لم يجدَ عِرْضاً فيضعه ، ولا يجدُ فيه دمه ،  
وبعدُ فإنه عافَ لحملكَ أنْ يأكله ، وسهيكَ (٤) دمك  
أنْ يسفِكَه . فقال : ما أنتَ والكلام يا مكدي (٥) ؟  
فقال أبو العيناء : لا تنكر على ابنِ ثمانين ، وقد ذهبَ  
بصرُهُ ، وجفاه سلطانه ، أنْ يعوِّلَ على إخوانه ، فيأخذَ  
من أموالهم ، ولكن أشدَّ من هذا من يستنزِلُ ماءَ أصلابِ

---

(١) سورة المطففين : ٢٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن ثوابة من الكتاب في العصر العباسي ، وكان  
كاتب الرسائل لمز الدولة . توفي سنة ٨٢٤٩ .

(٣) أبو الصقر : هو إسماعيل بن بلبل ، وزير ، كان صديقاً  
لابن المنذر .

(٤) سهك : استقذر واثنته .

(٥) المكدي : الشعاذ .

الرجال . يستفرغه في جوفه . فيقطعُ أرزاقهم ،  
ويُعْظِمُ إجرامهم

فقال ابنُ تَوَاهُ : ما تشاجر اثنان إلا غلب الأَمتَهُما .  
فقال له : بها عابتَ أبا الصقر .

وقال ابنُ ثَوَابَةِ يومًا : كَتَمْتُ (١) أنفاسَ الرجال  
قال : حيثُ كانوا وراءَ ظَهْرِكَ .

وقال له يومًا نَجَّاحُ بنُ سَلَمَةَ (٢) : ما ظهوركُ  
وقد خرجَ تَوَقَّعُ أميرِ المؤمنينَ في الزنادقة ؟ فقال :  
نستدفعُ اللهَ عنكَ وعن أصهارِكَ .

ودخل على عبيدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ طاهر (٣)  
وهو يلعبُ بالشطرنج ، فقال : في أي الحيزين أنت ؟  
فقال (٤) : في حيزِ الأميرِ أبده الله .

---

(١) كَتَمْتُ أضعفُ الرجالَ جميعها .

(٢) نَجَّاحُ بنُ سلمة كان على ديوانِ الصباع ، ثم ديوانِ التوقيع  
والاتباع على العمال للمنزل .

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزازي ، ولد سنة ٨٢٢٣ هـ ،  
أمير سجاء غلب الزنادق ، ولي شرطة بغداد ، وكان له وليع بالهندسة  
والموسيقا توفي سنة ٨٣٠٠ هـ

(٤) المراد مع أي اللامعين أنت .

وغلَّب عبيدُ الله فقال : يا أبا العيناء ، قد غلبنا ،  
وقد أصابك من النَّدب (١) خمسون رطلاً ثلجاً .  
فكن أنتَ في حيلتها . قال : فقام ومضى إلى ابن ثوابة ،  
وقال : إن الأمير يدعوك ، فلما دخل قال : أيُّد اللهُ  
الأميرَ ، قد جئتُك يَجِبُ هَمْدَان ومَا سَيِّدَان (٢) ،  
فُخِذَ منه ما شئتَ .

وقال يوماً لولد حمّاج بن هارون : في أي بابٍ  
أنت من النحو ؟ قال : في باب الفاعل والمفعول . فقال :  
أنتَ في باب أبويك إداً .

ومرَّ على دار عدوِّ له ، فقال : ما خبرُ أبي محمد ؟  
فقالوا : كما تحبُّ . قال : فما بالي لا أسمعُ الرنةَ  
والصَّراخَ ؟ .

ووعده ابنُ المدبِّر (٣) بدابةً ، فلما طالبه قال :

(١) نَدب : التَّدب والسِّبق ما يوضع في الرهان فمن سبق أخذه .

(٢) ماسيدان ، موضع على يمين حلوان في العراق .

(٣) ابن المدبر . هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، وزير  
من الكتاب المرسلين من أهل بغداد ، استوزره المتمد سنة ٨٢٦٩ ،  
وتوفي سنة ٨٢٧٩ .

أُخَافُ أَنْ أَحْمَلَكَ عَلَيْهِ فَتَقْطَعَنِي وَلَا أُرَاكَ . فَقَالَ :  
عِيدَنِي أَنْ تَضُمَّ إِلَيْهِ حِمَاراً لِأَوْاطِبَ مُقْتَضِيَا (١)

ووعده أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى بَغْلٍ ، فَلَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ ؛  
فَقَالَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْعِيَاءِ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ  
بِلَا بَغْلٍ ، فَضَحَكَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَبَعَثَهُ إِلَيْهِ .

وَحْمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى دَابَّةٍ ، فَاشْتَرَاهَا ابْنُ الرَّجُلِ  
مِنْهُ بِثَمَنِ أَخْشَرِهِ ، وَلَقِيَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ ؛ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ  
يَا أَبَا الْعِيَاءِ ؟ قَالَ : بِخَيْرٍ يَا مَنْ أَبُوهُ يَحْمِلُ وَهُوَ يُرْجِلُ .  
وَقَالَتْ لَهُ قَيْنَةُ (٢) : هَبْ لِي خَاتَمَكَ أَذْكُرُكَ  
بِهِ . فَقَالَ : ادْكُرِي بِالْمَنْعِ .

وَقَالَتْ لَهُ قَيْنَةُ : أَنْتَ أَيْضاً يَا أَعْمَى ! فَقَالَ لَهَا :  
مَا أَسْتَعِينُ عَلَى وَجْهِكَ بِشَيْءٍ أَصْلَحَ مِنَ الْعَمَى .  
وَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّكْنَيْتِ (٣) يَوْمَئِذٍ : تُرَاكَ أَحْطَطَ

---

(١) مطالباً بما وعدت

(٢) القينة الجارية المنقبة .

(٣) ابن السكيت : هو يعقوب بن اسحق ، من علماء الفقه والأدب  
والشعر والأدب

بما لم أحيط به . قال : ما أنكرت ؛ فوالله لقد قال الهدهد ،  
وهو أنحس طائرٍ لسليبهان : ( أحطت بما لم  
تُحيط به ) (١) .

وقال : وقُدِّمَ إلى مائدةٍ عليها أبو هفَّان (٢) وأبو  
العيناء - فالوذج (٣) ، فقال أبو هفَّان : لهذه أحرمن  
مكانك في جهنم . فقال أبو العيناء : إن كانت هذه حارةً  
فبرِّدْها بِشِعْرِكَ .

وقال له صاعدٌ يوماً : ما الذي أخبركَ عنا ؟ قال :  
بُنَيْتِي قال : وكيف ؟ قال : قالت : يا أبته ؛ قد  
كنتَ تغدو من عندنا فتأتي بالخلعة السريّة ، والحنائرة  
السنيّة ، ثم أنت الآن تغدو مُسْدِفاً (٤) ، وترجعُ  
مُعْتَمِلاً ، فإلى من ؟ قلت : إلى أبي العلاء ذي الوزارتين .

---

(١) سورة النمل : ٢٢ .

(٢) أبو هفَّان : هو عبد الله بن أحمد المهزومي ، راوية ، شاعر ،  
أديب أخذ عن الأصمعي ، كان منهكاً فقيراً ، وله تصانيف بعضها  
مطبوع .

(٣) الفالوذج . نوع من الحلوى

(٤) السدف : الظلمة والليل . وأعم . أبطأ وتأخر .



قالت : أبعطيك ؟ قلتُ : لا . قالت : أيشفّحك ؟  
قلت : لا ، قالت : أفيرفع مجلسك ؟ قلت : لا .  
فقلت : يا أبة ، (( لِمَ تَعُدُّ مَالًا يَسْمَعُ وَلَا  
يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا )) (١) .

وقال له عبيدُ الله بن سليمان (٢) : لِمَ الْآخِبَارُ  
الْمَذْكُورَةُ فِي السَّخَاءِ وَكَثْرَةُ الْعَطَاءِ أَكْبَرُهَا تَصْنِيفُ  
الْوَرَّاقِينَ ، وَأَكَاذِبُهُمْ . قال : وَلِمَ لَا يَكْذِبُونَ عَلَى  
الْوَزِيرِ أَبَدَهُ اللَّهُ .

وقال له محمد بن مُكْرَم (٣) : لَهَمْتُ أَنْ أَمْرُ  
غُلَامِي بِدَوْسِ بَطْنِكَ . فقال : الَّذِي تَخْلُفُهُ عَلَى عِيَالِكَ  
إِذَا رَكِبْتَ ، أَوِ الَّذِي تَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِكَ إِذَا نَزَلْتَ ؟  
وقال يوماً لرجل سَلَّمَ عَلَيْهِ : مَنْ أَنْتَ ؟ . قال :  
رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ . قال : ادْنُ مِنِّي عَائِقُنِي ، فَمَا  
ظَنَنْتُ أَنَّهُ بَقِيَ مِنْ هَذَا النِّسْلِ أَحَدٌ .

---

(١) سورة مريم : ٤٢

(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب ، كاتب في العصر العباسي ، ولد  
سنة ٢٢٦ هـ ، استوزره المعتضد والمعتضد وتوفي سنة ٢٨٨ هـ .

(٣) كان مشهوراً في تعداد بالعلم والادب ، توفي سنة ٢٣١ هـ

وقال له أحمد بن سعيد الباهلي : إني أصبت لباهلة  
فضيلة لا توجد في سائر العرب . قال : وما هي ؟ قال :  
لا يُصابُ فيهم دَعيٌّ . فقال : لأنه ليس فوقهم من  
يقبلهم ، ولادؤفهم أحدٌ فينزلون إليه .

وحضره يوماً ابنُ مكرم فأخذ يؤذيه ، فقال له ابنُ  
مكرم : الساعةَ والله أنصرفُ . فقال : مارأيتُ من  
يتهددُ بالعافية غيرك .

وقال له يوماً ما يُعرض به : كم عددُ المكدين (١)  
بالبصرة ؟ قال : مثلُ عددِ البغاثين ببغداد .

وقدم ابنُ مكرم من سفر ، فقال له أبو العيئة :  
ما أهديتَ لي ؟ قال : قدمتُ في خُفٍّ . قال : لو قدمتَ  
في خفٍّ لخالقتَ نفسك .

وقال له ابنُ مكرم : مذهبي الجمعُ بين الصَّلَاتَيْنِ .  
قال : صدقتَ ، ولكن تجمعُ بينهما بالترك .

وقال له ابنُ بدرٍ (٢) يوماً وهو على بابهِ : أهذا

---

(١) المكدين : جمع مكدي ، وهو المتسول السائل الملح .

(٢) هو أحمد بن بدر الشرايبي كانت إليه الشرطة زمن الرازي .

المتزل ؟ قال : نعم ، فإن أردتَ أنْ ترى سوءَ أثرِكَ  
فانزِل .

قال له أبو الجَمَّاز : كيف ترى غِنائي ؟ قال :  
كما قال الله عزَّ وجل : ( إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ  
الْحَمِيرِ ) (١) .

ودخل إلى المتوكل ، فتقدَّم إليه طعام ، فغمسَ أبو  
العيناء لقمته في خلٍّ كان حامضاً ، فأكلها وتأذَّى  
بالحموضة ، وفطن المتوكل فجعل يضحك ، فقال :  
لا تلمني يا أمير المؤمنين ، فقد مَحَتِ الإيمان من قلبي .  
وقال له السُّدْرِيُّ : أشتهي أن أرى الشيطانَ .  
فقال : انظر في المرأة .

قال أبو العيناء : رأيت محمد بن مكرم يصلي  
صلواته كلَّها ركعتين ركعتين ، فقلتُ : يا محمد ،  
ما هذا الذي أراك تفعله ؟ قال : عزمتُ وحياتك على الخروج  
إلى قُمْ (٢) إلى عند أبي .

---

(١) سورة لقمان : ١٩ .

(٢) قم : بتشديد الميم مدينة بفارس افتتحها المسلمون سنة ٨٢٣ .

قيل لأبي العيناء : لم اتَّخَذْتُ خادمين أسودين ؟  
فقال : أما أسودان فثلاثا أَتَّهَمَ بهما ، وأما خادمان  
فثلاثا يُتَّهَمَانِ .

ونظر إلى رجل قبيح الوجه ، فقال : كأنما خُلِقَ  
هذا الرجلُ لِيَعْلَمَ الناسُ نعمةَ الله عليهم .

وقدمَ صديقٌ له من بعضِ الأعمالِ السلطانية ،  
فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذبَ ،  
فالتفت أبو العيناء إلى من كان معه فقال : نحن كما قال  
الله تعالى : ( سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَالُونَ ) (١) لَلشُّحِّ ) (١)

وقيل : ابنُ كَـمٍ أنتَ ؟ فقال : قبضه ، يعني :  
ثلاثاً وتسعين .

وقبل له : كيف حمدُك ائملان ؟ فقال : أحمدُه  
لأنَّهم ائزمان ، فأمرًا عن حُسْنِ اختيارِ فلا .

واعترضه يوماً أحمدُ بنُ سعيد ، فسَلَّمَ عليه ،  
فقال أبو العيناء : من أنتَ ؟ قال : أحمدُ بنُ سعيد ،  
فقال : إني بك لتعارف . ولكن عهدي بصوتك يرتفعُ

---

(١) سورة المائدة ٤٢ .

إليّ من أسفل . فماله ينحدر عليّ من علّو ؟ قال :  
لأنّني راكب . قال : لا إله إلا الله . لعهدي بك وأنت  
في طيمرّين (١) أو أقسمت على الله في رغب لأعضّك  
بما تكرّه .

وقال يوماً لعبيد الله بن سلمان : إلى كم يرفعني  
الوزير ، ولا يرفع في رأسا ؟

وقال له يوماً : كيف حالك ؟ فقال : أنت الحال ،  
فإذا صلّحت صلّحت .

وقال يوماً لعبيد الله بن يحيى : أبها الوزير ، قد  
برّح بي حُجّاتك ، فقال له : أرفق . فقال : لو رفق  
بي فمهلك رفق بك قولي .

وقيل له : لاتعجل ، فإنّ العجاة من الشيطان ،  
فقال : لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام :  
( وعجلتُ إليك ربّ لترضى ) (٢) .

وقال أرجل : والله مافبك من العقل شيء إلا وفداً  
ما تجيب به الحجة عليك . والشار لك .

---

(١) الطمر . الثوب الخلق البالي

(٢) سورة طه ٨٤ .

قال المتوكل : لولا ذهاب بصر أبي العيناء لأردت منادمته ، وبلغه ذلك ، فقال : قولوا له : إنني إن أعفيت من قراءة نقوش الخواتم ، ورؤية الأهلّة صلحت غير ذلك . وأنهى ذلك إلى المتوكل فضحك وأمر بمنادمته .

قال أبو العيناء : سمعتُ جاراً لي أحرق وهو يقول بجاري له : والله لخممت أن أوكّل بك من يصفع رقبتك ، ويخرج هذه الجفون من أقصى حجرٍ بخراسان .

ودخل إلى ابن مكرم ، فقال له : كيف أنت ؟ قال : كما تحب ، فقال : فلم أنت مطّاق ؟ (١) .

• • •

ومِنْ رَسَائِلِ أَبِي الْعَيْنَاءِ وَكَلَامِهِ الْمُسْتَحْسَنِ

كتب إلى أبي الوليد بن دواد : جعلتُ فداك ، مَسْنَاً وأهلنا الضر ، وبضاعتنا المودة والشكر ، فإن تعطنا أكن كما قال الشاعر :

أنا الشهابُ الذي يحمي دياركم  
لا يَخْمُدُ الدهرُ إلا ضوءه يقيد

---

(١) مطلق : غير متقلد لشؤون الوزارة .

وإن لم تفعل فلنسا ميمشً يَلْمِزُكَ (١) في الصَّدَقَاتِ .  
( فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا  
إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ) (٢) .

قال ابن مكرم : مَن رَعِمَ أن عبد الحميد اكْتَسَبَ  
من أبي العيناء إذا أحسَّ بكرمٍ أو شرع في طمعٍ فقد وهِمَ .  
كتب إلى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمدُ ،  
وهما مطالبان بمالٍ ، يبيعان له ما بما كان من عتار  
وأثاثٍ ، وعبدٍ وأمةٍ . وأعطاني بخادمٍ أسوداً عبيداً  
الله خمسون ديناراً ، فكتب إليه أبو العيناء :

قد علمت — أطال الله بقاءك . أن الكريم المنكرب  
أجدهنى على الأحرار من اللثيم الموفور (٣) . لأن اللثيم  
يزيد مع النعمة ثوماً ، ولا تريد محنة الكريم إلا كرهاً .  
هذا مُتَكِيلٌ على رآزقه . وهذا يسيء الظن بخالقه .  
وعيدك إلى ملكٍ كافورٍ فقيرٍ ، وتمنه على ما اتصل به

---

(١) يلمز : يعيب ويغتاب .

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(٣) الموفور : الكثير الوفرة والمال

يسير ، فإن سمحت فتلك منك عادي ، وإن أمرت  
بأخذ ثمنه فمالك منه مادي . أدام الله لنا دولتك ،  
واستقبل بالنعمة فكبتك ، وأدام عزك وكرامتك .  
فوهب الخادم إليه .

قال أبو العيناء : قال ملك لبنييه : صيفوا لي شهواتيكم  
من النساء . فقال الأكبر : تعجبني القُدودُ والخُدودُ  
والنهودُ . وقال الأوسط : تعجبني الأطرافُ والأعطافُ  
والأردافُ . وقال الأصغر : تعجبني الشعورُ والثغورُ  
والنحورُ .

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رباح خلة  
ومودةٌ وصداقةٌ قديمة ، فلما نكب مع الكتاب في  
أول خلافة الواثق (١) أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاه عن  
بعض الأعراب ، فلما وصل إلى الواثق وقرئ عليه .  
قال : واضع هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيم بن رباح ،  
وكان أحد أسباب الرضا عنه . ونسخة الكلام : قال :

---

(١) في سنة ٢٢٩ هـ حبس الواثق بعض الكتاب ، وألزمهم أموالاً  
عظيمة .



لقيتُ أعرابياً من أهلِ البادية ، فقلتُ : ما عندك  
 من خبرِ البلادِ ؟ قال : قتلَ أرضاً عالمُها (١) . قلتُ :  
 فما عندك من خبرِ الخليفةِ ؟ قال : تبجحَ في عزّةِ (٢)  
 فضربَ بجرائه (٣) ، وأخذَ الدرهمَ من مِصره ،  
 وأرغفَ كلَ قلمِ خيائه (٤) .

قاتُ . فما عندك من خبرِ ابنِ أبي دُوادٍ ؟ قال :  
 عضلةٌ (٥) لا تُطاق ، وجندلةٌ لا تُرام . يُنتحى  
 بالمُدَى لِسَحَرٍ فتحور (٦) ، وتُنصبُ له الحبالُ حتى  
 يهول : الآنَ ، ثم يَضُسرُ (٧) صبرةَ الذئبِ ، ويتملّسُ

---

(١) كناية عن الجهر بما سئل عنه

(٢) تبجح : توسط ، كناية عن السكن

(٣) الجرائ : الأصل باطن المتق ، وقيل : مقدم المتق من  
 مذبح البعير .

(٤) أرغف الإباء : ملأه حتى سال

(٥) العضلة : الشدائد الداهية والخذلة الجهر ، أو ما يجتمع في  
 النهر من حجارة تسبب الملاحة .

(٦) تحور : ترحج .

(٧) يضسر : يثب ، وأصلها نوع من سير الفرس

تَمَلَّشَ الضَّبَّ ، والخليفةُ يحتو (١) عليه ، والعراق (٢)  
يأخذُ بضَبَّعيته .

قلتُ : فما عندك من خبرِ عمرو بنِ فَرَج (٣) ؟  
فقال : ضُخَّامٌ حِيضَجِرٌ (٤) وغضوبٌ هِزْبِرٌ ، قد  
أهدَفَه القومُ لِبَغِيثِهِمْ ، وانتَضَوْا له عن قِسيِّهِمْ  
وأحرَّله بِمِثْلِ مِصرَعٍ من يُصرَعُ منهم ١ .

قلتُ : فما عندك من خبرِ ابنِ الزيات ؟ قال : ذاك  
رجلٌ وسَّعَ الوردَ بِشِعرِهِ ، وبطنَ بالأُمُورِ خَبِيرُهُ .  
فله في كلِّ يومٍ صرَّحٌ لا تَظْهَرُ فيه آثارُ مِخْطَبٍ ولا ذابٍ ،  
إلا بِتَسْدِيدِ الرَّأْيِ .

قلتُ : فما عندك من خبرِ إبراهيم بنِ رباح ؟ قال :  
ذاك رجلٌ "أَوْبَقَه" كَرَمُهُ ، وإنْ يَفْزُزَ للكَرامِ قِلْدَحُ (٥) .

---

(١) الحقو : العدو الشديد .

(٢) الضَّبج : العفد .

(٣) عمر بن فرج حبه المتوكل ، وكان أحد من حبهم الواصلين  
من الكتاب .

(٤) الضخام : العظيم من كل شيء ، وقيل العظيم الجرم ، للكثير  
العلم ، والحضجر : العظيم البطن .

(٥) القِدَح : السهم .

فأحرى بمنجاته ، ومعه دُهاءٌ لا يخذله ، وفوقه خليفةٌ  
لا يظلمه .

قلت : فما عندك من خبر نجاح بن سُلَمة ؟ قال :  
لادرئه من خافضٍ أوتادٍ ، يقدُّ كأنه لهبٌ نارٍ ، له  
في الفِئنة بعد الفِئنة جِلْسة عند الخليفة كحُسوةٍ  
طائرٍ ، أو كخِلْسة سارقٍ ، يقومُ عنها ، وقد أفادَ  
نِعماً ، وأوقعَ نِقْماً .

قلت : فما عندك من خبر الفضل بن مروان ؟ قال :  
ذاك رجلٌ حُشِرَ بعد ما قُبِرَ . فله نشرةُ الأحياء ،  
وفيه نخفوتُ الموتى .

قلت : فما عندك من خبر أبي الوزير (١) فقال :  
إخاله كِبش الزنادقة . ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله  
نخَصِمَ (٢) فرتَعَ . حتى إذا أمرَ بنفسه أمطر فأمرع .  
قلت : فما عندك من خبر أحمد بن الحبيب ؟

---

(١) أبو الوزير . وزير المتوكل

(٢) الخسم الأكل بالضم كله .

فَقَالَ : أَحْمَدُ أَكَلَ لِمِ كَلَّةٍ نَهَمَ ، فَأَخْلَفَ خِلَافَةً  
بِشْمِ (١) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ ؟ قَالَ :  
ذَاكَ رَجُلٌ قَدْ مَنَّ صَخْرُهُ ، فَصَبَرُهُ صَبْرُهَا ، وَمَسَّهُ  
مَسُّهَا .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ :  
كَتُومٌ غُرُورٌ ، وَجَائِدٌ صَبُورٌ ، لَهُ جِلْدٌ نَمِيرٌ ، كَأَنَّمَا  
قَدَّرُوا لَهُ إِهَابًا أَنْشَأَ اللَّهُ لَهُ إِهَابًا (٢) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَعْضُوبٍ ؟ قَالَ :  
(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْهَثُونَ) (٣)

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهَبٍ ؟ فَقَالَ :  
ذَاكَ رَجُلٌ اتَّخَذَهُ السُّلْطَانُ أُنْحَاً ، فَاتَّخَذَتْ نَفْسُهُ  
لِلْأَسْطَانِ عِبَادًا .

---

(١) بِشْمٌ : يَالِغٌ فِي الطَّعَامِ حَتَّى التَّخَمُّنِ

(٢) الْإِهَابُ : سِلْدُ الْحَيَوَانِ قَبْلَ دَفْنِهِ

(٣) سُورَةُ النُّحْلِ : ٢١ .

قلتُ : فما عندك من خير أخيه الحسن ؟ فقال  
 شد ما استنوقتُ (١) مسألتك ! ذاك حرمةٌ حُبِستُ  
 تحريرهِ المجرم . لبس في القوم في خلٍّ ولا خَمَرٍ ،  
 هيئَات .

كُتِبَ اليَمنُ والخِراجُ إليهم  
 وسأى الحصناتِ جرَّ الذُّيولِ (٢)

---

(١) مأخوذ من المثل : « استنوق الجمل » . إذا ضحك أمره .

(٢) مأخوذ من بيت عمر بن أبي ربيعة

كتب القل والقتال علينا وعلى الحصنات جر الذُّيول



## الباب السابع

---





## سوار مزبد

أخذه بعضُ الولاة وقد اتهمه بالشرب ،  
فاستنكهته (٢) ، فلم يجد منه رائحةً ، فقال : قيسئوه .  
قال : من يضمن عثنائي أصلحك الله ؟ .

قيل له مرة ... وقد أفحش في كلامه ... : أمْلِ على  
كاتبَيْكَ (٣) خيراً . قال : أكرهُ أنْ أخاطبَ عليهما .  
وَدَّعَى رجلٌ عليه شيئاً ، وفدّته إلى القاضي .  
فأنكره ، وسأله إقامة البينة ، فقال : ليس لي بينة .  
قال : فاستحلفه لك ؟ قال : وما يمينُ مزبدٍ أصلحك الله ؟

---

(١) مزبد المديني كان يضرب به المثل في الهرل والدعابة .

(٢) استنكهه : شم أي : رائحه .

(٣) المراد : المكان الكانبان .

فقال مُزَبَّدٌ : ابعث ، أصالحك الله ، إلى ابن أبي ذئب (١)  
فاستحلفه له .

وتناول رجلٌ من لحيتِه شيئاً ، فسكت عنه ، وكان  
الرجلُ قبحَ الوجه ، فقال : ويحك لم لا تدعولي ؟ فقال :  
كرهتُ أن أقولَ صرفَ الله عنكَ السوءَ فتبقى بلا وجه .

وقيل له : أيسرُّك أن هذه الحُبَّةُ لك ؟ قال : نعم ،  
وأضربُ عشرين سوطاً . قيل : ولم تقولُ ذلك ؟ قال :  
لأنَّه لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ .

وأما أصحابُ له يوماً ، فقالوا له : يا أبا إسحاق ،  
هل لك في الخروج بنا إلى العَفِيقِ (٢) ، وإلى قُبَاءِ (٣) ،  
وإلى أحدِ ناحيةِ قبورِ الشهداءِ ؛ فإن يومئذٍ كما ترى  
يوم طيِّب . قال : اليومُ يوم الأَرْبَعاءِ ولستُ أبرحُ من

---

(١) ابن أبي ذئب من الصالحين .

(٢) العَفِيقُ . يطلق على كثير من المواضع ، والمراد هنا عَفِيق  
المدينة ، بجانبها ، فيه عيون ونخل .

(٣) قُبَاءُ ، في طرف المدينة ، يقصر ويمد ، بها مساكن بعض الأنصار  
ومسجد قُبَاء المشهور

منزلي . قالوا : وما تكره ؟ . يومُ الأربعاء فيه ولِدَ  
يونسُ بن متى عليه السلام . قال : بأبي وأمي أنتم فقد  
التقّمه الخوتُ . قالوا : غير اليوم الذي نُصِرَ فيه النبي  
عليه السلام يومَ الأحزاب . قال : أجل . ولكن بعدَ  
إذْ زَاغَتِ الأبصارُ ، وباغَتِ القلوبُ الحناجرُ . وظنُّوا  
بالله الظنونَ .

استأذن مُزَيِّدٌ على بعض البخلاء وقد أهدى له  
تيناً في أولِ أوّانه ، فلما أحسَّ بدسّخوله تناول الطبقَ .  
فوضعه تحت السرير ، وبقيت يده معلّقة ، ثم قال لمزبّد :  
ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قال : يا سيدي ؛ مررت السّاعة  
ببَابِ فلان ، فسمعتُ جاريته تقرأ لحناً ما سمعتُ قطُّ  
أحسنَ منه ، فليحاً عاشت من شدة عجبتيك للقرآن .  
وسماعك للألحان ، حفظته ، وجئتُ لأقرأه . عليك .  
قال : فهاتيه . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم (( والزيتون ،  
وطُورِ سينين . )) (٣) فقال : وبالك ! أين التين ؟ قال :  
تحت السرير . . .

---

(١) سورة التين : ٢٥١ .

احتاج مزبّد" أن يبيع جُيبته لسوء حاله ، فنادى  
عليها المتنادي - فلم يطاب بشيء ، فقال : مزبّد : ما كنتُ  
أعلمُ أنّي كنتُ عرباناً إلى الساعة .

ونظر يرمأ إلى امرأته تصعد في درجة ، فقال :  
أنتِ الطلاق إنْ صعدتِ ، وأنتِ الطلاق إنْ وقفتِ ،  
وأنتِ الطلاق إنْ نزلتِ . فرمت بنفسها من حيث بلغت .  
فقال لها : فذاك أبي وأمي ! إن مات مالك احتاج إليك  
أهلُ المدينة في أحكامهم .

وقالت امرأةُ مزبّد - وكانت حبيلى - ونظرتُ  
إلى فبيع وجهه - . الويلُ لي إن كان الذي في بطني  
يُشبهك ، فقال لها : الويلُ لي إن كان الذي في بطنيكَ  
لا يشبهني .

دفع مرّةً إلى والي مكة ، وقد أفطر في شهر رمضان ؛  
فقال له الوالي : يا علوّ الله ، تَفْطِر في شهر رمضان !  
قال : أنتِ أمّرتَنِي بذلك . قال : هذا شرٌّ ، كيف  
أمّرتُك ؟ وبالك . قال : حدّثت عن ابن عباس :

أنه من صام يوم عرفةَ عدلَ صومهُ سنةً ، وقد صُمتهُ .  
فضحك الوالي وختلاًه

واعتلَّ عاهةً ، وأشرف منها إلى الهلاك ، وأراد أن  
يُوصي ، فدعا بعض أوليائه ، وأوصى إليه ، وكتب كتاب  
وصيته ، وأمر للوصي بشيءٍ ؛ فلما فرغ من الكتابة  
راه مُزَبَّدٌ وهو يُتْرَبُ الكِتَابَ ؛ فقال وهو على تلك  
الحال : نعم يا سيدي ، فهو أقضى للحاجة (١) .  
ونظر إلى قومٍ مُكْتَفِينَ يَسْلُطُ بِهِم إلى السجن ،  
فقال : ما قصَّةُ هؤلاء ؟ قالوا : خيرٌ . قال : إن كان  
خيراً فاكْتِفُونِي معهم .

\* \* \*

---

(١) أشار إلى الحديث الشريف . « إذا كتب أحدكم فليزب فإنه  
أنجح » .



## الباب الثامن

---





## نوار أبي الحارث حمين

قيل له : ماتقولُ في فالوذجة ؟ قال والله لو أنَّ  
موسى لقيَّ فرعونَ بفالوذجة لآمن ، ولكنه لقتَه بعصاً .

وقيل له يوماً : ماتشتهي ؟ فقال : نشيشَ مِقْلَاةٍ  
بينَ غليانِ قِدرٍ على رائحةِ شواء .

وكان لا يأكل الباذنجانَ ، فكأيدَه محمدُ بنُ يحيى  
واتخذَ ألوانَه كلَّها بباذنجان ، فجعلَ كلما قُدِّمَ  
لنَّ فِرا بهُ الباذنجانُ فيه توقَّاهُ ، وأقبلَ على الخبزِ والملحِ ،  
فلما عطشَ قال : يا غلامُ ، اسقِنِي ماءً ليس فيه باذنجان .

وكتب يوماً إلى صديق له : أوصبكَ بتقوى الله ،  
إلاَّ أن تَرى غيرَ ذلك خيراً منه .

---

(١) أبو الحارث حمين ، أحد المشهورين بالنوادر والمزاح .

وقيل له : سبقتَ ببردونك هذا قط ؟ قال : بلى ،  
مرة . دخلنا زقاقاً لامنفذة له وكنت آخر القوم ، فلما  
رجعنا كنت أول الموكب .

ودخل جماعة من إخوانه . فاشتبهوا عليه لونا  
يطبخه لهم ، فدنا أحدهم من القدر ليدوقها ، وأخرج  
قطعة لحم وأكلها ، وفعل كل واحد منهم كذلك ،  
فقال أحدهم : هي طيبة لكنها تحتاج إلى شيء لا أدري  
ماهو ؟ فقال أبو الحارث : أنا أعلم . هو ذا تحتاج  
إلى اللحم .

وحكى دِعبلٌ قال : بلغني أن أبا الحارث قد  
فُلج ، فاغتممتُ لظرفه وملاحته . فصيرتُ إليه فوجدته  
في عافية . فحمدتُ الله وسألته عن خبره ؟ فقال :  
دخلتُ الحمام وأكلتُ السمك ، ودعوتُ المزيّن فأخذ  
شعري ، فظنّ الفالج لما رأى المزيّن عندي أني احتجمت ،  
فلما علم أنه أخذ من شعري تركني وانصرف .

ونظر يوماً إلى بردون يُستتمى عليه ، فقال :  
« وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » .

لو أن هذا همّلتج ما كان هذا (١) .

وأكل يوماً مع الرؤماء بيضاً مسلوقة ، فجعل يأكل  
الصفرة ، وينحّي البياض إلى بين يدي أبي الحارث  
عبثاً به ، فقال لما طال ذلك عليه — وتنفس الصعداء — :  
سقى الله روح العجّة فما أعدّها .

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً ، فقال له : ماتتشي ؟  
قال ، أما اليوم فمأ حصريم ، وأما غدا فهريسة .  
قال بعضهم : دخلت على جمّين أعوده من مرض به ،  
فقلت له : ما تشتهي ؟ فقال : أهيّن الرقباء ، وألّسن  
الوشاة ، وأكباد الحساد .

قيل لجمّين — وقد رأى سوداء قبيحة — : ابتلاك  
الله بحبّها ، قال : يانغيض ، لو ابتلاني بحبها كانت  
عندي من الحور العين ، ولكن ابتلاك الله بأن تكون  
في بيتك وأنت تبغضها .

وقال له الرشيد : اللوزينج أطيب أم الفالودج ؟

---

(١) ملح . أسرع في سبره .

قال : أحضِرْهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَحْضَرَا ، فَجَعَلَ  
يَأْكُلُ مِنْ هَذَا وَهَذَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَا  
أَرَدْتُ أَنْ أَشْهَدَ لِأَحَدِهِمَا غَمَزَنِي الْآخَرُ بِحَاجِبِهِ .

قال بَصْرِيٌّ لَجَمِينٍ : يَا تَيْنَا الْمَدُّ وَالْخَزْرُ فِي كُلِّ  
يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ . قال : يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ فِي هَلَاكِكُمْ مَرَّتَيْنِ ،  
وَكَانَ قَدْرًا .

وَدَعَتْهُ امْرَأَةٌ كَانَ يَحِبُّهَا ، فَجَعَلَتْ تَحَادِثُهُ وَلَا تَذْكُرُ  
الطَّعَامَ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهِ قَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ،  
لَأَسْمَعَ لِلْغَدَاءِ دِكْرًا . قَالَتْ لَهُ : أَمَا تَسْتَحْيِي ! أَمَا فِي  
وَجْهِهِ مَا يَشْغَلُكَ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ،  
لَوْ أَنَّ جَمِيلًا وَبُثْنَةً قَعَدَا سَاعَةً لَا يَأْكُلَانِ شَيْئًا لَبَرَزَ قِي (١)  
كُلِّ مِنْهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ .

\* \* \*

---

(١) بَرَزَ . بَصَقَ

## الباب التاسع

---



## نوادير الجمار (١)

قال الجمارُ لأبي شُراعة (٢) : كيف تجدك ؟  
قال : أجدني وقيداً (٣) من دمايل قد ظهرت في أقبح  
المَوَاضِع . قال : ما أرى في وجهك منها شيئاً .

قال بعضُ إخوان الجمار — وقد دخل إليه وهو  
يطبخُ قِدرًا . : لا إله إلا الله ما أعجب الرزق ! فقال  
الجمار : أعجبُ منه الحرمان . امرأته طالق إن ذُقْتُها .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمرو الجمار ، بصري غيبيث اللسان ماجن  
وهو ابن أخي سلم بن عمرو الخاسر الشاعر ، كان الجمار شاعراً صاحباً  
مقطعات ، توفي سنة ٢٥٠ هـ في أيام المتوكل .

(٢) هو أحمد بن محمد بن شُراعة ، شاعر بصري جزيل اللفظ ،  
مات في أيام المتوكل

(٣) الوقْد المَرِيض المَشْرَب على الموت .

وقال له السهرري : وُلِدَ لي البارحة ابنٌ كأنه الدينار  
المنقوش . فقال الحمَّاز : لآعينُ أمَّه (١)

صلى رجلٌ صلاةً خفيفةً . فقال له الحمَّاز : لو  
رَأَى العجاج (٢) لُسِّرَ بك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّ  
صلواتك رجز .

رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه ، فقال له الحمَّاز :  
وما تستحسنُ منه ؟ فوالله إنَّ فيه لخيصالاً لو كانت  
إحداهنَّ في الحمار لودَّ بها ، قال : وما هي ؟ قال : إذه  
يدخل الرواذن (٣) ، ويمنعُ من اللبيب ، ويدلُّ على  
الصوص . ويسخن من الماء ، ويخرق الكتَّان ، ويورث  
الزكام ، ويحل الدين ، ويزهيم اللحم .

كان المتوكل يُحدِّث عن الحمَّاز ، فكتبَ في  
حمِّله ، فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذي ظنَّه ، فقال

---

(١) لآعين الرجل زوجته إذا قدمها بالزنى .

(٢) هيد الله من ووجه العجاج ساعر استهر بالرجز .

(٣) الرواذن : الكوى .



المتوكل . تكلم فإني أريد أن استبرئك (١) . فقال الجمّاز :  
بحيضةٍ أو بحيضتين ، فضحكت الجماعة .

وقال له الصّح : قد كاتمتُ أميرَ المؤمنين فيكَ حتّى  
ولاكَ جزيرةَ القُرودِ ، فقال له الجمّاز : أفلستَ في  
السمع والطاعةِ أصلحك الله ؟ فحُصِرَ الفتحُ وسكتَ .

فقال له بعضُ مَنْ حضر : إنّ أميرَ المؤمنين يريد  
أن يهبَ لك جاريةً . فقال : ليس مثلي مَنْ غرّم نفسه ،  
ولا كذب عند أمير المؤمنين . إن أرادني أن أقودَ عليها ،  
وإلاّ فمالها عندي شيء . فأمر له المتوكل بعشرة آلاف  
درهم ، وأخذها وانحدر ، فمات فرحاً .

\* \* \*

---

(١) من معاني استبرأ : إن الرجل لا يطأ امرأته إذا كانت متزوجة  
قبله ، أو منه حتّى تحيض .



# الباب العاشر

---



## سوار المجانين

قال مجنونٌ — ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة — :  
أيها الناس : ( إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ) (١) .  
فقال له مجنونٌ آخر . ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ  
أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) (٢) .

ومرَّ مُوسَىٰ بن أبي الروقاء ، فناداه صَبَّاحُ الموسوس :  
يا بَنَـ أبا الروقاء أَسَمَنْتَ بِرَذَوْنِكَ ، وَهَزَلْتَ دِينَكَ (٣) .  
أما والله إِنَّ أَمَامَكَ لَعَقِبَةٌ لَا يَجُوزُهَا إِلَّا الْمُخِيفُ . فَحَبَسَ  
موسى بِرَفْوَنِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا صَبَّاحُ الموسوس . قال :  
ما هو بموسوس ؟ .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سورة طه - ١١٤ .

(٣) هزل لازم ومتعد .

وقف رجلٌ على بُهلُول ، فقال له : تعرفُنِي ؟  
فقال بُهلُول : إِيَّيَّيَّ وَاللَّهِ ، وَأَنْتَسِبُكَ نَسَبَ الْكَمَّاءِ ،  
لَا أَصْلَ ثَابِتٍ ، وَلَا فَرْعَ ثَابِتٍ .

ودعا الرِّشِيدُ بُهلُولاً لِيَضْحَكَ مِنْهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ دَعَا  
لَهُ بِمَائِدَةٍ فَقُدِّمَ عَلَيْهَا خَبِزٌ وَحَدَّةٌ ، فَوَلَّى بُهلُولٌ  
هَارِباً ، فَقَالَ لَهُ : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : أَجِئْتُكُمْ يَوْمَ الْأَضْحَى ،  
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ لَحْمٌ .

أَخْرَجَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ (١) مِنْ حَبْسِهِ مَجْنُوناً  
يَمَازِيحُهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَدْرِي لِمَ أَخْرَجْتُكَ ؟ قَالَ : لَا .  
قَالَ : لِأَسْخَرَ مِنْكَ . قَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ حَكَّمُوا  
حَكَمَيْنِ فَسَخَرَا أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ .

قَالَ الْمُبَرَّدُ : دَخَلْتُ يَوْمًا دَيْرَ هِرْزُقِيلَ ، فَرَأَيْتُ  
فِي ضَحْنِ الدَّارِ مَجْنُوناً ، فَدَلَعْتُ لِسَانِي (٢) فِي وَجْهِهِ ،  
فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ مَنْ حَلُّوا  
وَمَنْ رَبطُوا .

---

(١) بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، أَمِيرُ الْبَصْرَةِ  
وَقَاضِيهَا .

(٢) دَلَعَ لِسَانَهُ : أَخْرَجَهُ .

قال بعضهم : رأيتُ بحمص مجنوناً يقول :  
يا قوم ، مَنْ يتعلمُ : « لا أدري » ؟ يا هذا ، تعلم :  
« لا أدري » ، فلانّك إذا قلتَ : « لا أدري » علموك حتى  
تدري وإذا قلتَ : « أدري » سألوكم حتى لا تدري .  
وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرة مكساة ، فقال :  
مَنْ يعطيني نصفَ درهم حتى أصعد ؟ فعجبة الناسُ  
وأعطوه ، فأحرزَه ، ثم قال : هاتُوا سلّماً . قالوا :  
ما كان السلم في الشرط . قال : وكان بلا سلم في الشرط ؟ .  
ووقف بهلول على رجُل ، وقال : خبرني عن  
قول الشاعر :

« وإذا نَبَا بكَ منزلٌ فتحوّلِ »

كيفَ هو عندك ؟ قال : جيدٌ . قال : فإن كنتَ  
في الحبس فكيف تتحوّل ؟ . قال : فانقطع الرجلُ ،  
فقال بهلول : الصوابُ قولُ غيره :

إذا كُنْتَ في دارٍ يسوءُكَ أهلُها

ولم تَلُكَ مَكْبُولاً بها فتحوّلِ

أصيب إسحاقُ بنُ محمدٍ بنِ الصّباح الكندي بابنِ

له ، فجزع ، فدخل أهل الكوفة يعزونه ، ودخل فيهم  
بُهلُول ، فقال : أيسرُك أنه بقي وأنه مثلي ؟ . قال :  
لا والله ، وإنما تعزية ! .

هرب مجنون من الصبيان ، ودخل دهليزا ، وأغلق  
الباب في وجوههم وجلس ، فخرج إليه صاحب الدار ،  
فقال : لِمَ دخلت دَارِي ؟ . قال : من أيدي هؤلاء  
أولاد الزنبي . فدخل صاحب الدار ، وأخرج طبقاً عليه  
رُطبٌ كثيرٌ ، فجلس المجنون يأكل ، والصبيان يصيحون  
على الباب ، فأخرج المجنون رأسه إلى صاحب الدار ،  
فقال : بابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ  
الْعَذَابُ .

قبل لمجنون كان بالبصرة : عُدَّ لنا مجانيين البصرة .  
قال : كلفتموني شَطَطاً ، أنا على عَدِّ عقلائهم أقدر .  
قال الفزاري : رأيتُ مجنوناً يُسوِّي رأسَ سكران ،  
ويقول له : يؤيؤ (١) ، والله لا أفلحت أبداً .

شدَّ مجنونٌ على رجل بالبصرة ، فأخذه الرجل

---

(١) يؤيؤ : طائر صغير أصفر اللون يضرب إل الزرقة .



فَضْرِبْهُ . فَقَالَ النَّاسُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ، وَجَعَلَ الْمَجْنُونُ يَقُولُ  
مِنْ تَحْتِهِ : وَيَحْكُمُ أَفْهَمُوهُ .

وَجَازَ بِهِ لَوْلَ بِسُوقِ الْبَزَازِينَ ، فَرَأَى قَوْمًا مُسْتَجْمِعِينَ  
عَلَى بَابِ دُكَّانٍ يَنْظُرُونَ إِلَى نَقَبٍ قَدْ نُقِبَ عَلَى بَعْضِهِمْ ،  
فَاطَّلَعَ فِي النَّقَبِ ، ثُمَّ قَالَ : وَكَلِّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَا مِنْ  
عَمَلِ مَنْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَلِئَنِّي أَعْلَمُ . فَقَالَ النَّاسُ :  
هَذَا مَجْنُونٌ يَرَاهُمْ بِاللَّيْلِ وَلَا يَتَحَاشَوْنَهُ ، فَأَنْعِمُوا لَهُ  
الْقَوْلَ لَعَلَّهُ يَخْبِرُ بِذَلِكَ . فَسَأَلُوهُ أَنْ يَخْبِرَهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي  
جَائِعٌ ، فَهَاتُوا أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ رِقَاقٍ وَرَأْسِينَ ، فَأَحْضَرُوا  
ذَلِكَ وَأَكَلَ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى قَالَ : هُوَذَا أَشْتَهِي شَيْئًا حُلُوا ،  
فَأَحْضَرُوا لَهُ رَطْلِينَ فَالْوَدَجَ فَأَكَلَهُ . وَفَرَّغَ مِنْهُ وَقَامَ  
وَتَأَمَّلَ النَّقَبَ ، ثُمَّ قَالَ : كَأَنَّكُمْ السَّاعَةَ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا  
مِنْ عَمَلِ مَنْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : هَذَا مِنْ عَمَلِ اللُّصُوفِ  
لَا شَكَّ . وَعَدَا .

جَاءَتْ امْرَأَةٌ دَثْدَانِ الْمَجْنُونِ إِلَى الْقَاضِي ، فَقَالَتْ .  
أَصَابَكَ اللَّهُ ، إِنَّهُ يُسْجِئُنِي وَيُضْرِبُنِي ! قَالَ الْقَاضِي .

ما تقول ؟ . قال دندان : أما الضربُ فنعم ، وأما  
 الجوعُ فهي طالقٌ ثلاثاً إن لم تجيء معي إلى منزلي  
 مع أصحابك أيها القاضي . فقال لأصحابه : قوموا بنا  
 لا يتحنت . فقام القاضي ، وذهب معه ، فلما دخل جاء  
 به إلى منزلة فيها رَجِيسٌ (١) عظيم ، فقال : أصلحتك  
 الله . هذا يخرجُ من بطن جائعٍ ٢ . قال : أخزأك الله ،  
 فلأنك أحق . قال : أحقُّ مني من أطاع المجانين .

كان بهلول يوماً جالساً والصبيان يؤذونه وهو  
 يقول : لاحول ولا قوة إلا بالله . يُعيدهُ مِراراً ، فلما  
 طال أذاهم له أخذَ عصاه وقال : حمي الوطيسُ .  
 وطابت الحربُ ، وأنا على بيته من ربي . ثم حمل  
 عليهم وهو يقول :

أشدُّ على الكنيصةِ لا أبالي

أفيها كسان حثفي أم سيواها (٢) .

---

(١) الرجيع : الروث .

(٢) البيت للعباس بن مرداس .

فتساقط الصبيانُ بعضهم على بعض ، وتهاربُوا ،  
فقال : هُزِمَ القوم وولَّوْا الدبر . أمرنا أمير المؤمنين -  
رضي الله عنه - ألاَّ نتبعَ مؤلَّيًّا ، ولا نُدْفَقَ (١) على  
جريح ، ثم رجع وجلس وطرح عصاه ، وقال :

فَالْتَقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى  
كما قرَّعَ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ (٢)

\* \* \*

---

(١) دَفَقَ عَلَى الْجَرِيحِ : أَحْزَى عَلَيْهِ .  
(٢) أَلَقَ الْمَسِيرَ عَصَاهُ : بَلَغَ مَوْضِعَهُ وَاسْتَقَرَّ بِهِ



## الباب الحادي عشر

---



## سوار البخلاء

قال بعضهم لبخيل . لم لا تدعوني يوماً ؟ . قال .  
لأنك جيّد المَضغِ ، سريعُ البَلعِ ، إذا أَكَلْتَ لُقْمَةً  
هَبَّتْ أُخْرَى . قال : فتريدُ مني إذا أَكَلْتُ لُقْمَةً أَنْ  
أُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى الثَّانِيَةِ ؟ .

دخل واحدٌ إلى بعضهم وهو يأكل ، ومعه آخر ،  
فقال للدّاخِلِ : تعالَ كُلْ . قال : قد تَغَدَّيْتُ .  
فقال : هذا أيضاً رَعِمَ أَنَّهُ تَغَدَّى .

ودخل آخرٌ على بعضهم وبين يديه طبقٌ عليه تين ،  
فلما أَحَسَّ الدّاخِلُ غَطَّى الطَّبَقَ بِذَيْلِهِ ، وأدخَلَ  
رَأْسَهُ فِي جَيْدِ ، وقال للدّاخِلِ : كُنْ أَنْتَ فِي الْحَجَرَةِ  
الْأُخْرَى حَتَّى أَفْرِعَ مِنْ بُخُورِي

أكل ابن المدر يوماً عند ابن الفياض (١) ، فقدّمت  
جوادابة (٢) في نهاية الجوده ، وأمعن ابن المدر فيها ،  
فلم يصبر ابن الفياض حتى قال له : أليس رعمت  
أنك لست صاحب جواداب .

وقال بعض المبخطين لرجل على مائدته : اكبر  
ذلك الرغيف . فقال : دعه يبتلى به عيري .

دعا بخل " قوماً . واتخذ لهم طعاماً . فلما جلسوا  
ياكلون وهو قائم يخدمهم ، وأمعنوا في الأكل جعل  
صاحب البيت يتلو فيما بينه وبين نفسه . ( وجزأهم  
سما صبروا جنةً وحريراً ) (٣)

وكان جعفر بن سليمان يحيا على الطعام ، فرفعت  
المائدة من بين يديه وعليها دحاجة ، فوثب عليها بعض  
بنيه وأكل منها ، وأعيدت عليه من غد ، فلما رآها  
وقد أكل منها شيء ، قال : من هذا الذي تعايط فعقر (٤)

---

(١) علي بن محمد القاض ، كاتب

(٢) الجوداب : طعام يتخذ من اللحم والرر والسكر والبدق .

(٣) سورة الإنسان ١٢٠

(٤) إشارة إلى الآية : ( مادوا صنحهم تعايط فمقر ) سورة القمر . ٢٩ .



قالوا : ابنك فلان . فقطع أرزاقَ بنيه كلهم ، فلما طال عليهم قال بعضُ بنيه : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا (١) ، فأمر برَّدَ نِصفِ أرزاقهم .

وقف واحدٌ على الحُطْبَةِ استقْرِبه (٢) فسمعه . فقال : إنَّ الرَّمْضَاءَ قد أحرقت قدمي . قال . بل عابهما تبردا قال : وما عندك غيرَ هذا ؟ قال : بلى . هراوةٌ من أرزن (٣) معجَّرة . قال : إي ضيف . قال : للضيفان أعددتُها .

قال أبو الأسود الدؤلي - وكان بَحِيلاً - : أو أطعنا المساكينَ في أموالنا كُنَّا أسوأَ حالاً منهم .

قال الجاحظ : حدثني بعضُ أصحابنا قال : كنا منطلقين إلى رجلٍ من كبارِ أهلِ العسكر . وقد كان لُتُنًا عنده يطولُ ، فقال له بعضُنا : إن رأيتَ أن تجعل

---

(١) إشارة إلى الآية : ( أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ) سورة

الأعراف : ١٥٥ .

(٢) يستقر به . يطلب منه القربى ، وهو طعام الضيف .

(٣) الأرزن : شجر صلب والخشب العجراة التي بها عقد .

أنا أماره إذا طهرت خفمنا ، ولم ننزعك بالقمود .  
وقد قال أصحاب معاوية مثل الذي قلنا لك ، فقال :  
أماره ذلك إذا قلت : إذا شئتم . وقال أصحاب يزيد  
مثل ذلك . فقال : إذا قلت : على بركة الله ، وقيل  
لعمد المالك ، فقال : إذا أقيت الخيزرانة من يدي ،  
فأي شيء نجعل لنا أصاحتك الله ؟ فقال : إذا قلت :  
يا غلام ، الغداء .

قال جُحْظَةُ (١) : دخلت وأنا في بقايا عيلة  
على كاتب ، فقدم إلينا مَخصيرة ، فأمعنت فيها ، فقال :  
جُعِلَتْ هداك ، أنت عليل ، وبدنك نحيل ، واللبن  
يستحيل ، فقالت : والعظيم الجليل لا تركت منها كثيراً  
ولا قليلاً ، وحسبنا الله ونعزم الوكيل .

حُفَيْنَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ الْأَسَدِيِّ (٢) بحُقْنَةٍ فيها  
دُهْنٌ ، فلما حركته بطنه كره أن يذهب الدهنُ

(١) جحظة . هو أحمد بن حمير بن موسى البرمكي ، لقب بجحظة  
لحسوط عينيه ، أديب ، وشاعر ، ونديم ، ولد سنة ٨٢٢٤ ، وتوفي  
سنة ٨٢٢٤ .

(٢) هو عمر بن يزيد الأسدي ، أحد الشجعان المقدمين في حكم بني  
مروان .

صياغاً ، فدعا بطست وجلس عليه . ثم قال : صفوا  
هذا الدهن فإنه يصلح للسراج .

وأوصى بعضهم ابنه ، فقال : كن مع الناس  
كلاعيب الشطرنج يحفظ شئته .

كان بالكوفة رجل من المصلحين — وهذا لقب  
المُقدِّمين منهم في اللوم — فبلغه أن بالبصرة رجلاً من  
المصلحين مقدماً في شأنه ، فقام الكوفي ، وصار إلى  
البصرة ليتلقى صاحبه . فلما قدم عليه قال له : مَنْ  
أنت ؟ قال : أنا مصلح من أهل الكوفة ، وقد بلغني  
خبرك ، فرحبت به ، وأدخله البيت وأجلسته ، وأخذ  
قطعةً ومرّ ليشتري له شيئاً يأكله ، فلما خرج إلى السوق  
دنا من البقال ، فقال : عندك خبز ؟ فقال : عندي خبز  
كأنه السمن فقال المصلح في نفسه : لِمَ لا أشتري  
ما نفعته به ؟ فذهب إلى آخر ، وقال : أعندك سمن ؟  
فقال : عندي سمن كأنه الزيت فقال في نفسه : أذهب  
فأخذ ما نفعته به ، فذهب إلى بقال آخر ، فقال : عندك  
زيت ؟ قال : عندي زيت كأنه الماء . فقال في نفسه :  
عندي والله راوية ماء . فرجع إلى البيت ، وأخذ الماء

في غَضَارَةِ (١) وفدمه إلى الكوفي وقال : كُلْ هذا ،  
لأنه نَعْتُ النَّعْتِ ، فقال الكوفي : أنا أشهدُ أنكم أحقُّ  
بالإصلاح منَّا بِألفِ دَرَجَةٍ .

قال بعضهم : بَيْتٌ عند رجلٍ من أهل الكوفة .  
وهو من المؤسِّرين المعروفين بحُسْنِ الحال ، وله  
صبيانٌ نيامٌ بَعَثَ أراهم ، فرأيتُهُ في الليلِ يَقُومُ فَيَقْلِبُهُمْ  
من جَنْبٍ إلى جَنْبٍ ؛ فلما أصبحنا قلتُ له : رأيتك  
يا أبا جعفر البارحةَ تَعْمَلُ كَيْتَ وَكَيْتَ ، قال : نعم ،  
هؤلاء الصبيانُ يأكلون وينامون على اليسار ، فيُمرِّهم  
الطعام فيصبحون جِيعاً ، فأنا أَقْلِبُهُمْ من اليسار إلى  
اليمين ؛ لئلا يَنْهَضِمَ ما أَكَلُوهُ سريعاً .

قال بعضهم : دخلتُ الكوفةَ فسمعتُ امرأةً تقول :  
يا أبا جعفر الدِّقَّاقُ ، حَسْبُكَ اللهُ (٢) — وقد اجتمعَ  
الناسُ عليهما — فقال الدِّقَّاقُ : مالك ؟ قالت : أعطيتني  
كَيْلَ جَعَةِ (٣) دَقِيقٍ ما جاء منها إلا ثَمَانُونَ رَغِيفاً . قال :

---

(١) غصارة : إناء كالقلة .

(٢) حسيك الله : انتقم الله منك .

(٣) الكيلجة والكيلقة : شيء يكال به .

يا مُسْرِفَةٌ ؛ إذا كنتِ تخبزين رُغفاناً مثل الأُرْحَبَةِ  
فأيُّ ذنب لي ؟ .

قال آخرُ : رأيتُ بالكوفة صبيّاً ومعه قُرْصَةٌ (١) ،  
وهو يكسر لقمةً لقمةً ، ويرمي بها إلى شَقٍّ في بعض  
الحيطان يخرج منه دُخَانٌ . ويأكلها . قال : فبقيتُ  
أتعجّبُ منه ، إذْ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خَبَرِهِ ؛  
فقال الصبي : هؤلاء قد طبخُوا سَكْبَاجَةً (٢) حَامِضَةً  
كثيرةً التوابل ؛ فأنا أتأدّم برائحَتِها . قال : فصَفَعَهُ  
أبوه صَفْعَةً صُلْبَةً كَادَ يَقْطَعُ بِهَا رَأْسَهُ وقال : تريدُ  
تُعَرِّدُ نَفْسَكَ من اليومِ إلّا تأكل خبزاً إلا بَادَمَ .

نزل بكوفي ضَيْفٌ ، فقال لحارِيتَه : يا جارية .  
أصْلَحِي لضيْفِنَا فالودَجَا . قالت الحارِيةُ : ايس عندنا  
شيء . قال : ويلك ! فهاتِي قطيفةَ إِبْرِيَسَمِ (٣) حتى يام .

---

(٢) القرصة . الحبة من الطعام ، ومثلها القرس .

(١) السكباجة : طعام يصنع من لحم وخل وبصل وكراث وعسل  
مع الأفلويه .

(٣) الإبريسم . الحرير

قال الضيفُ : يا سيدي ، فليس بين الفالوذَجِ والتقطيغةِ  
رَيفٌ وقليلُ جبنٍ ؟ .

وقال آخر : رأيتُ كوفياً يُخاصِمُ جاراً له ويقَاتِلُهُ ،  
فقلت : ما قصَّتكما ؟ . فقال أحدهما : زارني زائرٌ ،  
فتشَّهَى عليَّ رُؤوساً ، فأطعمتهُ ، وأخذتُ العظامَ ،  
فرميتُ بها على باب دَارِي أَتَجَمَّلُ بها ، وأكْبَيْتُ  
العدوَّ ، فجاء هذا . وأخذَها من باب داري ، وجعلها  
على باب دارِهِ .

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدَةٌ عجوزٌ ، فقيل  
لها : كم يُجْهَرِي عليك ابنُك ؟ . قالت : درهماً في  
كلِّ أضحى . قيل : يا سبحانَ الله ! درهمٌ في كلِّ  
أضحى ! . قالت : نعم ، وربما أدخلَ الأضحى في  
الأضحى .

وكان بعضهم يأكلُ و معه على المائدةِ ابنُهُ و زوجتهُ .  
فقال : لعنَ اللهَ الرَّحْمَةَ . فقال له ابنُهُ : يا أبتهُ ،  
تعنيني ؟ فليس ها هنا عَبرِي و غيرُ أمي ، قال : فتَريَ  
أعني نفسي ؟ .

أخرج نفرٌ من أهل مَرَوَ في سَقَرٍ ، وصبروا على تركِ  
السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أبلَغَ ذلك  
إليهم ، فاتفقوا على أن يُخرجَ كلُّ واحدٍ منهم شيئاً  
للسراج ، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعطيَ شيئاً ؛  
فكانوا إذا أسرجوا شدُّوا عينيه بمنديل إلى وقتِ النومِ  
ورَفَعَ السراج .

قال المنصورُ للوضيين بنِ عطاء (١) : ما عِبَاؤُكَ ؟ .  
قال : ثلاثُ بناتٍ والمرأةُ . قال ؛ أربعٌ في بيتك . قال :  
فرددَ ذلكَ حتى ظننتُ أنه سيَصِلُني . قال : ثم رفعَ  
رأسه ؛ فقال : أنتِ أيسرُ العربِ ، أربعةُ منازلٍ تدور  
في بيتك .

وسمى إنسانٌ بخيلٍ ضيفاً له نبيذاً عتيقاً على الرقيق .  
فتأوهَ الرجل ؛ فقيل له : لِمَ لا تتكلم ؟ فقال : إن  
سكتُ متُّ ، وإن تكلمتُ ماتَ ربُّ البيتِ .  
وكان بعضُ البخلاء يَأْكُلُ نصفَ الليلِ ، فقيل له

---

(١) للوضيين بن عطاء الشامي : محدث ثقة ، كان من الخطباء اللغاة ،

مات سنة ٥١٤٩ هـ

في ذلك ، فقال : يبردُ الماء وينقمعُ الدُّباب ، وآمن فجأة  
الدَّاحِل ، وصَرَخَتِ السَّائِلُ . وصباحَ الصَّيَّان .

قال الواقدي : خرجتُ أنا وابنُ أبي الزناد (١) إلى  
بعض المواضع بالمدينة ، ورجعنا نصفَ النهار في يومٍ  
صائفٍ ، فقال : ما أحوجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ ! فإذا  
نحنُ بسعيد مولى ابن أبي الزناد ، فقلت له : ابعث لنا  
شربةَ ماء ، فقال : نعم وكرامة ، اجلس . وبادر  
مستعجلاً ، فدخل الدار ومكث طويلاً ، ثم خرج إلينا ،  
فقال : تعذرون العشيَ إن شاء الله .

قال العتيبي : لو بُذِلَتِ الحَنَّةُ لِلْأَصْمَعِيِّ بِدَرَاهِمٍ  
لَا سَتَقَصَّ شَرّاً .

سأل مُكْشَفُ الْأَصْمَعِيِّ ، فقال : لا أَرْضِي لَكَ  
ما يحضرنِي ، فقال السَّائِلُ : أنا أَرْضِي بِهِ ، فقال  
الْأَصْمَعِيُّ : هو ، سُورِكَ ذاك .

---

(١) هو جَدُّ لِرَحْمَنِ بْنِ أَبِي الزَّيْدِ . من العلماء الأجلة ، ولد سنة  
٨١٠٠ ، وتوفي سنة ٨١٧٤ .



أعطى المنصور بعضهم شيئاً ثم نادى ، فقال له : لا تنفق  
هذا المال واحتفظ به ، وجعل يكرر عليه ذلك ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم  
القيامة فضحك وخلاه .

كان رجلٌ على طعام بعض البخلاء ؛ فأخذ عراقاً (١)  
فلم يجد عليه لحمًا ، فوضعه لأخذ غيره ، فقال صاحبُ  
البيت : العيب بيمسك (٢) .

قال بعضهم : فلان عينه دولابٌ لقسم أخيه .  
قال بعضهم لعلامة : هات الطعام وأغلق الباب . فقال  
العلام : هذا خطأ . أغلق الباب ، ثم أقدم الطعام ،  
فقال : أحسنت أنت حرٌّ

\* \* \*

---

(١) العراق العظام .

(٢) أى لم تجد الا تقاء فلا تأخذ غيرها .



## الباب الثامني عشر

---



# كلام شطار<sup>(١)</sup>

ومن يجرب محاربه ، ويؤاثرهم .

حكى بعضهم أن شاطراً افتخر . قال : فحفظت  
من كلامه :

أنا الموجُ الكَدِيرُ ، أنا القُفْلُ العَسِيرُ ، هذا وجهي  
إلى الآخرة . تَأْتُرُ بشي . ؟ لك حاجة إلى مالكٍ نخازِنُ  
النارَ . أنا الذَّارُ . أنا العَارُ ، أنا الرِّحَا (٢) إذا دار ،  
أنا مَشِيْتُ سُبُوعَيْنِ (٣) بلا رَأْسٍ ، لولا أَنِي عَليْلٌ  
لَشَخَرْتُ نَحْرَهُ نَصْفُهَا صَاعِقَةٌ وَنَصْفُهَا زَلْزَلَةٌ . أَضْمَعُكَ

---

(١) الشاطر من أعبأ أهله غشاً .

(٢) الرحا موت ، هكذا كتبها المؤلف ، مراعبا السجع ،  
متجاوزاً في الباب التقيد بالنصيح أحياناً

(٣) أسبوعين كتبها المؤلف بِلَهْجَةِ الشُّطَار .

فِي جَبِي ، وَأَنْسَاكَ حَتَّى سَمِعَ السَّاعَةَ . أَفْطَفُ ، أَنْسَاكَ  
 وَأَجْعَلُهُ زَرْقًا فَمَبْصِي ، أَوْ أَنْسَتُنْشَاكَ فَكَلَا أَعْدَلَسَاكَ إِلَّا فِي  
 الْجَحِيمِ ، أَوْ أَثَرُنَاكَ هَلَا أَسُولُكَ إِلَّا عَلَى الصَّرَاطِ إِذَا  
 صَاحَ آدَمُ . وَاهْمُودَاهُ . وَالْبَاءُ (١) لَوْ كَلَّمَنِي الْعَبَلُ  
 لَمْ يَخْرُسْ . أَوْ السَّحَرُ لَمْ يَسْسْ . أَوْ عَضَّتْنِي الْأَسَدُ لَمْ يَضْرُسْ ،  
 أَوْ رَأَيْتُ عَرُودًا (٢) لَمْ يَتَمَلَسْ . أَصْدَقَائِي أَكْثَرُ مِنْ خُوصِي  
 الْبَصْرَةِ ، وَخَرْدَلُ مِصْرَ ، وَعَدَسُ الشَّامِ . وَحَصِي  
 الْجَزْبَرَةِ ، وَشَوْكُ الْقَاطُولِ (٣) . وَحِينَ ظَهَرَ الْمَوْحِلُ وَفَصَبَ  
 الْبَطَائِحَ (٤) ، وَنَدَى الْأَذْوَارَ ، وَرَسَدَ الْفَاسَعِلِينَ

كَانَ يَمُرُّ رَجُلٌ بِتَمْتَشِيٍّ وَبِنَشْطَلِيٍّ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ  
 مِنْ أَبْهَامِ الْعَثَانِ قِطْعٌ وَلَا هَمْلَكَةٌ مِنْ فَتَكَائِبِهِمْ . إِلَى آلِ

(١) لَعَلَّ أَصْلَهَا . رَأَاكَ أَوْ مَنَّاكَ ، وَهِيَ مِنْ كَلَامِ الشَّعْطَارِ .

(٢) عَرُودٌ - فَالذَّائِلُ أَوْ الدَّالُّ . مَلَاكَ جَاءَ

(٣) الْقَاطُولُ . اسْمُ نَهْرٍ كَانَ فِي مَوْسَعِ سَامِرَا ، كَأَنَّهُ مَقْطُوعٌ  
 مِنْ دَلِهِ

(٤) الْبَطَائِحُ . هِيَ بَطَائِحُ وَاسِطِ أَرْضِ بَنِي وَاسِطٍ وَالْبَصْرَةِ ،  
 كَانَتْ قَدِيمًا مَدِينًا مَسْكًا ، ثُمَّ عَلَاهَا مَاءٌ فَحَدَّهَا ، وَبَعْدَ اخْتِصَارِهِ فَبَنِيَ فِيهَا  
 مَرَى أَكْثَرَ دَرَسِيهَا رَوَى

وضع يده بين رجل فصّار فمعبف سرّ . فضرّبه ضرباً  
 وجعاً وأذله . فكان يصحّر بذلك ويخطّول عند الفتيان به ،  
 فتأذّي حبرائه . . . . . فحجاب حنّاه . . . فجاءوه وقالوا :  
 فلان قد تأذّبنا . . . فكفّ عنّا سرّه وتدلّك . . . وبكم نأه .  
 قال : لا أدري من فلان . . . ولكن إن ستمضض ضربت  
 لكم العصّار وأنزلت كلّ مكروه به .

وضع بين ماطر وسبّته له كلاماً ، فقال أحدهما  
 للآخر : لولا أنك أكبر سنّاً مني لمترحتك . ثم مضى  
 غمير بعد . . . . . فوضع يده بين آخر فقال : والله لولا أنك  
 أصغر مني لماتت . . . فقال له رصفه : يا من الزائدة .  
 متى ينقّ لك ذ أمّ نقاته ؟

قال بعضهم : رأيت ساطراً يشرب بالقاس (١) ،  
 وهو ينظر إلى الأرض . فلما راع الصرب منه قال له  
 الوالي : ارفع رأسك . فقال : يا سباتي . بسبي رأسها .  
 قال . وما معنى سنفي رأسها ؟ قال الجلاّد : كنت

---

(١) القاس . من يطلع من حال العين ، أو حلّ سحيم من اللب .

أَصْرُهُ هَهُوَ مَسْجُودٌ بِرُجَاهُ فِي الْأَرْضِ بِطَّةٌ وَقَدْ بَفِي  
رَأْسِهَا .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي . دخلتُ على  
عتمان بن أهل المدينة شربسون ، وإذا هم متكثرون على  
كباب كد دية . فقال بعضهم . هاتوا وسادة لآبي محمد ،  
فجاءوا بكباب . فاما اتكأت عليه قالوا : هاتوا له أيضاً  
مخاضاً . فجاءوا خبزاً ، فاما تناولوا الأقداح فجاء  
علامٌ وفي يده هداية فمدح في لحده من يجلس القدرح .

قال جابر بن نوح . فجاء قومٌ إلى المعزول  
منهم جعفر بن . فقال بعضهم أو كان عربياً علوناه ،  
فجاءوا بالهبة أنه أنعمك . فقال اعتذروه فإن الملك  
مستور . والله اعلم .

قال ساجد بن طراد منهم ، وكان لا يقعد  
في دحايرده . ولا يسرب من جناحه . بل يصير في قصر  
من قصر الأتات (١) . ولا يطاع في كوة ، ويأمر

(١) الأتات : الاسم على شاطئ البحر . أو ية الخليج الذي يدخل البصرة ،  
من أقدم الأسماء .



بذلك أصدفائه وأصحابه . ويقول : إنَّ تَعَوَّدْتُمْ النظر  
إلى الماء والخروج إلى المتزهات جزعتم من الحبس ، لم تدفعوا  
ضيماء ، ولم تكسبوا مالاً .

كان يقول : لا يُعجبني الفَقْرُ يكونُ لحاظاً . وكان  
صاحبَ إيطراقٍ .

كان يقولُ : إياكم وفضولَ النظرِ ، يدعو إلى  
فضولِ القولِ والعملِ .

ومنهم بابويه ، وكان شيخاً كبيراً ذا رأيٍ ونجدة ،  
وصديق وأمانة وهمّةٍ بعيلة ، وأنفةٍ شديدة وكان  
محبوساً بعدّة دماء فلما نَسَبَ حميرُ بنُ مالك السجّين وقام  
على باب النقب يُشربُ الناس ويحميهم ؛ ليستتمَّ الكرامة ،  
وجاء رسوله إلى بابويه ، فقال : أبو نعامة ينتظرك .  
وليس له همٌّ سِوَاكَ ، وما برَدَتْ مِسْماراً ، ولا فككت  
حلفةً ، وأنت قاعد غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج  
الناسُ حتى الضعفاء ؛ فقال بابويه . لبس متلي يخرجُ

في الغمار . وتَدَقَّعُ عنه الرجالُ . لم أَشاور ولم أؤامر (١) .  
ثم يقال لي الآن : كن كالظَّعِينَة (٢) . والآمة ، والشيخ  
الفاني . والله لا أكون في الجنة تابِعاً ذليلاً .

فلم يبرح . وخرج سائرُ الناس — وإجرامه وحده  
كإجرام الجميع — فإِذَا جاء الأَمِيرُ ودخل السجنَ فلم  
يرَ فيه غَيرَه قال للحرس : ما بالُ هذا ؟ . فقصَّوْهُ عليه  
القِصَّة ؛ فضحك وقال له : نَحْنُ أي طريق شِئْتَ ؟  
فقال بابويه : هذا عاقبةُ الصَّبر .

« ١ »

---

(١) يؤامر . يشاور

(٢) والظَّعِينَة . الزَّوْحَة .

# الباب الثالث عشر

---



## الحي ومكائبات الحمقى

كتب بعض الرؤساء إلى وكيل له في ضيعة : وقد وصلت النعاج ، هي : تسع نعاج . وتسع نعاج نصفها أربع ونصف نعاج .

قال بعضهم : ما من شر من دين ؛ فقبل له : ولم ذلك ؟ . قال : من جرأ يتعلقون .

قال قاسم الثمار في كلام له . بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .

وقال أيضاً : لو رأيت إيوان كسرى كأنما رفعت عنه الأيدي أول من أمس .

---

(١) أبقى المؤلف في هذا الباب على كلام الحمقى وذوي العي على الرغم من مخالفة بعضه لقواعد اللغة ، لأنه أراد أن يقدمه كما نطقوه .

قال أبو هفّان : رأيت شيخاً بالكوفة قاعداً على باب دارٍ ، وله زِيٌّ وهيئة وفي الدار صُراخ . فقلت : يا شيخ . ما هذا الصراخ ؟ فقال : هذا رجلٌ افتصد أمس فيبلغ المضع شادراً وأنه قمت . يريد : بلغ المضع شريانه .

وصف بعضهم امرأةً ؛ فقال : عيناها الأخرى أكبر من عيناها الأخرى .

كتب بعضٌ من وَزَرَ بالريّ أنفاً كتاباً في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد — وكان قد حج أبوه — : هذا الكتابُ يوصله فلانٌ ابن فلان ، وهو والذي ، وقديمُ الصحة لي ، واجبٌ الحق على ، ولي بأمره عناية .

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حملونة بنت الرشيد ، على أن يشتري طعاماً من طعامهم في بعض البيادر ، فقال لها : إني قد رأيتُ متاعك . فقالت هاشمية : قلّ طعامك . قال : وقد أدخلتُ فيه يدي فإذا متاعك قد خمّ وحَمِيَ (١) . وقد صار مثل

---

(١) خم : اتن .

الحقيقة . قالت : يا أبا طالب . أليس قد قلبت الشعير ،  
فأعطينا ما شئت ، وإن وجدته فأسيداً .

ودخل أبو طالب هذا على المأمون ، فقال : كان  
أهلك يا أبا خير أ لنا منك ، وأنت يا أبا ليس تعدنا . وليس  
تبعث إلينا . ونحن يا أبا تجارك وجيرانك . والمأمون في  
كل ذلك يتبسم .

وكان ابن سعيد الجوهري يقول : صلى الله  
تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان بالري ورقة حسن الخط ، وكان إذا كتب  
اسم الله تعالى أو اسم النبي في القرآن أو الشعر كتب بيده ما  
ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع ، فكان يكتب في  
القرآن : « إن الله — عز وجل — يأمر بالعدل والإحسان » (١)  
« وما محمد — صلى الله عليه وسلم — إلا رسل »  
قد خلت من قبله الرسل » (٢) . وكان يكتب في الشعر :

---

(١) زائد في الآية . « عز وجل » والآية في سورة النحل : ٩٠ .

(٢) زائد في الآية . صلى الله عليه وسلم ، والآية في سورة آل

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرٌ نَقَلُ  
وبإذن الله - تبارك وتعالى - ربِّي وعجل (١)

ويكتب :

هجرت محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأجبت عنه  
وعيندُ الله - تعالى - في ذاك الجزاء (٢)

وقال الجاحظ قلتُ لنفيس غلامي : بعثتك إلى  
السوق في حاجة فلم تقضها ؛ فقال : يا مولاي ، أنا  
ناقهٌ من مرضي ، وليس في ركبتي دماغ .

وقال الجاحظُ : قال الحجاجُ لأبي الجهمير الخراساني  
النخاس : أتبيع الدوابَّ المعيةَ من جُندِ السلطان ؟ فقال :  
شريكائنا في هوازها وشريكائنا في مَدائنِها ، وكما يجيء  
يكون . قال الحجاجُ : ما تقول ؟ . قال بعضُ من كان  
قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية : يقولُ : شركاؤنا

---

(١) زاد في الشطر الأول : « عز وجل » . وفي الثاني « تبارك  
وتعالى » والبيت ليد .

(٢) زاد في البيت : صلى الله عليه وسلم « في الشطر الأول و » تعالى «  
في الثاني ، والبيت لحسان يرد به عل أبي سفيان .



بالأهواز وبالمداين يبعثون إلينا هذه الدواب ؛ فنحن  
نبيعها على وجوهها .

قال ابن أبي فتن (١) : طلبتُ من عبد الله بن أحمد بن  
الحصيب بخوراً ، فكتب إليهِ : فدتك نفسي من سوء  
برحمته ، كتابي إليك وأنا وحدي ، والجواري عندي ؛  
فأمّا البخور فإنّ أبا العباس في الحمام إن شاء الله .

وكتب بعضُ الشيوخ الفضلاء إلى شيخ من العدول  
بأري ففقت بغلته : نُبئتُ أنّ الشيخ قد مات بغلته ،  
هيات هيات .

“ \* “

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن أبي فتن ، شاعر مطبوع من شعراء العصر  
العباسي .



# الباب الأول

---



## كلام للنساء الشرائف

فاطمة أم المؤمنين رسول الله عليها السلام

قالوا : لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر منعها فذكر (١) لائت (٢) خمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقلت في ثمّة من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذبولها ، ما تحرم (٣) مشيتها ميشية رسول الله صلى الله عليه ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثم أنت أنة أجھش لها القوم

- (١) فدك : قرية بينها وبين المدينة يرمان ، أفادها الله على رسوله ، ذكرت فاطمة أن الرسول تصدق عليها بها . ولم تستطع الإتيان بشاهدين على ذلك ، فحرمها أبو بكر منها
- (٢) لائت الخمار ثلوثه : أدارته .
- (٣) ما تحرم . ما تنقص عنها .

بالبكاء ، وارتجّ المجلس ثم أمهلت هنيئة (١) حتى إذا سكن نشيج القوم ، وهدأت هورتهم افتتحت كلامها بحمد الله والثناء عابه والصلاة على رسوله صلى الله عليه ، ثم قالت :

« اَمَقَامُ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » (٢) . فان تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم ، وأنحأ ابن عمي (٣) دون رجالكم ، فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة ، بالغا بالرسالة ، مائلا عن سنن المشركين ضاربا أشجعهم (٤) ، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، آخذاً بأكتظام (٥) المشركين ، يهشم الأصنام ويفلق الهام ؛ حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر ، حتى تنقري (٦) الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن

(١) هنة : بمعنى هنية ، تصغير هنة ، وهي القياس في التصغير .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) إشارة إلى مؤاخاة رسول الله لعلي

(٤) الشيخ : الوسط

(٥) الأكتظام جمع كظم وهذا مخرج النمس .

(٦) تنقري : تشقق .

مَحْفُضِهِ (١) ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ ، وَخَرَسَتْ شَقَاشِقُ (٢) الشَّيْطَانِ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ ، « وَكُنْتُمْ عَلَيَّ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ (٣) » . تَهْزُؤَةُ (٤) الطَّامِعِ ، وَمَذَقَةُ الشَّارِبِ (٥) ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَانِ ، وَمَوَاطِيءُ الْأَقْدَامِ ، تَشْرَبُونَ الطَّرِيقَ (٦) ، وَتَقْتَاتُونَ الْقَيْدَ ، أَذَلَّةٌ خَاسِثِينَ ، يَخْطِئُكُمْ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ ، حَتَّى أَنْقَذَكُمْ اللَّهُ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ ، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِهِمُ الرِّجَالُ (٧) وَذُؤْبَانُ الْعَرَبِ ، وَمَرَدَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ « كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْمَحْرَبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ » (٨) . أَوْ نَجَمُ قَرْنٍ لِلشَّيْطَانِ ، أَوْ فَخْرَتِ



(١) المحض الخالص .

(٢) والشقاشق القول فيه كذب .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٤) تهزئة الطامع : اسم للشيء المعرض لك كالغنيمة .

(٥) المذقة : الشربة من اللبن المخلوط بالماء . *والماء المخلوط بالماء*  
*والماء المخلوط بالماء*

(٦) الطريق : ماء السبيل الذي يتول فيه الإبل . والقيد : السير يقيد من

الجلد . والقيد : اللحم المجفف .

(٧) بهم الرجال : شجعانهم

(٨) سورة المائدة : ٦٤

فَاغِرَّةٌ لِّلْمَشْرِكِينَ ، قَدَّفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا ، فَلَا  
يُنْكَفِيهِ حَتَّى يَطْلَأَ صِمَاخَهَا (١) بِأَخْصِيهِ ، وَيُطْفِئُ  
عَادِيَةَ لَهَبِهَا بِسَيْفِهِ . أَوْ قَاتَ وَيُخْمِدُ لَهَبَهَا بِحَدِّهِ  
مَكْلُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ . وَأَنْتُمْ فِي رَهَابِهِ فَسَكِيهُونَ آمَنُونَ  
وَادْعُونَ .

حتى إذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه داراً أنبيائه  
ظهرت حسكة (٢) النفاق ، وسمَل (٣) جلابُ الدين ،  
ونطاق كاظم (٤) الغاوين ، ونبغ خاملُ الأفتانين ،  
وهدرَ فنيق (٥) المبطانين ، فخطر في عرصاتكم ،  
وأطلع الشيطانُ رأسه صارخاً بكم ، فدعاكم فألفاكم  
ادعوته مستجيبين وللميزة ملاحِظين ؛ ثم استنهضكم  
فوجدكم خيفافاً وأحمشكم (٦) فألفاكم غيضاً ؛

(١) الصباغ . فتحة الأذن الباطنة وفي المول استمارة .

(٢) الحسكة ؛ الشوكة .

(٣) سمل الجلاب . بلى وذب .

(٤) الكاظم ؛ المبطن للعقد .

(٥) الفنيق . الجمل الفعل .

(٦) أحمشكم ؛ جعلكم تنقبضون ، ومن معانيها ؛ ساقكم بفضب .



فَوَسَّيْتُمْ غَيْرَ إِبْلِكُمْ ، وَأُورِدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ ، هَذَا  
وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْكَلِمُ رَحِيبٌ ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمَلُ .  
أَبَإِذَا زَعَمْتُمْ : خَوْفَ الْفِتْنَةِ ؟ « أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا  
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (١) » ، فَهِيَ هَاتَ فِيكُمْ ،  
وَأَنْتَى بِكُمْ ، وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ ، وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ،  
زَوَاجِرُهُ يَبُتُّةٌ ، وَشَوَاهِدُهُ لَائِحَةٌ ، وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ ،  
أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ ؟ أَمْ بغيرِهِ تَحْكُمُونَ ؟ « بِئْسَ  
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » (٢) « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا  
فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٣)  
ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثًا أَنْ تَسْكُنَ نَفَرَتُهَا تَشْرَبُونَ حَسُوا  
فِي ارْتِفَاءِ (٤) ، وَتَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى  
وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ لَا إِرْثَ لَنَا « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ  
يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » (٥)

(١) سورة التوبة : ٤٩ .

(٢) سورة الكهف : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٤) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويطعن غيره .

(٥) سورة المائدة : ٥٠ .

لِهَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمَةِ الْمُهَاجِرَةِ ، أَأَبْتَرُ لِرِثِ أَبِيهِ ؟  
 أَبَى اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِإِبْنٍ قُحَاقَةً ، أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا  
 تُرِثْ أَبِيهِ . لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيئًا (١) . قَدْ وَكَلْتَهَا مَخْطُومَةً  
 مَرْحُومَةً ، قَلَقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ ، فَنَعِمَ الْحَكَمُ اللَّهُ ،  
 وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ ، وَعِنْدَ  
 السَّاعَةِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ » وَلِيَكُلَّ نَبَأًا مُسْتَقَرًّا  
 وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » (٢) .

ثُمَّ انْكَفَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ :  
 قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَبْثَةٌ (٣)

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَةً هَا لَمْ تَكْثِرِ الْخُطْبُ  
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضُ وَأَبْلَتْهَا  
 وَاخْتَلَّ أَهْلُكَ فَاحْضُرْهُمْ وَلَا تَغِيبْ (٤)

\* \* \*

هَقَاآت :

(١) الْفَرِيُّ : الْعَمَلُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٧ .

(٣) الْهَبْثَةُ . الْإِخْتِلَاطُ فِي الْكَلَامِ .

(٤) فِي الْمَيْتَيْنِ إِقْوَاءُ .

## عائشة أم المؤمنين ( رضي الله عنها )

رَوِيَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَلَسِ قَامَتْ عَائِشَةُ فَتَكَلَّمَتْ  
فَقَالَتْ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقَّ الْأُمومةِ وَحَقَّ  
الْمَوْعِظَةِ ، لَا يَتَّهَمُنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ . قُبِضَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَحَرِي (١)  
وَنَحَرِي ، وَأَنَا إِحْدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، إِنْ أَدَّخَرَنِي  
رَبِّي ، وَخَصَّنِي مِنْ كُلِّ بَضْعٍ (٢) وَبِي مُيِّزَ مُؤْمِنُكُمْ  
مِنْ مُنَافِقِكُمْ (٣) ، وَفِي رِخْصِ أَلْفِ صَعِيدِ الْأَبْوَاءِ (٤)  
وَأَبِي رَابِعَ أَرْبَعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوَّلُ مُسَمًّى صِدِّيقًا .  
قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُ  
رَاضٍ فَوْقَ النِّفَاقِ (٥) ، وَأَخَاضَ تَبَعَ الرَّدَّةِ ، وَأَطْفَأَ

---

(١) السحر : الرقة . وقد توفي عليه الصلاة والسلام ورأسه على صدرها

(٢) البضع : الفرج . وربما أوردت أنها الزوج البكر من بين أزواجه

(٣) إشارة إلى حديث الألفك .

(٤) الأبواء : المفازة .

(٥) وقد النفاق : كسره ودمغه .

مَاحَشَتُ (١) يَهْودَ ، وَأَنْتُمْ حَيْثُ جُحُظٌ . تَنْتَظِرُونَ  
 الْعَدُوَّةَ ، وَتَسْتَمْعُونَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَيْتُ الشَّيْ (٢) ،  
 وَأَوْذَمَ (٣) الْعَطِيلَةَ ، وَامْتَاخَ مِنَ الْمَهْوَاتِ ، وَاجْتَهَرَ  
 دُفْنََ الرِّوَاءِ : فَقَمِضَهُ اللَّهُ وَاطْأً عَلَى هَامَةِ النِّفَاقِ ،  
 مَذَكِيًّا نَاراً لِحَرْبِ الْمُشْرِكِينَ ، يَقْظَانِ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ،  
 صَفُوحاً عَنِ الْجَاهِلِينَ .

وَرَوَيْ أَنَّهُ بَلَغَهَا أَنَّ نَاساً يَتَنَاولُونَ أَبَا بَكْرٍ ، فَأَرْسَلَتْ  
 إِلَى أَزْفَلَةٍ (٤) مِنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا حَضَرُوا أَسْدَلَتْ  
 أَسْتَارَهَا ، وَأَعْلَتْ وَسَادَهَا ، ثُمَّ دَنَتْ فَحَمِدَتْ اللَّهَ ،  
 وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ . وَصَلَّتْ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
 وَعَدَدَاتٍ وَقَرَعَتْ وَقَالَتْ :

أَبِي وَمَا أَبْيَنُهُ ! أَبِي وَاللَّهِ لَا تَسْعَطُوهُ (٥) الْآيِدِي ،  
 طَوْدٌ مُنْجِفٌ ، وَظِلٌّ مَدِيدٌ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ !

(١) حش الحرب . أشعلها .

(٢) رَأَى - أَصْلَحَ ، وَالثَّأَى : الْفَسَادُ .

(٣) أَوْذَمَ الشَّيْءَ : جَعَلَ لَهُ وَذَاماً ، وَهُوَ سِيرُ الدَّلَاءِ ، وَالْعَطْلَةُ :  
 الدَّلَاءُ ، الَّتِي يَلَا أَوْذَمَهُ

(٤) أَزْفَلَةٌ : جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَمِنْهَا أَجْفَلَةٌ

(٥) تَعْمَلُوهُ . تَتَنَاولُوهُ مِنْ قَرَبٍ .

كذبت الظنون . أنجح (١) والله إذ أكدتم ، وسبق  
إذ ونيتكم

• سبق الخواد إذا استولى على الأمد (٢) •  
فنى قریش ناشئاً ، وكهفها كهلاً ، يریش  
مُمليقها ، ويفلک عائيتها ويلثم شعنها ويرأب صدعها  
حتى حلتته قلوبها ، ثم استترى في دينه فما برحت  
شكيمته في ذات الله ، حتى اتخذ بقائه مسجداً بحبي فيه  
ما أمانت المبطلون .

وكان رحمة الله عليه غزير اللمعة ، وقيل الخوانح (٣)  
شعبي النسيج ، فانفضت إليه نِسوان مَكَّة ووالدائها  
يسخرون منه ، ويستهزئون به . (( الله يستهزئ بهم  
ويُمادهم في طغيانهم يعمهون )) (٤) وأكبرت

---

(١) أي أصاب إذ أخطأتم .

(٢) صدره .

إلا لملك أو من أنت سابه

والبيت للنابغة .

(٣) وقيل الخوانح : عزونا كأنه مكسور القلب .

(٤) سورة البقرة . ١٥ .

ذلك رجالاتٌ قريش ، فمَحَنَّتْ إليه قِيسِيَّهَا ، وفَتَوَّتْ له سهامها وامتثلوه غرضاً (١) فَمَا حَلَّوْا لَهُ صَفَاةً ، وَلَا قَصَفُوا لَهُ قَنَاةً ، وَمَرَّ عَلَى سِيسَاءَهُ (٢) حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ ، وَأَلْقَى بِرُكَّةِ (٣) ، وَرَسَتْ أَوْتَادُهُ ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجاً ، وَمِنْ كُلِّ شِرْعَةٍ أَشْتَاتَا وَأَرْسَالَا اخْتَارَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَتَحِيَّاتُهُ مَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا قَبَّضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ضَرْبَ الشَّيْطَانِ بِرَوَاقِهِ ، وَمَدَّ طُنُجُبَهُ ، وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ ، وَاضْطَرَبَ حِجْلُ الْإِسْلَامِ ، وَمَرَّجَ عَهْدُهُ ، وَمَاجَ أَهْلُهُ وَبَنَى الْعَوَائِلَ ، وَظَنَّتْ رِجَالٌ أَنَّ قَدْ أَكْثَمَتْ نَهْزَهَا ، وَلَا تَحِينَ الَّتِي يَرْجُونَ ، وَأَنْتَى وَالصَّدِّيقُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ؟ فَقَامَ حَاسِرًا مَشْمُورًا قَدْ جَمَعَ حَاشِيَتَيْهِ ، وَرَفَعَ قَطْرِيَّتَهُ ، فَرَدَّ نَشْزَ الدِّينِ عَلَى غَرِّهِ ، (٤) وَلَمْ

---

(١) امتثلوه : نصبره . وألقى : جمع قوس ، وهو آلة رمي السهام .

(٢) السيساء من الدابة : ظهرها .

(٣) برك الركاب : صدره .

(٤) على غره : على كسره ، والمراد قدير أمر الدين ، وكسر الردة .

شعته بطيه ، وأقام أوده يتغافيه ، فامدقّر (١) النفاقُ  
بوطيه . وانتاش الدينَ فنعشه .

فلما أراح الحقَّ على أهله ، وأقرَّ الرؤوسَ على  
كواهلها ، وحقّنَ الدماءَ في أهيها (٢) حَضَرَتْهُ مِنْشَتْهُ ،  
نَصَرَ اللهُ وَجْهَهُ ، فَسَدَّ ثَلَمَتَهُ بِنَظِيرِهِ فِي الرَّحْمَةِ  
وَمُقْتَنِيهِ فِي السَّيِّئَةِ وَالْمَعْدَلَةِ ؛ ذَلِكَ ابْنُ الْخَطَابِ ،  
لِلَّهِ أُمَّ حَمَلَتْ بِهِ ، وَحَرَّتْ عَلَيْهِ . لَقَدْ أَوْحَدَتْ ،  
فَقَسَنَخَ الْكُفْرَةَ وَدَنَخَهَا (٣) ، وَشَرَّدَ الشَّرْكَ شَدَرَ مَدَارَ  
وَبَعَجَ الْأَرْضَ وَنَجَمَهَا (٤) ، فَقَاتُ أَكْأَهَا ، وَلَفْظَتْ  
غَيْبًا ، تَرَأُّمُهُ وَيَتَصَدَّفُ عَنْهَا ، وَتَصْدَقِي لَهُ رُبَّابًا ،  
ثُمَّ وَزَعَ فَيَسْتَهِيَ فِيهَا ، وَوَدَّعَهَا كَمَا صَحِيحُهَا . فَأَرُونِي  
مَاذَا تَرْتَوُونَ . وَأَيَّ يَوْمِي أَبِي تَنْقِيمُونَ ؟ أَيَوْمَ إِقَامَتِهِ  
إِذْ عَدَلَ فِيكُمْ أَوْ يَوْمَ ظَلَعْنِيهِ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ . أَقُولُ  
قُولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

---

(١) امدقر اللبن . تفرق .

(٢) جمع إهاب : الجلد .

(٣) فَنَخَ : أَذَلَ وَفَهَرَ ، وَدَنَخَهَا : أَخَفَصَهَا

(٤) بَعَجَ الْأَرْضَ : شَقَّهَا ، وَنَجَمَهَا : أَظْلَمَ .

وقالت : لو نزل بالجلال الراسيات ما نزل بأبي  
لهاضها ، قبض رسول الله صلى الله عليه ، فاشرب  
النفاق ، وارتدت العرب قاطبة . وعاد أصحاب محمد  
كانهم معزى مطيرة في خفش (١) ، فما اختافوا  
فيه من أمر إلا طار أبي بغلته وغنائه .

ومن رأى ابن الخطّاب علم أنه كان عوناً للإسلام ،  
كان والله أخو ذياً (٢) نسيج وحده ، قد أعدّ للأُمور  
أقرانها .

وقالت : من أرضى الله بإسقاط الناس كفاه الله  
ما بينه وبين الناس ، ومن أرضى الناس بإسقاط الله جلّ  
ذكره وكفه الله إلى الناس .

وقالت : إنما النكاح ريقٌ فليتنظّر امرؤ من  
يريق كريمته .

وقالت : خرجت أفقو آثار الناس يوم الحندق ،

(١) الخفش : البيت الدليل .

(٢) الأخوذي والأخوذي : الحسن السياق للأُمور .



فَسَمِعْتُ وَكِيدَ الْأَرْضِ (١) خَلْفِي ، فَالْتَضْتُ فَإِذَا أَنَا  
بِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ (٢) .

وَقَالَتْ لَهَا امْرَأَةٌ : أَأَقْبَيْدُ جَمَلِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ،  
قَالَتْ : أَقْبَيْدُ جَمَلِي ؟ فَلَمَّا عَامَتْ مَا تَرِيدُ قَالَتْ : وَجْهِي  
مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ ، تَعْنِي بِالْحَمَلِ زَوْجَهَا أَيْ أَوْحَدَهُ  
عَنِ النِّسَاءِ .

وَقَالَتْ : لَا تُوْدِي الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا  
نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ (٣) لَمْ تَمْنَعَهُ .

• • •

### أُمُ كَلْثُومِ بِنْتِ عَلِيٍّ (٤)

رَوَى عَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ : رَأَيْتُ أُمَّ كَلْثُومِ بِنْتَ عَلِيٍّ

---

(١) وَكِيدَ الْأَرْضِ : شِدَّةُ الْوُطْدِ ، يَسْمَعُ كَالِدَوِي مِنْ بَعِيدٍ .

(٢) سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ الْأَوْسِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ ، وَهُوَ الَّذِي  
حَكَّمَ عَلَى يَهُودِ بَنِي قَرِيطَةَ وَقَوَّى فِي نَفْسِ النَّبِيِّ ، وَلَهُ مَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ فِي  
الْإِسْلَامِ .

(٣) أَيُّ عَلَى ظَهْرِ جَمَلٍ . وَالْقَتَبُ : لِلرَّسْلِ الصَّغِيرِ عَلَى قَدَرِ مَنَامِ الْبَعِيرِ .

(٤) أُمُ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ أُخْتُ الْحُسَيْنِ وَلَدَتْ قَبْلَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ،  
تَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَلَهُ مِنْهَا ذُرِّيَّةٌ .

بالكوفة ، ولم أرتخفيرة" والله أنطقَ منها ، كأنما تنطق  
وتُقرِّع عن لسانِ أميرِ المؤمنين رضيَ الله عنه ، وقد  
أومأت إلى الناس وهم يبيكونَ على الحسين - رضي الله  
عنه - أن امسكوا فلما سكنتَ فورتهم ، وهَدأت  
الآجراسُ ، قالت :

أبدأ بحمدِ الله والصلاةِ على أبيه . أما بعد ،  
يا أهل الكوفة يا أهلَ الحِمْيَرِ (١) والحدل ؛ ألا فلا  
رقات العبرة . ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم  
كمثل التي (( نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا  
تَتَخِفُّونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ )) (٢) ألا وهل  
فيكم إلا الصلَفُ والشَّنْفُ (٣) ، مَاتَ الإمامُ  
وغمَرُ (٤) الأعداءِ وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة ،  
وكفضة على ملحودة . ألا ساءَ ما قدَّمْتُمْ لَكُمْ  
أنفسكم أن سخطَ الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون .

---

(١) الحمر : أسوأ القدر .

(٢) سورة النحل : ٩٢ .

(٣) الشنف : البفض .

(٤) الغمر : الحقد .

أَتَبْكُونَ ؟ لِمَ يَ وَاللَّهِ ، فَابْكُوا ، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ أَهْرِيَاءُ  
 بِالْبُكَاءِ ، فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا ، فَلَقَدْ فَرَزْتُمْ  
 بَعَارِيهَا ، وَشَتَارِيهَا ، وَلَنْ تَرَحَّضُوهَا (١) بِغُسْلٍ  
 بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَأَنْتَى تَرَحَّضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ نَحَائِمِ النَّبِوَةِ ،  
 وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ الْجَنَّةِ ، وَمَشَارِ  
 مَتَحَجَّتِكُمْ ، وَمِيدَرَه (٢) حُجَّتِكُمْ . وَمَفْزَعِ  
 نَازِلَتِكُمْ ؟ فَتَعَسَا وَتَكُنَا ! أَقْدَ خَابَ السَّعْيُ ، وَنَحْسِرَتِ  
 الصَّفَقَةُ ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ  
 الدَّلَّةُ وَالْمُسْكِنَةُ . (( لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ  
 السَّمَاوَاتُ بِتَقَطَرِنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ  
 الْجِبَالُ خَدًّا )) (٣) .

مَا تَدْرُونَ أَيَّ كِبَادٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَزْتُمْ  
 وَأَيَّ كَرِيمٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ . لَقَدْ جِئْتُمْ  
 بِهَا شَوْهَاءَ نَحْرَقَاءَ طِلَاعِ (٤) الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،

(١) رَحَضَ الثَّرْبُ : غَسَلَهُ .

(٢) الْمَدْرَه : الْمَدَافِعُ عَنِ الْحِمَاةِ .

(٣) -سورة مريم : ٨٩ ، ٩٠ . وَالْإِدُّ : الْأَمْرُ الدَّاهِي الْمُنْكَرُ .

(٤) طِلَاعُ الْأَرْضِ : مَلُومًا

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ قَطَرَتْ السَّمَاءُ دُمًّا ، (( وَلَعَذَابُ  
الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ )) (١) .

## حَفْصَةُ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ (٢)

خطبت حَفْصَةُ بنتُ عمر فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له والفرْد الذي لا شريك له .  
وأما بعدُ ، فكلُّ العَجَبِ من قوم زَيْنَ الشَّيْطَانِ  
أفعالهم ، وارعَوَى إلى صنيعهم ، ودبَّ في الفتنَةِ لَهُمْ ،  
ونصبَ حِبَائِلَهُ لِيَحْتَلِبَهُمْ ، حتى همَّ عَدُوُّ اللَّهِ بِإِحْيَاءِ  
الْبِدْعَةِ ، ونَبَشَ الْفِتْنَةَ . وتجديدِ الْجَوْرِ بعد  
دُرُوسِهِ (٣) ، وإظهارِهِ بعد دُثُورِهِ (٤) ، وإِراقَةِ  
الدِّمَاءِ ، وإِباحَةِ الْحَمَى ، وانتهاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ بعد تحصينِهَا ، فتَضَرَّعَ وَهَاجَ ، وتوغَّرَ وَثَارَ

(١) سورة فصلت : ١٦ .

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، تزوجها الرسول

سنة ٨٣ ، توفيت سنة ٤١ ، أو سنة ٨٤٥ .

(٣) الدروس : البلى .

(٤) الدُّثُور : الملاك .

غَضَبًا لِلَّهِ وَنَصْرَةً لِّلدِينِ اللَّهِ ، فَأَخْسَأَ الشَّيْطَانَ وَوَقَّمَ (١)  
 كَيْدَهُ ، وَكَفَفَتْ إِرَادَتَهُ ، وَقَدَّعَ مَحْسَتَهُ . وَصَغَّرَ نَطْدَهُ  
 السَّبْقَةَ إِلَى مُشَايَعَةِ أَوَّلَى النَّاسِ بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، الْمَاصِي عَلَى سُنَّتِهِ ، الْمُفْتَتِدِي بِدِينِهِ ،  
 الْمُقْتَنَصُ لِأَثَرِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ سِيَوَاجُهُ زَاهِرًا ، وَضَوْؤُهُ لَامِعًا  
 وَنُورُهُ سَاطِعًا .

لَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْغُرَرُ ، وَمِنَ الْآرَاءِ الْمَصَاصُ (٢) ،  
 وَمِنَ التَّقَدُّمِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ اللَّبَابُ ، إِلَى أَنْ  
 قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، قَالِيًا لِمَا خَرَجَ مِنْهُ ، شَانِيًا لِمَا نَزَلَ مِنْ  
 أَمْرِهِ ، شَتِيفًا (٣) لِمَا كَانَ فِيهِ ، صَبًّا إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ،  
 وَائِلًا (٤) إِلَى مَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، عَاشِقًا لِمَا هُوَ فِيهِ .

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الَّتِي وَصَفَتْ ، وَعَايَنَ مَا ذَكَرَتْ  
 أَوْمًا بِهَا إِلَى أَخِيهِ فِي الْمَعْدَلَةِ وَنَظِيرِهِ فِي السَّيْرِ ،  
 وَشَقِيقِهِ فِي الدِّيَانَةِ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ أَرَادَ لِأَمَالِهَا إِلَى

(١) وَقَمَّ الْكَيْدُ : أَذَلَهُ وَقَهَرَهُ .

(٢) الْمَصَاصُ . خَالَصَ كُلَّ شَيْءٍ .

(٣) شَتِيفًا . مَبْغُضًا كَارِهَا .

(٤) وَائِلًا : لَاجِئًا .

ابنه ، ولصيرها في عقبه ، ولم يُخْرِجْهَا مِنْ  
 ذُرِّيَّتِهِ ، فَأَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَقَامَ فِيهَا بِقِسْطِهَا ، لَمْ  
 يَوْدِدْهُ ثِقَلُهَا ، وَلَمْ يَبْهِيْظْهُ حِفْظُهَا ، مُشْرِدًا لِلْكَفْرِ  
 عَنْ مَوْطِنِهِ وَنَافِرًا لَهُ عَنْ وَكْرِهِ ، وَمُثِيرًا لَهُ مِنْ مَجْثَمِهِ ،  
 حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلٍّ عَلَى يَدَيْهِ أَقْطَارَ الْبِلَادِ ، وَنَصَرَ  
 اللَّهُ يَقْدَمُهُ ، وَمَلَائِكَتُهُ تَكْنُفُهُ ، وَهُوَ بِاللَّهِ مُعْتَصِمٌ ،  
 وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلٌ ، حَتَّى تَأْكُودَتْ عُرَا الْحَقِّ عَلَيْكُمْ  
 عَقْدًا ، وَاضْمَحَلَّتْ عُرَا الْبَاطِلِ عَنْكُمْ حَلَاةً ، فَوَرَهُ  
 فِي الدُّجُنَاتِ سَاطِعٌ ، وَضَوْءُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَامِعٌ ،  
 قَالِيًا لِلدُّنْيَا إِذْ عَرَفَهَا ، لَافْظًا لَهَا إِذْ عَجَمَهَا ، وَشَافِيًا لَهَا  
 إِذْ سَبَرَهَا ، تَخْطُبُهُ وَيَقْلَاهَا ، وَتُرِيدُهُ وَيَأْبَاهَا (١) ،  
 لَا تَطْلُبُ سِوَاهُ بَعْلًا ، وَلَا تَبْغِي سِوَاهُ نُحْلًا (٢) أَخْبَرَهَا أَنْ  
 الَّتِي يَخْطُبُ أَرْغَدُ مِنْهَا عَيْشًا ، وَأَنْضَرُ مِنْهَا حُبُورًا ،  
 وَأَدْوَمُ مِنْهَا سُرُورًا ، وَأَبْقَى مِنْهَا خُلُودًا ، وَأَطْوَلُ مِنْهَا  
 أَيَّامًا ، وَأَغْنَى مِنْهَا أَرْضًا ، وَأَنْشَعَتْ مِنْهَا جَمَالًا ،

(١) تريد : عمر بن الخطاب .

(٢) للنحل : العطاء .

وَأَتَمُّ مِنْهَا بُلْهَنِيَّةٌ ، وَأَعَذِبُ مِنْهَا رُفْهَنِيَّةٌ (١) فَبَشَّحَتْ  
نَفْسَهُ بِذَلِكَ لِعَادَتِهَا ، وَاقْشَعَرَّتْ مِنْهَا لِمُخَالَفَتِهَا ، فَعَرَّكَهَا  
بِالْعَزْمِ الشَّدِيدِ حَتَّى أَجَابَتْ ، وَبِالرَّأْيِ الْجَلِيدِ حَتَّى  
انْقَادَتْ ، فَأَقَامَ فِيهَا دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ . وَقَوَاعِدَ السُّنَّةِ  
الْجَارِيَةِ ، وَرَوَائِي الْأَثَرِ الْمَاضِيَةِ وَأَعْلَامَ أَخْبَارِ  
النُّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَظَلَّ خَمِيصًا مِنْ بَهْجَتِهَا ،  
قَالِيًا لِأَثْنِهَا ، لَا يَرِغْبُ فِي زِيَارَتِهَا (٢) وَلَا تَطْمَحُ  
نَفْسُهُ إِلَى جِدَّتِهَا ، حَتَّى دُعِيَ فَأَجَابَتْ ، وَنُودِيَ  
فَأُطَاعَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَاحْتَدَى فِي النَّاسِ بِأَخِيهِ  
فَأَخْرَجَهَا مِنْ نَسْلِهِ ، وَصَيَّرَهَا شُورَى بَيْنَ إِخْوَتِهِ ،  
فَبَايَ أَعْمَالَهُ يَتَعَلَّقُونَ ؟ . وَبَايَ مَذَاهِبِهِ يَتَمَسَّكُونَ ؟  
أَبْطَرَأَتْهُ الْقَوِيَّةُ فِي حَيَاتِهِ ، أَمْ بَعْدُ لَهُ فِيكُمْ عِنْدَ وَفَاتِهِ ،  
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ طَاعَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتُمْ فَقِي  
حِفْظِ اللَّهِ وَكَلَامَتِهِ .

\* \* \*

---

(١) الرُهْنِيَّةُ : رَغْدُ الْمَيْشِ وَخَصْبُهُ .

(٢) الزَّبْرَجُ : الْوُثْيُ .

## أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ

قيل : دخلت أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَلَى معاويةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بِالْمَوْسِمِ وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ ، فَلَمَّا رَأَاهَا قَالَ : مَرَّحَمًا بِكَ يَا عَمَّةُ . قَالَتْ : كَيْفَ أَنْتَ يَا بَنَ أَخِي ، لَقَدْ كَفَرْتَنِي بِعَدِي بِالنَّعْمَةِ ، وَأَسَأْتَ لِابْنِ عَمَّتِكَ الصُّحْبَةَ ، وَتَسَمَّيْتَنِي بِغَيْرِ اسْمِكَ ، وَأَخَذْتَ غَيْرَ حَقِّكَ ، بِغَيْرِ بِلَاءٍ كَانَ مِنْكَ وَلَا مِنْ آبَائِكَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . فَأَتَيْتُمُ اللَّهَ الْجَدُودَ ، وَصَغَّرْتُمُنْكَمُ الْخُدُودَ ، حَتَّى رَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا . وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ هُوَ الْمَنْصُورُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

\* \* \*

## رُويَا رُقَيْبَةَ (١)

قَالَ مَخْرَمَةُ بْنُ نُوفَلٍ (٢) : حَدَّثَنِي أُمِّي رُقَيْبَةُ بِنْتُ أَبِي صَيْفِيٍّ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، قَالَتْ :

(١) رُقَيْبَةُ بِنْتُ أَبِي صَيْفِيٍّ بْنِ هَاشِمٍ ، قَبْلَ كَالَتْ صَحَابِيَّةٌ .

(٢) مَخْرَمَةُ بْنُ نُوفَلٍ الْقُرَشِيُّ الزَّهْرِيُّ ، أُمُّهُ رُقَيْبَةُ ، كَانَ مِنْ مَسَلَمَةِ الْفَتْحِ ، وَمِنْ الْمَوْلُفَةِ قُلُوبِهِمْ شَهِدَ حَنْبِلًا مَعَ النَّبِيِّ . تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٤ هـ وَعُمُرُهُ ١٦٥ سَنَةً .



تَتَابَعَتْ عَلَى قَرِيْشٍ سَنُوْنَ أَقْحَحَاتِ (١) الضَّرْعِ  
وَأَرْقَتِ اللَّحْمَ ، وَأَدَقَّتِ الْعِظَمَ فَيِينَا أَنَا نَائِمَةٌ ، لَاهَمَّ  
أَوْ مُهَوِّمَةٌ (٢) إِذَا أَنَا بِهَاتِفٍ يَهْتَفُ بِصَوْتِ صَحْلٍ (٣)  
أَقْشَمَرُّ لَهْ جِلْدِي : مَعَاشَرَ قَرِيْشٍ إِنَّ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الْمُبْعُوْثَ  
مِنْكُمْ قَدْ أَظْلَتَكُمْ أَيَّامُهُ ، وَهَذَا أَوَّانٌ نُجْوَمُهُ (٤)  
أَلَا فَحَيِّ هَلَا (٥) بِالْخَصْبِ وَالْحَيَا ، أَلَا فَانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا  
وَمَسِيْطًا (٦) عَظْمًا جُسَامًا أَيْضًا بَضًّا أَوْ طَفَ الْأَهْدَابِ (٧)  
أَشْمَ الْعَرْنَيْنِ (٨) سَهْلَ الْحَدَّيْنِ ، لَهُ نَجْرٌ يَكْظُمُ  
عَلَيْهِ (٩) وَسُنَّةٌ تَهْدِي إِلَيْهِ . أَلَا فَايْدُلُّفْ هُوَ وَوَلَدُهُ ،

---

(١) أَقْحَحَاتِ الضَّرْعِ : أَيْسَتْهُ .

(٢) التَّهْوِيْمُ : هَزُّ الرَّأْسِ مِنَ النَّعَاسِ ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا : الْإِسْتِرَاقُ فِي النَّوْمِ .

(٣) صَحْلٌ : فِيهِ بَعْمَةٌ .

(٤) النُّجُومُ : الظُّهُورُ .

(٥) حَيِّ هَلَا : أَسْرِعُوا .

(٦) الرَّحِيْطُ : النَّحِيْبُ .

(٧) أَوْ طَفَ الْأَهْدَابِ : غَزِيْرَهَا .

(٨) الْعَرْنَيْنِ : الْأَنْفُ . وَأَشْمُ الْعَرْنَيْنِ ، كُنَايَةٌ مِنَ الرَّفْعَةِ .

(٩) الْمَرَادُ : لَا يَظْهَرُ .

وليد ثلث معه من كل بطن رجل ، فليشئوا (١)  
 من الماء ، وليمسوا من الطيب ثم ليستاموا الركن ،  
 وليرثوا أبا قبيس (٢) ، وليدع الرجل ، وليؤمن  
 القوم على دعائه ، فغثتكم ما شئتم (٣) .

قالت : فأصبحت - عليم الله - مذكورة قد  
 وله قلبي ، واقشعر جلدي لما رأيت في منامي فقصصت  
 رؤياي ، ونمت في شعاب مكة ، فوالحُرمة والحرم ،  
 ما بقي أبطحي إلا قال : هذا شئبة الحمد ، هذا  
 عبد المطلب . فتنامت (٤) إليه رجالات قريش ، وهبط  
 إليه من كل بطن رجل ، فشئوا ومسوا واستلموا ،  
 ثم ارتقوا أبا قبيس ، وطفقوا يزفون (٥) حواله ،  
 ما أن يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استوا بدروة  
 الجبل قام عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله

(١) شن الماء : صبه مفرقا ، وسنه : صبه مجتمعا .

(٢) جبل بمكة .

(٣) أتاكم الغيث : وغثتم : فعل مبني للمجهول . .

(٤) تنامت إليه : تنامت إليه .

(٥) يزفون : يسرعون الخطو مع تقارب رسكون .

عليه ، غلامٌ قد أجمع أو كرب (١) ، فرفع يده إلى  
السماء وقال :

اللهم كاشف الكرب ، وساد الخلة ، أنت عالم (٢)  
غير معلم ، مسؤول غير مُبْتَخَل هذه عبدك (٣)  
وإماؤك بعنبرآت (٤) حرّمتك ، يشكون إليك سنّتهم  
التي أذهبت الظلف والخف (٥) ، فاسمع اللهم لنا ،  
وأطرن غيثاً مُخْدِقاً مريعاً (٦) . فما رامسوا الكعبة (٧)  
حتى تفجرت السماء بمائها ، وكظّ الوادي بشجيجه (٨)  
فلسّمت شيخان قريش وجلّتها : عبد الله بن  
جُدعان ، وحرب بن أميّة ، وهشام بن المغيرة  
يقولون لعبد المطلب : هنيئاً لك أبنا البطحاء هنيئاً لك .

• • •

---

(١) كرب . أو شك .

(٢) في أسد الغابة : أنت معلم .

(٣) عبدك : عبيدك .

(٤) عنبرآت : أفنية .

(٥) اللواد : الفم والإبل .

(٦) مريع : ترقع فيه الدواب .

(٧) رام هريم : فارق .

(٨) الشجيج : السيل .

## هِنْدُ بِنْتُ عُثْبَةَ (١)

قالت هندُ بنتُ عُثْبَةَ لأبيها : إني امرأةٌ قد ملكْتُ أمري ، فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ . فقال : لكِ ذلك . وقال لها ذاتَ يومٍ : إنَّه قد خطَبَكَ رجلانِ من قومك ، ولستُ مُسَمِّياً لك واحداً منهما ، حتى أصيفه لكِ ، أمّا الأولُ ففي الشَّرَفِ الصِّمَمِ ، والحَسَبِ الكريمِ ، تخالين به هوجاً من غفلته ، وذلك إسجَاحُ (٢) من شيمته ، حَسَنُ الصُّحَابَةِ ، سريعُ الإجابة ، إن تابعتَه تابعتك ، وإن ملئتِ كان معك ، تقضين عليه في ماله ، وتكتفين برأيك عن مشورته .

وأما الآخرُ ففي الحَسَبِ الحَسِيبِ ، والرأي الأريب ، بدُرُّ أرومته ، وعزُّ عشيرته ، يؤدِّبُ أهله ولا يؤدِّبونه ، إن اتَّبِعُوهُ أسهلَ بهم ، وإن جانبُوهُ قوَّعَر عنهم ، شديدُ الغيرة ، سريعُ الطَّيْرَةِ ، ضَعْبُ

---

(١) هند بنت عتبة القرشية الهاشمية زوج أبي سفيان ، أسلمت يوم الفتح ، وعفا عنها الرسول . بعد تمثيلها بحمزة بعد أن قتل ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) الإسجَاح : حسن العفو .

حجّابِ القُبّةِ ، إن حَاجَّ فغير مَنزور (١) ، وإلا  
نُوزع فغيرُ مَقْسُور ، قد بينتُ لك كليهما .

قالت : أما الأولُ فسيّدُ مضِياعٍ لكريمته ، مُواتٍ  
لها ، فما عسى إن لم تَعْتَصِرْ أَنْ تَلِينَ بعد إِبائِها ،  
وتَضَيِّعَ تحتَ خَبائِها ؛ إن جاءتهُ بولدٍ أَحْمَقَّتْ وإن  
أُنْجِبَتْ فَعَمِنَ خَطَأُ ما أَنْجَبَتْ . اطوِرْ ذَكَرَ هَذَا عَنِّي  
لَا تُسَمِّهِ لِي .

وأما الآخرُ فَبَعْلُ الحُرّةِ الكَرِيمَةِ ، إني لأَخْلَقُ  
هذا لَوامِقَةً ، وإني له لَوافِقَةٌ ، وإني لَأَخْذُهُ بِأَدَبِ  
الْبَعْلِ ، معَ اِزْوَاجِي قُبَّتِي وَقَلَّةِ تَلَفُّفِي ، وإنَّ السَّلِيلَ  
يَبْنِي وَيَبْنِي لِحَرِّيٍّ أَنْ يَكُونَ المَدَافِغَ عَنْ حَرَمِ  
عَشِيرَتِهِ ، الذائِدَةَ عَنْ كَتَبِيتِهَا المَحَامِي عَنْ حَقِيقَتِهَا ،  
الْمُثَبَّتَةَ لِأَرْوَمَتِهَا ، غَيْرَ مُتَوَاكِلٍ وَلَا زُمَيْلٍ (٢)  
عندَ صَعَصَعَةٍ (٣) الحُرُوبِ .

---

(١) غير منزور : غير قليل في حجه .

(٢) الزميل : الضعيف .

(٣) صعصة الحروب : حركتها أو اضطرابها .

قال : ذلك أبو سفيان بن حرب . قالت : فزوجه  
ولا تلقني إليه لإقامة الشكس ولا تسمه سؤم  
الضرس (١) ، ثم استخبر الله عز وجل في السماء  
بخرلك في القضاء . فزوجها أبا سفيان . وكان الآخر  
سهيل بن عمرو (٢) .

\* \* \*

### رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب (٣)

كانت عاتكة بنت عبد المطلب عمّة رسول  
الله صلى الله عليه ، ساكنة بمكة مع أخيها العباس بن  
عبد المطلب ، فرأت رؤيا قبل يوم بدر ، وقبل قدوم  
ضمضم عليهم ، ففرغت منها ، فأرسلت إلى أخيها  
العباس بن عبد المطلب من ليلتها ، فجاءها فقالت :

(١) الضرس : السوء الخلق .

(٢) سهيل بن عمرو القرشي أحد أشراف قريش ، وهو الذي منع  
قريشاً عن الارتداد بعد وفاة الرسول ، خرج إلى الشام مجاهداً واستشهد  
سنة ٥١٤ .

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب ، اختلف في إسلامها ، فقال بعض  
العلماء : لم يسلم من عبات النبي غير صفية .

رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَدْ أَشْفَقْتُ مِنْهَا ، وَخَشِيتُ عَلَى قَوْمِكَ  
الْمُلْكَةَ . قَالَ : وَمَاذَا رَأَيْتِ ؟ قَالَتْ : لَنْ أَحْدَثَ نَاكُ  
حَتَّى تَعَاهِدَنِي أَلَا تَذَكِّرْهَا لِقَوْمِكَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوهَا  
أَذَوْنَا وَأَسْمَعُونَا مَا لَا نُحِبُّ . فَعَاهَدَهَا الْعَبَّاسُ فَقَالَتْ :

رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى رَاحِلَةٍ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ يَصْبِيحُ  
بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ غُدَرٍ (١) ، ائْخْرَجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ  
أَوْ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَصْبِيحُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ  
فَصَاحَ ثَلَاثَ صَيِّحَاتٍ ، وَمَالَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ  
وَالصَّبِيَّانُ ، وَفَزَعَ النَّاسُ لَهُ أَشَدُّ الْفَزَعِ . قَالَتْ :  
ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَاحَ  
ثَلَاثَ صَيِّحَاتٍ فَقَالَ : يَا آلَ غُدَرٍ ، يَا آلَ فُجَرٍ (٢)  
ائْخْرَجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ . ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلًا عَلَى أَبِي  
قُبَيْسٍ كَذَلِكَ يَقُولُ يَا آلَ غُدَرٍ وَيَا آلَ فُجَرٍ حَتَّى أَسْمَعَ  
مِنْ بَيْنِ الْأَنْحَشَبِيِّينَ (٣) مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، ثُمَّ عَمَدَ  
لِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فَنَزَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى أَهْلِ

---

(١) غدر : معطول عن غادر .

(٢) فجر : معطول عن فاجر .

(٣) الأنحشبان : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمي .

مكة ، فأقبلت الصخرة لها حسٌ شديدٌ ، حتى إذا كانت عند أصلِ الجبلِ ارفضتْ ، فلا أعلمُ بمكةَ بيتاً ولا داراً إلا وقد دخلتها فلقيةً من تلك الصخرة ، فقد خشيتُ على قومك .

ففرعَ من رؤياها العباسُ ثم خرجَ من عندها ، فلقى الرايدَ بنَ عتبةَ بنِ ربيعةَ من آخرِ تلكَ الليلةِ ، وكان خليلاً للعباس ، فقصَّ عليه رؤيا عاتكةَ وأمره ألا يذكرها لأحد ، فذكرها لأبيه عتبةَ ، وذكرها عتبةُ لأخيه شيبَةَ ، فارتفعَ الحديثُ حتى بلغَ أبنا جهلٍ واستفاضَ في أهلِ مكة .

• • •

### فاطمةُ بنتُ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ

روي عن عطاء ، قال : قلت لفاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ : أخبريني عن عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز . قالت : أفعل ، ولو كان حياً ما فعلت . إن عمرَ - رحمه الله - كان قد فرغَ للمسامينِ نفسه ، ولأموارهم ذهنه ، فكان إذا أَسَى مساءً لم يقرُغْ فيه من حوائجِ الناسِ في يومه دعا



بسراجہ الذي كان يُسَرَّجُ له من ماله ثم صلى ركعتين ،  
ثم أقعَى واضعاً رأسه على يديه ، تسيلُ دموعه على  
خديّه يشهقُ الشهقة تكادُ ينصدعُ لها قلبه ، أو تخرجُ  
لها نفسه ، حتى يرى الصُّبحَ .

وأصبحَ صائماً فدنوتُ منه فقلت : يا أَمِيرَ المؤمنين ،  
أشياء كان منك ما كان ؟ قال : أجل ، فعليكِ بشأنكِ ،  
وخلّيني وشأني . فقلت : إني أرجو أنْ أتعظَ . قال :  
إذا أخبرُكِ ، إني نظرتُ قد وجدْتُني وليتُ أمرَ هذه  
الأمّةِ أحمرِها وأسودِها ، ثم ذكرتُ الفقيرَ الجائعَ ،  
والغريبَ الضائعَ ، والأسيرَ المقهورَ ، وذا المالِ القليلِ  
والعيالِ الكثيرِ ، وأشياء من ذلك في أقاصي البلاد ،  
وأطرافِ الأرضِ ، فعلمتُ أن الله عزَّ وجلَّ سائلي  
عنهم ، وأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتّيجي جي (١) ،  
لا يقبلُ الله مني فيهم متعذّره ، ولا يقومُ لي مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم حُجة ، فرحمتُ واللهِ يافاطمةُ

---

(١) حتّيج المرء : من يحاجه ويحاجله .

تفسي رحمة دمعت لها عيني ، ووجعت لها قلبي ، فأنا  
كلّما ازددت ذِكرا ازددت خوفاً فأيقظني أودعي .

\* \* \*

### أم سلمة أم المؤمنين

في حديث أم سلمة أنها أتت عائشة لما أرادت  
الخروج إلى البصرة فقالت لها :

إنك سُدّةُ بين رسول الله صلى الله عليه وأُمّته ،  
وحجّابك مضروبٌ على حرّمته ، وقد جَمَعَ القرآنُ  
ذِيكَ فلا تُنْذِحيه (١) وسكّنت عَقِيرَكَ فلا تُصْحرِيها .  
الله من وراء هذه الأمة ، لو أرادَ رسولُ الله صلى  
الله عليه أن يتعهدَ إليك عهداً . علّتِ علّتِ (٢) بل  
قد نَهاكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسامعُ عن الفُرْطَةِ (٣) في  
البيادر ، إن عمودَ الإسلام لا يُثَّابُ (٤) بالنساء إن مال

---

(١) لا تُلْحيه : لا توسعيه بالحركة والخروج . وعقيرك : من  
عقر الدار .

(٢) علّت : من المول ، وهو الميل .

(٣) الفُرْطَةُ : من الفُرْط وهو السبق والتقدم .

(٤) لا يُثَّابُ : لا يصلح ، من ثاب الرجل . إذا صلح بدنه .

ولأيرأب (١) بهن أن صدع ، حُمَادِيَاتُ النساءِ غَضُ  
الأطرافِ ، وَخَقَرُ الأعْراضِ ، وَقَصَرُ الوَهَاذَةِ (٢) .

\* \* \*

### مُلْتَقَطَاتٌ مِنْ كَلَامِهِنَّ

قالت هندُ بنتُ عتبةَ وقد عُرِّيتُ عن يزيدَ بنِ  
أبي سفيانَ (٣) لما مات فقيل لها : إنا لنرجو أن يكون في  
معاويةَ خلفاً منه . قالت : أو مثلُ معاويةَ يكون خلفاً من  
أحد ؟ والله لو جُمِعت العربُ من أقطارها ثم رُمِيَ به فيها  
لخرجَ من أيها شاء .

قالت خالدةُ بنتُ هاشمٍ بنِ عبدِ منافٍ لأخيه لها - وقد  
سمعتَه تجتهدُ صديقاً له : أيُّ أخِي ، لا تطلع من الكلام  
إلا ما قد رَوَّاتُ (٤) فيه قبل ذلك ، ومزجته بالحلم ،

---

(١) يرأب : يصلح .

(٢) الوهازة : مشية الخفريات .

(٣) يزيد بن أبي سفيان صحابي ، أسلم يوم الفتح ، وشهد غزوة  
حنين ، وهو أحد القادة الذين وجههم أبو بكر إلى الشام ، وولي فلسطين  
لعمرو ، وتوفي سنة ٥١٨ هـ .

(٤) رَوَّاتُ في الشيء : نظرت إليه وعرفت حقيقته .

وداويته بالرقيق ، فإن ذلك أشبه بك . فسمعها أبوها  
هاشم فقام إليها فاعتنقها وقبلها وقال : واهاً لك  
ياقبة الديباج فلقتبت بذلك .

قالت عائشة للنبي عليه السلام وقد دخل عليها :  
« أين كنت يا رسول الله ؟ قال : « كنت عند أم سلمة . »  
قالت : أما تشيع ؟ فتبسّم . وقالت : يا رسول الله ،  
لو مررت بعد وتين (١) لإحداهما عافية لم يرعها أحد ،  
وأخرى قد رعها الناس ، أيها كنت تنزل ؟ قال :  
« بالعافية التي لم يرعها الناس » قالت : فليست كأحد  
من نسائك .

روى أن عمر نهى أبا سفيان عن رش باب منزله  
ثلاثاً يمر به الحاج فيزلقون فيه . فأم يته . ومرّ عمر  
فزلق ببابه فعلاه بالدرة وقال : ألم آمرك ألا تفعل هذا .  
فوضع أبو سفيان سبّابه على فيه . فقال عمر : الحمد لله  
الذي أراني أبا سفيان ببطحاء مكة أضربه فلا يتتصر ،  
وأمره فيأتمر . فسمعه هند بنت عتبة فقالت : إحمدّه  
يا عمر فإنك إن تحمدّه فقد أراك عظيماً .

« \* »

---

(١) الدرة : شاطئ الوادي أو حائه .

# الباب الثاني

---



## نكت من كلام نساء ومتحن جواباتهن والمفاظهن

مرت امرأة جميلة على مسجد بني نُمَيْرٍ بالبصرة  
وعليه جماعة منهم فقال بعضهم : ما أكبرَ عَجِيزَتَها ،  
وقال آخرُ : إنها مَلْفُوفَةٌ . وقال آخرُ : أنا أُجِيبُكُمْ  
بخبيرها . فتبعها وضربَ يده على عَجِيزَتِها . قال :  
فالتفت إليه وقالت : (( الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ  
مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ )) (١) ثم انصرفت إلى بني نُمَيْرٍ فقالت :  
يا بني نُمَيْرِ - والله ما حفظتُمْ في قول الله جلَّ وعزَّ ،  
ولا قولَ الشاعر ، قال الله تبارك وتعالى : (( قُلْ  
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ )) (٢) وقال الشاعر :

(١) سورة النقرة : ١٤٧ .

(٢) سورة النور : ٣٠ .

فَغَضَى الطَّرْفَ إِذْكَ مِنْ نُصَيْرٍ

فَلَا كَتَبَ بَاغِتَ وَلَا كِلَابَا (١)

قالت امرأةٌ من نُصَيْرٍ وحضرتها الوفاةُ ، وأهلُّها  
يجتمعون : من الذي يقول :

لَعَمْرُكَ مَارْمَاحُ بَنِي نُصَيْرٍ  
بطائشة الصلورِ وَلَا قِصَارِ (٢)

قالوا : زياد الأعجم (٣) . قالت : فإني أشهدُكم  
أن له الثَّلاثَ من مالي . وكان كثيراً .

وقالت امرأةٌ لزوجها : إن أكلتَ لا قَتِيفاً ، (٤) ،  
وإن شربتَ لا شَتِيفاً . وإن ضجعتَ لا كَتِيفاً ،  
تنامُ ليلةَ تخافُ ، وتُشبعُ ليلةَ تُضِيفُ .

---

(١) البيت لجرير . البيان والتبيين : ٢٤٣/٢ ، وذكر الجاحظ  
بعدها : وأخلق هذا الحديث أن يكون ، ولداً .

(٢) غنثار الأغانى : ١٣٧/٣

(٣) زياد بن سليمان ، لقب بالأعجم لقلة العجمة على لسانه ، شاعر  
جزل اللفظ ، ولد ونشأ بأصفهان ، وأقام بخراسان إلى أن مات .

(٤) الاكتفاف : الاتيان على جميع الطعام شرها .



طَلَّقَ أَعْرَابِي امْرَأَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ؛  
لَقَدْ كُنْتُ كَثِيرَ الْمَرْقِ طَيِّبِ الْعَرَقِ ، قَلِيلَ الْأَرْقِ ،  
قَالَ : وَأَنْتِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ؛ لَقَدْ كُنْتُ لِلْبَيْلَةِ  
الْمُعْتَنَقِ ، عِنْدَ الْكَرَى وَالْأَرْقِ ، وَلَكِنْ مَا قَضَى اللَّهُ  
قَدْ سَبَقَ .

تَزَوَّجَ أَعْرَابِي امْرَأَةً أَشْرَفَ مِنْهُ حَسَبًا وَنَسَبًا فَقَالَ :  
يَا هَذِهِ : إِنَّكَ مَهْزُولَةٌ . فَقَالَتْ : هُزُلِي أَوْ بُلْخِي بِبَيْتِكَ .  
قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَقَدْ دُفِعَ إِلَيْهَا عَلَيْكَ ائْتَمِصْغِهِ :  
مَا فِيهِ إِلَّا تَعَبُ الْأَخْرَاسِ وَخَبِيئَةُ الْخَنْجَرَةِ .

نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى امْرَأَتَيْنِ يَتَلَاَعَبَانِ فَقَالَ : مُرًّا لَعْنُكُمَا  
اللَّهُ فَإِنَّكُنِ صَوَاحِبَاتُ يَوْمِئِذٍ . فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا :  
يَا عَمِّي فَمَنْ رَمَى بِهِ فِي الْجُبِّ . نَحْنُ أَوْ أَنْتُمْ ؟  
وَمَرَّتْ جَارِيَةٌ بِقَوْمٍ وَمَعَهَا طَبَقٌ مَغْطًى فَقَالَ  
بَعْضُهُمْ : أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ عَلَى الطَّبَقِ ؟ قَالَتْ : فِيلَمَ  
غَطِّيْنَاهُ ؟ .

قَالَ الْجَاخِظُ : وَمِنَ الْأَسْجَاعِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ  
الْأَعْرَابِيَةِ حِينَ خَاصَمَتْ ابْنَهَا إِلَى عَامِلِ الْمَاءِ : أَمَا كَانَ

بطيني لك وعاء ؟ أما كان حجرتي لك فناء ؟ أما كان  
نديبي لك سقاء .

وقالت امرأة : أصبحنا ما برقده لنا فرس ، ولا ينام  
لنا حارس .

مرّ رجل بامرأة من غاضرة ، وزذا ابن لها مسجى  
بين يديها . وهي تقول : يرحمك الله يا بني . فوالله ما كان  
مالك لبطنك . ولا أمرك لعريك ، ولا كنت إلا لين  
العطفة . يرضيك أقل مما يسخطك . قال : فقلت  
لها : يا أمّة ، ألك منه خلفة ؟ قالت : بلى ما هو خير  
منه . ثواب الله والصبر على المصيبة .

ولما قُتل الفضل بن سهل (١) دخل المأمون  
إلى أمّه يعزيها فيه . وقال : يا أمّة ، لا تحزني على الفضل ،  
فلاني خلف لك منه . فقالت له : وكيف لا أحزن على  
ولد عوّضي خلفاً مثلك ؟ فتعجّب المأمون من جوابها .  
وكان يقول : ما سمعت جواباً قط كان أحسن منه ولا  
أخلب للقلب .

---

(١) الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير المأمون كان عادلاً حكيماً .

حُكي أنَّ عَجُوزاً من الأعرابِ جَلست في طريق  
مَكَّةَ إلى فُتَيانٍ من قُرَيْشٍ يَشربون نبيذاً لهم ، فسقوها  
قَدْحاً فطابت نفسها وتبسَّمتُ ثم سقوها قَدْحاً آخرَ ،  
فاحمرَّ وجهُها وصحكتُ فسقوها قَدْحاً ثالثاً ، فقالت :  
أخبروني عن نسائكم بالعراق ، أَيَشْرَبْنَ من هذا  
الشرابِ : قالوا : نعم . قالت : زَنَيْنَ وربَّ الكعبةِ .  
سُئِلت أعرابيةٌ فقيل لها : أتعرفين النُّجُومَ ؟ قالت :  
سبحان الله أَمَا أعرفُ أَشْيَاحاً وقوفاً عليَّ كلَّ ليلةٍ ؟  
قِيلَ لامرأةٍ أَصِيبَتْ بولدها : كيفَ أنتِ والجنَّ ؟ .  
قالت : لو رأيتُ فيه دَرَكَاً ما اخترتُ عليه ، ولو دامَ  
لي لدُمْتُ له .

حُطِبَ رجلٌ ابنةَ عمٍّ له فأخبرها أبوها بذلك  
فقالت : يا أَبَهْ ، سَلُهُ مالي عنده ؟ فسأله فقال :  
الطفُ بِرَّها ، وأَحْمِلْ ذَكَرَها ، وأعصي أمرها . فقالت :  
زوَّجنيهِ .

لَمَّا أَهْدِيَتْ ابنةُ عبدِ الله بنِ جعفرٍ إلى الحَجَّاجِ  
نظر إليها في تلك الليلةِ وعَبَّرَتْها بجولٍ في خَدَّها ،

فقال ممّ بأبي أنت ؟ . قالت : من شرفٍ اتّضع ،  
ومن ضعة شرفت .

ولما كتب عبدةُ الملكِ إلى الحجاج بطلاقها قال لها :  
إنّ أميرَ المؤمنين أمرني بطلاقكِ . قالت : هو أبرُّ أبي ممّن  
روّجنيّك .

حكّمَ بلالُ بنُ أبي بردةَ (١) بالتفريق بين رجل  
وامرأته . فقالت له المرأةُ : يا بنَ أبي موسى  
إنما بُعِثْتُم بالتفريق بين المسلمين .

نزلَ رجلٌ بامرأةٍ من العرب فقال لها : هل من  
لبنٍ أو طعامٍ يُباع ؟ فقالت : إنكَ للثيمُ أو حديثُ عهدٍ  
بالثّام . فاستحسن ذلكَ منها وخطبها فتزوجها .

حدّث بعضهم قال : خرجتُ إلى ناحيةِ الطّفاوة (٢)  
فإذا أنا بامرأةٍ لم أر أجملَ منها . فقلت : أيتها المرأةُ ،  
إن كان لكِ زوجٌ فبارك اللهُ له فيكِ ، وإلاّ فأعلميني .

---

(١) بلال بن أبي بردة يتصل بسبه بأبي موسى الأشعري ، ولله خالده  
في السري قضاء الضرّة .

(٢) الطفاوة : حي من قيس بن عيلان .

قال : فقالت : وماتصنعُ بي وفيّ شيءٌ لا أراكَ ترتضيه .  
قلت : وما هو ؟ قالت : شيبٌ في رأسي . قال : فثبْتُ  
عنانَ دابَّتِي راجعاً . فصاحتُ بي : على رِسْلِكَ  
أخبرك بشيء . فوقفْتُ وقلتُ : ما هو يرحمك الله ؟  
فقالت : والله ما بلغتُ العشرين بعدُ ، وهذا رأسي -  
فكشفت عن عناقيدَ كالحُمَم - وما رأيتُ في رأسي  
بياضاً قطً ، ولكن أحبتُ أن تعلمَ أنا نكرهُ مثلَ ما يُكره  
منّا . وأنشدت :

أرى شَيْبَ الرِّجالِ من الغواني  
بموضع شِيهِنٍّ من الرِّجالِ

قال : فرجعتُ نخجلاً كاسفَ البال .  
وصفت امرأة نساء فقالت : كنَّ صُدُوعاً في  
صفاً ليسَ لعاجز فيهنَّ حظٌّ .

قيل لابنة الحُس (١) : من تريدين أن تزوّجي ؟  
فقالت : لا أريدُه أنا فلان ولا ابنَ عمِّ فلان ، ولا الظَّرِيفَ

---

(١) هي هند بنت الحُس ، لها أخبار مروية في كتب الأدب .

ولا المتظرف ، ولا السمين اللحم ولكني أريدُه كسوبا  
إذا غدا ، ضحوكا إذا أتى .

وقيل لها : مَنْ أعظمُ الناس في عينك ؟ قالت : مَنْ  
كانت لي إليه حاجة .

قيل لأعرابية قد حملت شاةً تبيعُها : بكم ؟  
قالت : بكذا . قيل لها : أحسني . فتركت الشاةَ  
ومرّت لتصرف . فقيل لها : ماهذا ؟ قالت : لم تقولوا :  
أنقصي ، وإنما قلتم : أحسني . والإحسان تركُ الكل .  
قالت قرية الأعرابية : إذا كنت في غير قومك  
فلا تنس نصيبك من ذلك .

قيل لأعرابية : ما أطيبُ الروائح ؟ قالت : بَدَنٌ  
تُحِبُّه ، وولدٌ تُرَبِّيه .

سأل رجلٌ الحيزران (١) حاجة ، وأهدى إليها  
هديةً فردَّتْها وكتبت إليه : إن كان الذي وجهته ثمنا  
لرأي فيك فقد بخستني في القيمة ، وإن كان استزادةً  
فقد استغششتني في النصيحة .

---

(١) الحيزران : أم هانئ الرشيد .

قتل قتيبة<sup>(١)</sup> أبا امرأة وأخاها وزوجها ثم قال لها :  
أنعرفين أعدى لك مني ؟ قالت : نعم : نفسي طالبتني  
بالغداء بعد من قتلت لي .

تقدمت امرأة إلى قاضٍ فقال لها القاضي : جأ معك  
شهودك كدأهم ؟ فسكتت فقال كاتبه : إن القاضي  
يقول : جاء شهودك معك ؟ قالت : نعم . ثم قالت  
للقاضي : ألا قلت كما قال كاتبك . كبر سنك ،  
وذهب عقلك . وعظمت لحيثك فغطت على عقلك ،  
وما رأيت ميتاً يحكم بين الأحياء غيرك .

قالت أعرابية لزوجها ، ورائه متهموما : إن  
كان همك بالدنيا فقد فرغ الله منها ، وإن كان للآخرة  
فزادك الله همًا بها .

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : إلهي ،  
ما أضيق الطريق على من لم تكن دليلته ، وأوحشه على  
من لم تكن أنيسه !

قالت عائشة للخنساء : إلى كم تبكين على صخر ،

---

(١) قائد أمير ولي خراسان .

وإنّما هو جَمْرَةٌ في النار ؟ قالت : ذاك أشدُّ لجزعي عليه .

جاءت امرأةٌ إلى عديّ بن أرطاة (١) تستعديه على زوجها ، وتشكو أنّه عنينٌ لا يأتيها ، فقال عدي : إنّي لأستحيي للمرأة أن تستعدي على زوجها من مثل هذا ، فقالت : ولم لأرغبُ فيما رغبته فيه أمّك فلعلّ الله أن يرزقني ابناً مثلك .

وقالت أعرابيةٌ لرجلٍ : مالك تُعطي ولا تُعِدُّ ؟ فقال لها : مالك وللوعد ؟ قالت : ينفسُ به الصبرُ ، وينتشر فيه الأمل ، وتطيبُ بذِكره النفسُ ، ويرجى به العيشُ ، وتربحُ أنت به المرح بالفناء .

قيل لامرأة : صفي لنا الناقةَ النجيبةَ ، قالت : كالعقربِ إذا هوتُ ، وكالحيةِ إذا التوتُ ، تطوي القلاةَ وما انطوتُ .

خطب أعرابي امرأةً وكان قصيراً فاحش القصر ، عظيم الأنف جداً فكرهتهُ فقال : يا هذه ، قد عرّفتِ

---

(١) عدي بن أرطاة الفزاري ، ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز .



شَرَفِي وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ كَرِيمُ الْمَعَاشِرَةِ ، مُحْتَمِلُ الْمَكْرُوهِ .  
فَقَالَتْ : صَدَقْتَ مَعَ حَمَلِكَ هَذَا الْأَثْفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .  
اسْتَعْمَلَ الْمَنْصُورُ رَجُلًا عَلَى خِرَاسَانَ فَاتَمَّتْ امْرَأَةٌ  
فِي حَاجَةٍ فَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ غَنَاءً ، فَقَالَتْ : أَتَدْرِي لَمْ وَلَاكَ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا : قَالَتْ : لِيَنْظُرَ هَلْ يَسْتَقِيمُ  
أَمْرُ خِرَاسَانَ بِلَا وَالٍ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : خَطَبْتُ امْرَأَةً فَأُجَابَتْ ، فَقُلْتُ :  
إِنِّي سَيِّءُ الْخُلُقِ : فَقَالَتْ : أَسَوُّ خُلُقًا مِنْكَ مَنْ يُلْجَأُكَ  
إِلَى سُوءِ الْخُلُقِ .

قِيلَ : إِنَّ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ  
قُرَشِيَّةً وَجُعْفِيَّةً وَبَعَثَ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَشْرِينَ  
أَلْفًا . وَقَالَ لِلرَّسُولِ : احْفَظْ مَا تَقُولُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا  
فَقَالَتِ الْقُرَشِيَّةُ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا . وَقَالَتِ الْجُعْفِيَّةُ :  
مَتَاعَ قَلْبٍ مِنْ حَبِيبٍ مَفَارِقٍ . فَرَاغَتْهُمَا وَطَلَّقَ الْأُخْرَى .

وكَانَتْ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ امْرَأَةٌ فَضَجِرَ  
يَوْمًا وَقَالَ : أَمْرُكَ فِي يَدِكَ . فَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ  
كَانَ فِي يَدِكَ عَشْرِينَ سَنَةً فَحَفِظْتَهُ ، أَفَأَصْبَحْتُ فِي سَاعَةٍ

صارَ في يدي . قد رددتُ إليك حقَّك . فأعجبه قولها  
وأحسن صحبتها .

قالت الخيزران : قبح اللهُ الخدمَ ليس لهمُ حزمُ  
الرجالِ ولا رِقَّةُ النساءِ .

كتب المأمونُ إلى شيكَّة (١) أمَّ إبراهيمَ بنِ المهدي (٢)  
يتوصدُّها فأجابته : أنا يا أميرَ المؤمنين أمُّ من أمهاتِكَ ،  
فإن كان ابني عَصَى اللهَ فيكَ فلا تعصهُ فيَّ ، والسلام .  
عُرِضَتْ عَنَّا ، جاريةُ الناطقي على الرشيد وهو  
يتبخَّر ، فقال لها : أتحبِّين أن أشتريكَ ؟ فقالت : ولمَّ  
لا يا أحسنَ الناسِ خلقًا وخلُقًا ؟ فقال : أمَّا الخلقُ  
فقد رأيته ، فالخلقُ أنَّى عَرَفْتِهِ ؟ قالت : رأيْتُ  
شرارةً طاحتُ من المِجْمرة فلمعتُ في نكدك فما  
قطَّبتُ لها ولا عاتبتُ أحداً .

---

(١) شكَّة أم إبراهيم بن المهدي ، سبيت ، وحملت إلى المنصور  
فوهبها لأم ولده ، أخذها المهدي فولدت له إبراهيم .

(٢) إبراهيم بن المهدي أديب شاعر له صنعة في الغناء ، ولي الخلافة  
بعد قتل الأمين ، ولما جاء المأمون استقر ثم استعطفه فغفا عنه .

كان معاويةُ يمشي مع أمه فَعَثَرَ ، فقالت له :  
 قمْ لا رَفَعَكَ اللهَ - وأعرابيٌّ ينظر إليه - فقال : لم  
 تقولينَ له هذا ؟ فوالله إنني لأظنه سيسودُ قومه .  
 فقالت . لا رَفَعَهُ اللهَ إن لم يسُدْ إلا قومه .

قال محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ عثمانَ :  
 جَمَعَتْنَا أمْنَا فاطمةُ بنتُ الحُسَيْنِ عليه السلام فقالت :  
 يا بَنِيَّ إِنَّه والله ما ذاك أحدٌ من أهل السِّفَةِ بسفهم  
 شيئاً ، ولا أدركوه من لذائهم إلا وقد ناله أهلُ  
 المروءات بمروءاتهم . فاستتبروا بيسْتَرِ الله .

لما قَصَدَ المعتضدُ (١) بني شيبانَ اصطَفَى منهم  
 عجوزاً سريعةَ الجوابِ فصيحَةً ، فكان يُخْري بينها  
 وبين الجلساءِ . فجاءت يوماً فقعدت بلا إذْنٍ فقال لها  
 خَصِيفُ السَّمَرَقَنْدِيِّ الحاجبُ : أجلسينَ بين يدي أميرِ  
 المؤمنين ، ولم يأذنْ لكِ ؟ فقالت : أنت جاركُ ذلك وحاجبه ،  
 كان يجبُ أن تعرفي ما أعملُ قبل دخولي إذْ لم تَكُنْ

---

(١) هو أحمد بن الموصي ، الخليفة الهبسي ، تولى الخلافة سنة ٨٢٧٩  
 وتوفي سنة ٨٢٨٩ ، وكان شجاعاً فاضلاً .

لي عادةً بمثله . ثم قامت . فتغافل المعتضد عنها فقالت :  
يا سيداًهُ ؛ أقيامٌ إلى الأبد ، فمضى بنقضي الأمد ؟  
فضحك وأمرها بالجلوس . .

قالت هند بنت عتبةَ لأبي سفيانَ بنِ حَرْبٍ لما  
رجع مسلماً من عند رسول الله صلى الله عليه إلى مكة  
في ليلة الفتح فصاح : يا معشرَ قريشٍ ، ألا إنني قد  
أسلمتُ ، فأسلموا ، فإن مُحَمَّداً قد أتاكم بما لا قبيلَ  
لكم به . فأخذت هند رأسه وقالت : بشسَ طليعة القوم .  
والله ما خَدَشْتُ خَدَشاً . يا أهلَ مكة . عليكم  
الحمية (١) الدسم فاقتلوه .

وقالت هندُ : إقمنا النساءَ أغلالاً ، فليخزِرَ الرجلُ  
غلاً لِيَدِهِ .

وذكرت هندُ بنتُ المهلبِ النساءَ فقالت : مازَيْنٌ  
بشيء كآدبٍ بارعٍ تحته لُبٌّ ظاهرٌ .

وقالت أيضاً : إذا رأيتم النعم مستدرةً فبادروا  
بالشكر قبلَ حلولِ الزوالِ .

---

(١) الحمية : الزرق . شبهته به إعظماً لما قال .

قلمت ليلى الأحيائيةُ على الحجاجِ ومدحتهُ . فقال :  
يا غلامُ ، أعطِها خمسمئة ، فقالت : أيها الأمير ،  
اجعلها أدماً (١) . فقال قائلٌ : إنما أمرتُ لكِ بِشَاءٍ  
قالت : الأميرُ أَكْرَمُ من ذلك . فجعلها ليلاً إنثاءً ،  
استحياءً . وإنما كان أمرُها بِشَاءٍ أولاً .

كانت آمنةُ بنتُ سعيدِ بنِ العاصِ عند الواليدِ بنِ  
عبدِ الملك ، فلما مات عبد الملكُ سعتُ بها إحدى  
صرااتها إلى الوليد . وقالت : لمْ تبكِ على عبد الملك  
كما بَكَتْ نظائِرُها . فقال لها الوليدُ في ذلك : فقالتُ :  
صدَّقَ القائلُ لك . أَكُنْتُ قَائِلةً : يا ليتهُ بقيَ حتَّى  
يقتلَ أنا لي آخرَ كعمرو بنِ سعيدٍ .

كانت ابنةُ هانيء بنِ قسيصةَ عند لقيطِ بنِ زُرارةَ ،  
فقتل عنها وتزوجها رجلٌ من أهلها ، فكان لا يزال  
مراها تذكرُ لقيطاً . فقال لها ذات مرةَ : ما استحسنيتِ  
من لقيط ؟ فقالت : كلُّ أمورهِ كانتُ حَسَنَةً . ولكنني  
أحدُثُك إنَّهُ خرجَ مرةً إلى الصَّيْدِ وقد انتشى ، فرجعَ

---

(١) الأدم . البيض من الجمال ، وهي بما تدح .

إليّ وبضميصة تنضح من دم صيده والميسك يذوق  
 من أعطافه ، ورائحة الشراب من فيه . غصني ضمة  
 وشميتي شمة ، فليتني كنت ميتة ثمّة . قال : ففعل  
 زوجها مثل ذلك ثم ضمها إليه وقال : أين أنا من لقيط ؟  
 فقالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان .

قالوا : كان ذو الإصبع العدواني (١) غيوراً ،  
 وكان له بنات أربع لا يزوجهن غيرته ، فاستمع عليهن  
 مرة وقد خلوّن يتحدثن . فذكرن الأزواج حتى  
 قالت ، الصغرى منهن : زوج من عود خير من قعود .  
 فخطبن فزوجهن .

ثم أمهلن حولا ، ثم زار الكبرى فقال لها : كيف  
 رأيت زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهله ، ويتنسى  
 فضله . قال : حظيت ورضيت . فامالككم ؟ قالت : خير  
 مال . قال : وما هو ؟ قالت : الإبل ، نأكل لحماها  
 مزرعاً ، ونشرب ألبانها جرّعاً ، وتحملنا وضعفتنا معاً .  
 فقال : زوج كريم ومال عظيم .

---

(١) ذو الإصبع العدواني . حرثان بن عمرو ، شاعر فارس من  
 شعراء الجاهلية .

ثم زار الثانية فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت :  
 بكرم الحليلة ويقرب الوسيلة (١) ، قال : فما مالككم ؟  
 قالت : التقرُّ قال : وما هي ؟ قالت : تألف الفناء ،  
 وتملأ الإثاء ، وتودك السقاة (٢) ، ونساء مع نساء . قال :  
 وضيت وحظيت .

ثم زار الثالثة فقال : كيف رأيت زوجك ؟ فقالت :  
 لا سمنح بدير ، ولا بخيل حكير (٣) . قال : فما لكم ؟  
 قالت : الميعزى . قال : وما هي ؟ قالت : لو كنا  
 نولدُها فطُمتاً ، ونسلخها أدماً . لم نَبغِ بها ثعماً .  
 فقال : جانوة مُخنية (٤) .

ثم زار الرابعة فقال : كيف رأيت زوجك ؟  
 فقالت : شرّ زوج . يُكرِّمُ نفسه ، ويُهين عيرته .  
 قال : فما مالككم ؟ قالت : شرّ مال ، الضأن . قال :  
 وما هي ؟ قالت : جوف يشبعن ، وهيم لا ينقعن ،

---

(١) الوسيلة . الحاحه .

(٢) تودك : من الودك ، وهو الدم .

(٣) الحكير : السوء العشرة .

(٤) جانوة : بطة .

وصمُّ لا يسمعن ، وأمر مغويشهن يتسعن (١) . فقال :  
أشبهَ امرأً بعضُ بَزَّةٍ (٢) ، فارساها مثلاً

قال الأصمعي : قيل لامرأة : علامَ تمنعين زوجك  
القيضة (٣) ؟ فإنه بعثلُ بك . هفالت : كذبت والله ،  
لني لأطاطيئ الويساد وأرخبني اللهاد (٤) .

قال بعضهم : سمعت أعرابية بالحجاز ترقى رجلاً  
من العين فقالت :

أعيذك بكلمات الله التامة ، التي لا تجور عليها  
هامة (٥) ، من شر الجن وشر الإنس عامة ، وشر  
النظرة واللاممة (٦) . أعيذك بمطلع الشمس ، من  
شر ذي مشي همس ، وشر ذي نظري خلس ،

---

(١) أي إن الشاة الواحدة قد تمع فيمع ورامها باقي القطيع .

(٢) البز : الثياب .

(٣) القيضة : أفرع العذراء

(٤) نوع من القباء ؛ أو هو اللورد التي تفرس كالبحايط .

(٥) الهامة : الواحدة من خناش الأرض نحو العقرب

(٦) اللامه . العين تصيب بالسوء



وشرُّ ذي قولٍ دسٍّ ، من شرِّ الحاسدينَ والحاسداتِ ،  
والنَّافِسينَ والنَّافِساتِ ، والكائدينَ والكائداتِ .

نَشَرْتُ عَنْكَ بِنُشْرَةٍ نَشَّارٍ (١) ، عن رأسِكَ ذي  
الأشعار ، وعن عَيْنَيْكَ ذَوَاتِي الْأَشْفَار ، وعن فَيْكِ  
ذِي الْمَحَارِ (٢) ، وَظَهْرِكَ ذِي الْفَقَار ، وَبَطْنِكَ ذِي  
الْأَسْرَار ، وَفَرْجِكَ ذِي الْأَسْتَار ، وَيَدَيْكَ ذَوَاتِي  
الْأَظْفَار ، وَرَجْلَيْكَ ذَوَاتِي الْآثَار ، وَذَيْلِكَ ذِي الْغُبَار ،  
وعنَاكَ فَضْلاً وَذَا إِزَار ، وعن يَتِكَ فَرْجاً وَذَا أَسْتَار .  
رَشَشْتُ بِمَاءٍ بَارِدٍ نَاراً ، وَعَيْنِينَ وَأَشْفَاراً ، وَكَانَ  
اللَّهُ لَكَ جَاراً .

ذُكِرَ أَنَّ الْجُمَانَةَ بِنْتَ الْمَهَاغِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَالِيدِ  
نَظَرَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ وَهُوَ يَتَرَقَّى الْمَنْبَرَ ،  
يَخْطُبُ بِالنَّاسِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فَقَالَتْ حِينَ رَأَتْهُ رَقِيَ الْمَنْبَرُ :  
أَيَا فَصَّارُ انْقُرْ . أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ فَوْقَهُ نَجِيبٌ مِنْ  
بَنِي أُمَيَّةَ ، أَوْ صَبَّحَرٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ لَقَالَ الْمَنْبَرُ :

---

(١) النشرة : الرقية ، ونشر عنه : رقاها .

(٢) المحار : إما بمعنى المصدف تشبيهاً للأستان به وإما بمعنى باطن الحنك

طَيْقُ طَيْق . قال : فَأُنْمِيْ كَلَامُهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
الزُّبَيْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا فَقَالَ لَهَا : مَا الَّذِي بَلَغَنِي  
عَنْكَ يَا لَكَنَاع ؟ قَالَتْ : الْحَقُّ أُبَلِّغُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
قال : فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : لَا تَعْدُمُ الْحَسَنَاءُ  
ذَا مَا (١) . وَالسَّائِخُ لَيْسَ بِرَاضٍ . وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا عَدَوْتُ  
فِيمَا قُلْتُ لَكَ أَنْ نَسْبُتُكَ إِلَى التَّوَاضُعِ وَالِدِينِ ،  
وَعَدَوْتُكَ إِلَى الْخِيَلَاءِ وَالطَّمْعِ . وَلِئِنْ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ  
لَتَحْمَدَنَّ عَاقِبَةَ شَانِكَ ، وَلَيْسَ مَنْ قَالَ فَكَذَبَ كَمَنْ  
حَدَّثَ وَصَدَّقَ . وَأَنْتَ بَالْتَّجَاوَزِ جَدِيرٌ ، وَنَحْنُ لِلْعَفْوِ  
أَهْلٌ ، فَاسْتُرْ عَلَيَّ الْحُرْمَةَ ، تَسْتَتِمُ النِّعْمَةَ ، فَوَاللَّهِ  
مَا يَرْفَعُكَ الْقَوْلُ وَلَا يَضَعُكَ . وَإِنْ قَرِيشاً لَتَعْلَمُ  
إِنَّكَ عَابِدُهَا وَشَجَاعُهَا ، وَسِنَانُهَا وَلِسَانُهَا ، حَاطَ  
اللَّهُ لَكَ دُنْيَاكَ ، وَعَصَمَ أَخْرَاكَ ، وَأَلْهَمَكَ شُكْرَ  
مَا أَوْلَاكَ .

ذكر الأصمعي عن أبان بن تغليب (٢) قال : خرجتُ  
في طلبِ الكتَّاءِ ، فانتَهيتُ إلى ماءٍ من مياهِ كَلْبٍ ،

(١) اللّذام : اللب ، والقول من الأمثال .

(٢) أبان بن تغلب ، فيه معروف وقارىء مشهور .

وإذا أعرابي على ذلك الماء ومعه كتاب منشور يقرؤه  
 عليهم ، وجعل يتوعدّهم . فقالت له أمه وهي في خباثتها .  
 وكانت مُعْدَّةً كِبَرًا : ويلك ! دعي من أساطيرك .  
 لا تحمِلْ عُقوبَتَكَ على من لم يحْمِلْ عليك ، ولا تتطاولُ  
 على من لا يتطاولُ عليك . فإنك لا تدري ما يُقَرَّبُكَ إليه  
 حوادثُ الدهور ، ولعلَّ من صَيَّرَكَ إلى هذا اليوم أن  
 يُصَيَّرَ غيرَكَ إلى مثله غداً ، فينتقم منك أكثر مما  
 انتقمت منه ، فاكْضِفْ عما أسمع منك ألم تسمع إلى  
 قول الأول (١) .

لا تحقِرَنَّ الفقيرَ عِليكَ أن  
 ترْكِعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَهُ

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية — وكانت  
 من أعقل النساء — إنى أريد الحج فأوصيني . قالت :  
 أوجِزْ فأبْلِغْ ، أم أطيلُ فأحْكِمْ . فقلت : ما شئت .  
 قالت : جُدْ تَسُدْ . واصْبِرْ تَفِزْ . قلت : أيضا قالت :  
 لا يتعدَّ غضبك حِلْمَكَ ، ولا هواك عِلْمَكَ ، وقِ

---

(١) هو الأضبط بن قريع . شاعر جاهلي .

دينك بدنياك ، وفير عريضك بعرضك ، وتفضل  
تخدم ، واحلم تقدم .

قلت : فمن استعين ؟ قالت : الله . قلت : من  
الناس ؟ قالت : الجسد النسيطة ، والناصح الامين .

قلت : فمن استشير ؟ قالت : المجرب الكيس ،  
أو الأديب الصغير .

قلت : فمن استصحب ؟ قالت : الصديق المسلم ،  
أو المداحي المتكرم . ثم قالت : يا أبتاه ، إنك تفيد  
إلى ملك الملوك ، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه .

روى أن رسول الله صلى الله عليه خرج ليلة هاجر  
من مكة إلى المدينة وأبو بكر رحمه الله وعامر بن  
فهيبرة (١) ودليلهما الأبي عبد الله بن أريقط .  
فسروا على خيمة أم معبد الخزاعية (٢) - وكانت  
امراة برزة جلدة تحسني بفناء الكعبة ، ثم تسقي

---

(١) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، من السابقين إلى الإسلام ، شهد  
لدرأ واحدا ، وقتل يوم بدر معونة .

(٢) اسمها عاتكة ، وهي أخت حبيش بن خالد .

وَتُطْعَمُ - فَسَأَلُولَهَا لَحْمًا وَنَعْمًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا ، فَلَمْ يَعْصِيُوا  
عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِنِينَ (١) ،  
فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى شَاةٍ فِي كَيْسَرِ الْحَيْثَمَةِ .  
فَقَالَ : مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبُدٍ ؟ قَالَتْ : شَاةٌ خَلَّفَتْهَا  
الْجَهْدُ عَنْ النِّعَمِ . قَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَتْ : هِيَ  
أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : أَتَأَذِّنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبُهَا . قَالَتْ :  
بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ . نَعَمْ ، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَأَحْلُبُهَا . فَدَعَا  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِالشَّاةِ فَمَسَحَ خَرَقَهَا ، وَسَمَّى  
اللَّهُ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِيهَا ، فَتَفَاجَّتْ (٢) عَلَيْهِ وَدَرَّتْ  
وَأَخْتَرَتْ (٣) ، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ (٤) فَحَنَبَ  
فِيهِ ثَجًّا (٥) حَتَّى غَلِبَهُ الشَّمَالُ (٦) . ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى  
رَوِيتَ ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ

- 
- (١) أصابهم السنة أي الفقر .  
(٢) تفاجت : بالفت في تفريج رجلها .  
(٢) اخترت : أكثرت .  
(٤) يربض الرهط : يروهم ويشبههم .  
(٥) ثجا : لبنا سائلا كثيرا .  
(٦) الشمال : جمع ثمالة وهي الرغبة .

وقال : سَأَيُّ الْقَوْمِ أَخْرَهُمْ شَرْبًا . فشرَبُوا جميعاً علَّالاً  
بعدنَهَل ، ثم أراضُوا (١) ، ثم حَلَب فيه ثانياً عَوْداً على  
بَدءٍ حتَّى مَلَأَ الإِنَاء ، ثم غادره عندهما وباعها وارتحلوا  
عنها .

كانت حميدةُ بنتُ النعمانِ (٢) بنِ بَشِيرِ بنِ سعد  
تحتَ رَوْحِ بنِ زَيْبَاعِ (٣) فنظر إليها يوما تنظرُ إلى قومه  
جُلُوداً وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى  
إلا جُلُوداً ؟ فوالله ما أحبُّ الحلالَ منهم فكيف الحرام .

قالت الجُمَانَةُ بنتُ قَيْسِ بنِ زُهَيْرِ العبَّاسيِّ لِأَبِيهَا  
لَمَّا شَرِقَ ما بَينَهُ (٤) وبينِ الرِّبيعِ بنِ زيادِ (٥) في الدَّرْعِ :  
دعني أناظرُ جدي ، فإن صلَّح الأمرُ بينكما ، وإلا كنتُ  
من وراء رأيك . فأذن لها ، فأثت الرِّبيعُ فقالت : إن كان

(١) أراضه : صب اللبن على اللبن وروي .

(٢) شاعرة مجيدة ، كانت تهجو زوجها رَوْحَ بنِ زَيْبَاعِ .

(٣) رَوْحُ بنِ زَيْبَاعِ أميرُ فلسطين ، كان ذا رأيٍ مقدما عند  
الخلفاء قوفي سنة ٥٨٤ .

(٤) شَرِقَ : اختلط واضطرب .

(٥) الرِّبيعُ بنُ زيادِ العبَّاسيُّ أحدُ شُعَمانِ العربِ .

قَيْسٌ "أَبِي فَإِنَّكَ يَا رَبِّيعُ جَدِّي ، وما يجبُ له من حقِّ  
الأبوة عليَّ" إلا كالذي يجب عليك من حقِّ البنوة لي .  
والرأيُ الصحيحُ تبعثُهُ العنايةُ ، وتُجَلِّي عن مُحَضِّهِ  
النصيحة . إِنَّكَ قد ظلمتَ قَيْساً بأخذِ درْعِهِ ، وأجد  
مكفأته إِيَّاكَ سوءَ غرمه ، والمُعَارِضُ مُتَّصِرٌ ،  
والبادي أظلم ، وليس قَيْسٌ مِمَّنْ يَخَوْفُ بالوعيد ولا  
يردِّعُهُ التهديد ، فلا تَرَكْنِي إلى مُتَابِلَتِهِ ، فالخِزْمُ في  
مُتَارَكْتِهِ ، والحربُ مُتَشَلِّقَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بالطَّارِفِ  
والتَّلَادِ ، والسَّلامُ أرخى للذال . وأبقى لأنفسِ  
الرجالِ . وبحقِّ أقول ، لقد صدَّعتُ بِحُكْمٍ ، وما يدفعُ  
قولي إلا غيرُ ذي فهم .

دخل عبد الله بن الزبير على أمِّه أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ  
في اليوم الذي قُتِلَ فيه ، فقال : يا أُمِّةُ : خذْني النَّاسُ  
حقِّي أهلي وولدي ولم يبقَ معي إلا اليسيرُ ومن لا دَفْعُ  
عنده أكثرُ من صبرِ ساعةٍ من النَّهارِ . وقد أعطاني القومُ  
ما أردتُ من الدُّنيا فما وأَيْسَرُ ؟ قالت : إن كنتَ على  
حقٍّ تدعو إليه فامضِ عليه ، فقد قُتِلَ عليه أصحابُكَ ،  
ولا تُمَكِّنْ من رقبَتِكَ غِلْمانَ بَنِي أُمَيَّةَ فَيَتَأَمَّرُوا بِكَ .

وإن قلت : إني كنتُ على حقٍّ فلمَّا وهنَّ أصحابي  
صعفتُ نيتي فليسَ هذا فعلَ الأحرارِ ، ولا فعلَ  
من فيه خير ، كم خلودك في الدنيا ؟ القتلُ أحسنُ ما تقعُ  
به يا بنَ الزبير . والله لضربةٌ بالسيف في عزٍّ أحبُّ إليَّ من  
ضربةٍ بسوطٍ في ذلٍّ .

قال لها : هذا والله رأيي ، والذي قمتُ به داعياً إلى  
الله . والله ما دعاني إلى الخروجِ إلاَّ الغضبُ لله عز وجل  
أن تهتكَ محارمه . ولكني أحببتُ أن أطلعَ رأيك  
فيزيدني قوةً وبصيرةً مع قوتي وبصيرتي . والله ما  
تعمدْتُ إتيانَ مُنكرٍ ولا عملاً بفاحشة ، ولم أجُرْ  
في محكمٍ ، ولم أغدرَ في أمان ، ولم يبلغني عن عمالي  
فرضيتُ به . بل أنكرتُ ذلك ولم يكن شيءٌ عندي أثر  
من رضا ربِّي .

اللهم إني لا أقول ذلك تزكيةً لنفسي ، ولكن أقوله  
تعزيةً لأنَّمي لتسلو عني . قالت له : والله إني لأرجو أن  
يكون عزائي فيك حسناً بعد أن تقدمتني أو تقدمتك ،  
فإن في نفسي منك حرجاً حتَّى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرك .



قَالَتْ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ طَوْلَ ذَاكَ النَّحِيبِ وَالظَّمَاءِ  
 فِي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَبِرَّهُ بِأُمِّهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ سَلَّمْتُ  
 فِيهِ لِأَمْرِكَ ، وَرَضِيتُ فِيهِ بِقَضَائِكَ ، فَأَتَيْبَنِي فِي عَبْدِ اللَّهِ  
 تَوَابَ الشَّاكِرِينَ . فَوَدَّعَهَا وَقَالَ : يَا أُمُّهُ لَا تَدَّعِي الدَّعَاءَ  
 لِي قَبْلَ قَتْلِي وَلَا بَعْدَهُ . قَالَتْ : إِنْ أَدَّعَاهُ لَكَ . فَمَنْ قَتَلَ  
 عَلَى بَاطِلٍ فَقَدْ قَتَلْتَ عَلَى حَقٍّ . فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :  
 فَلَسْتُ بِمُتَشَاعٍ الْحَيَاةِ سُبَّةً

وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَامًا (١)

وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : احْمَلُوا عَلَى بَرَكَتَةِ اللَّهِ . وَحَارِبَ  
 حَتَّى قُتِلَ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ وَهِيَ عَلِيلَةٌ ، فَقَالَ :  
 يَا أُمُّهُ . إِنَّ فِي الْمَوْتِ لِرَاحَةً . فَقَالَتْ : يَا بَنِي ، أَعَلَيْكَ  
 تَسْمَنِي مَوْتِي فَوَ اللَّهُ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى أَحَدٍ  
 لِرُفْيَاكَ . فَإِنَّمَا أَنْ تَنْظُرَ بَعْدَئِكَ فَتَقَرَّ عَيْنِي وَإِنَّمَا أَنْ تُقْتَلَ  
 فَأَتَحَسَّسَكَ . قَالَ : فَالْتَمَسْتُ إِلَى أَخِيهِ عُرْوَةَ (٢) وَضَعْتُكَ .

(١) السَّيِّدُ الْحَصِينُ بْنُ الْحَمَامِ الْمُرِّي .

(٢) عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، الْمَدَنِيُّ الْفَقِيهُ ، جَمَعَ الْعِلْمَ  
 وَالسِّيَادَةَ وَكَانَ بِسُوءِ الدَّهْرِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٩ هـ وَتَوَفَّى  
 سَنَةَ ٩٤ هـ .

فلما كان في الليلة التي قُتل في صبيحتها دخل في  
السحر عليها فشاورها ، فقالت : يا بُني لا تَجِيبَنِي إلى  
خُطَّةٍ تخافُ على نفسك القتل . قال : إِنَّمَا أَخَافُ  
أَنْ يُمَثِّلُوا بِي . قالت : يا بُني ، زِنِ الشاةَ لا تألَمِ  
السَّلَخَ بعد الذَّبْحِ .

حجَّتْ أمُّ حَبِيبِ بنتُ عبد الله بن الأَهِتَمِ فبعث  
إليها الحسنُ بنُ علي بن أبي طالب عليهما السلام فخطبها ،  
فقالت : إِنِّي لَمْ آتِ هذا البلدَ للتزويجِ ، وإنما جئت لزيارة  
هذا البيت فإذا قدمت بالدي وكانت لك حاجةٌ فشاءَ نَكَحُ .  
قال : فازداد فيها رَغْبَةً ، فلمَّا صارت إلى البصرة أُرسل  
إليها فخطبها ، فقال إخوانها : إِنها امرأةٌ لا يَفْتَتَاتُ  
على مثلها برأي ، وأتوها فَأَتَعَبَوْها الحِبرَ ، فقالت : إِنِّي  
تَتَزَوَّجُنِي على حُكْمِي أَجْتُهُ . فَأَدُوا ذلكَ إليه فقال :  
امرأةٌ من تميم ، أَتَزَوَّجُها على حُكْمِها . ثُمَّ قال : وما  
عسى أَنْ يَبْلُغَ حُكْمُها لها ؟ قال : فَأَعْطَاهَا ذلكَ . فقالت :  
قد حَكَمْتُ بِصَدَاقِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَبَنَاتِهِ ؛  
إِنِّي عَشْرَ أَوْقِيَّةٍ . فَتَزَوَّجُها على ذلكَ ، وأهدى لها مائة  
ألفِ درهم . فجاءت إليه فبَسَنَى بها في ليلةٍ قَائِظَةٍ على سَطْحِ

لا حظّارَ (١) عليه ، فلمّا غلبته عينه أخذت خمارها  
فشدّته في رجله ، وشدّت الطرف الآخر في رجلها .

فلما انتبه من نومه رأى الخمار في رجله . فقال :  
ما هذا ؟ قالت : أنا على سطح ليس عليه حظّار ، ومعي  
في الدار ضرائر ، ولم آمن عليك وسنّ النوم ، ففعلتُ  
هذا حتّى إذا تحركت تحركت معك . قال : فازداد فيها  
رغبة ، وبها عجباً . ثم لم يلبث أن مات عنها فكلّموها في  
الصلح عن ميراثه . فقالت : ما كنت لأخطئه ميراثاً أبداً ،  
وخرجت إلى البصرة ، فبعث إليها فقروا يخطبونها منهم  
يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص (٢)  
وعبد الله بن عامر (٣) فأتاها إخوتها فقالوا لها : هذا ابنُ  
أمير المؤمنين ، وهذا ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه ،  
وهذا ابنُ حواريّه ، وهذا ابنُ عامر أمير البصرة .

---

(١) الحظّار بفتح الحاء وكسر ها : بناء يمنع السقوط من السطح .

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي ، قائد وأمير شجاع

افتتح طبرستان ، توفي سنة ٥٥٩ .

(٣) عبد الله بن عامر الأموي أمير قائد ولده عثمان بن العراق وافتتح

خراسان وأطراف فارس وتوفي سنة ٥٥٩ .

المختاري من شئت منهم . قال : فردتهم جميعا . وقالت :  
ما كنت لأتخذ حتما بعد ابن رسول الله صلى الله عليه .

وقال المدائني : أتتني حبيد الله بن زياد (١) بامرأة  
من الخوارج ، فقطع رجلها وقال لها : كيف ترين ؟  
فقلت : إن في الفكر في هول المطلق لشغلا عن  
حد يدتك هذه . ثم قطع رجلها الأخرى وجد بها ،  
فوضعت يدها على فرجها . فقال : إنك لتسترينه .  
فقلت : لكن سميته أمك (٢) لم تكن تستره .

قال المهدي للخيزران أم موسى وهارون ابنيه :  
إن موسى ابنك يتيه أن يسألني حوائجه . قالت : يا أمير  
المؤمنين ، ألم تك أنت في حياة المنصور لا تبتدئ بحوائجك  
وتحب أن يبتدئك هو ؟ فموسى ابنك كذلك يحب  
منك . قال : لا ، ولكن التيه يمنعه . قالت : يا أمير  
المؤمنين ، فمن أين أتاه التيه ؟ أمن قبلي أم قبلك ؟

---

(١) حبيد الله بن زياد ، الذي أرسل الجيش للمعين فقتله ، ولي العراق  
بعد أبيه ، قتله المختار الثقفي سنة ٨٦٧ هـ .  
(٢) تريد : أم أبيه زياداً .

روي عن بعضهم أنه قال : بينا أنا ذات يوم بالبادية ،  
فخرجت في بعض الليالي في الظَّأَم ، فإذا أنا بجاريةٍ  
كانتَها عَلم ، فأردتها على نفسها فقالت : ويحك !  
أمالك زاجرٌ من عقلٍ لَدُ لم يكنُ لك ناهٍ مِن دينٍ ؟  
قلت لها : والله ما يرانا شيءٌ إلا الكواكب . قالت :  
ويحك . وأين مكوكبها ؟ ١

قال الحافظ : لما مات رَقَبَةُ بن مَصْقَلَةَ (١) أوصى  
إلى رجلٍ ودفع إليه شيئاً . فقال : ادفعه إلى أختي .  
فسأل الرجلُ عنها فخرجت إليه فقال لها : أحضريني  
شاهدين يشهدان أنك أخته . فإرسأت جاريتها إلى الإمام  
والمؤذن ليشهدا لها . واستندت إلى الحائط . فقالت :  
الحمد لله الذي أبرزَ وجهي ، وأنطقَ عني ، وشهرَ  
بالفاقة اسمي . فقال الرجل : شهدت أنك أخته حقاً .  
ودفع الدنانير إليها ، ولم يحسبْ إلى شهادة مَنْ يشهد لها .  
خطب سعيدُ بن العاص عائشة بنتَ عثمان . فقالت :  
لا أتزوجُ به والله أبداً ، فقبلَ لها : ولم ذلك ؟ قالت :

---

(١) رَقَبَةُ بن مَصْقَلَةَ البدي الكوفي ، من سادات العرب ، كان ثقة

مفوها ، توفي بعد سنة ٥١٤٠ .

لأفقه أحقق ، له بيرذونانِ أشهبان ، فهو يتحملُ مؤونة  
الثنين واللونُ واحد .

ذكر رجلٌ من قريش سوء خلق امرأته بين يدي  
جارية له كانَ يَتَحَفَّظُهَا فقالت له : إنَّما حُظوظُ  
الإماء لسوء خلأئقِ الحرَّائِر .

اختلف الحجاج وهيندُ بنتُ أسماء بنِ خارجة  
في بناتِ قَيْنِ ، فبعث إلى مالك بنِ أسماء (١) فأخبره  
من الحبس ، وسأله عن الحديث فحدثه ثم أقبل على هند .  
فقال لها : قومي إلى أخيك . فقالت : لأقوم إليه وأنتَ  
ساخطٌ عليه . فأقبل الحجاجُ على مالك فقال : إنك والله -  
ما علمتُ - للذائنُ لأمانته ، اللثيمُ حسنه ، الزاني  
فرجه . فقالت هند : إن أذن الأميرُ تكلمت فقال :  
تكلمي . فقالت : أما قول الأمير : الزاني فرجه ،  
فوالله لهو أحقرُ عند الله وأصغرُ في عين الأمير من أن  
يتجيبَ الله عليه حدٌ فلا يقيمه .

---

(١) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري شاعر من الأشراف ،  
أدب ستة مئاة مخرجة .

وأما قول الأمير : اللئيمُ حسبُه فوالله لو علمَ مكانَ رجلٍ أشرفَ منه لصاهرَ إليه .

وأما قوله : الخائنُ أمانته . فوالله لقد ولاه الأميرُ فوفّر ، فأخذَه بما أُخِيده به فباعَ ماوارِه ظَهْرَه . ولو ملكَ الدنيا بأسرها لافتدى بها من مثل هذا الكلام . أتى البردُ على زرعٍ عَجُوزٍ بالبادية ، فأخرجت رأسها من الخباء ونظرت إلى الزرع قد احترق فقالت — ورفعت رأسها إلى السماء — : اصنعْ ما شئتَ فإنَّ رزقي عليك .

قيل لرابعة (١) : إنَّ التزوج فرضُ الله عز وجل فلم لا تتزوجين ؟ فقالت : فرضُ الله قطعني عن فرضه . كانت عاتكةُ بنتُ زيد بن عمرو بن نفيل (٢) عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقتلَ عنها ، فخلف عليها عمرُ بن الخطاب فقتلَ عنها ، فخلف عليها

---

(١) رابعة العدوية العابدة الزاهدة ولدت سنة ١٠٠هـ وتوفيت سنة ١٨٠هـ

(٢) عاتكة بنت زيد القرشية العدوية ، كانت من المهاجرات

للمدينة ، كانت تقيم صلاة الجماعة في المسجد .

الزبير ، فقتل ، فخلف عليها محمد بن أبي بكر فقتل (١) .  
 فقال عبد الله بن عمر : من سره الشهادة فليتزوج عاتكة .  
 فبلغها ذلك فقالت : من سره أن يكون بيضة البلد ، حُبلى  
 لا تطير ولا تلد ، فليكن كعبد الله . فبلغ ذلك عبد الله بن  
 جعفر الطيار (٢) فضحك وقال : ما هو كما قالت إنه  
 لمصباح بلد ، وابن كنهف الإسلام .

وقد روي عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه قال :  
 من اشتاق إلى الشهادة فليتزوج عاتكة .

قال بعضهم : مررت على هند بنت المهلب . فرأيت  
 يدها مغزلاً تغزل به ، فقلت لها : تغزلين ؟ قالت :  
 نعم سمعت أبي يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال : « أعظم كن أجراً أطول كن طاقة ، وهو يطرد  
 الشيطان ويذهب بهديث النفس » .

(١) هو : ابن أبي بكر الصديق ، ولي مصر من قبل علي ، أرسل  
 إليه معاوية حناً فهزم ، وقتل سنة ٨٣٨ .  
 (٢) أحد أجواد العرب ، ولد بالحيرة ، وهو آخر من رأى الرسول  
 من بني هاشم . توفي سنة ٨٨٠ .



وردوي عن عائشة أنها قالت : المِغْزَلُ في يد المرأة  
مثلُ الرُّمَحِ في يد الغازي .

قيل للخنساء : لم يكن صخرٌ كما وصفتِ . قالت :  
وكيف ذاك ؟ فوالله لقد كان تديَّ الكَفَّينِ : يابسَ  
الحنين ، يأكلُ ما وجدته ، ولا يسأل عما عهده .

قيل لحبي (١) المدينة : ما السقم الذي لا يبرأ ، والجرح  
الذي لا يندمل ؟ قالت : حاجةُ الكريم إلى اللئيم لا يُجدي  
عليه . قيل : فما الشرف ؟ قالت : اعتقادُ المِنَنِ في  
أعناق الكرام ، يبقى للأعقاب على الأحقاب .

ذكرت نساءً أزواجهن فقالت إحداهن : زوجي  
عَوْنِي في الشدائد ، والعائِدُ دونَ كلِّ عائِدٍ ، إن  
غضبتُ عَطَفَ ، وإن مرضتُ لَطُفَ .

وقالت الأخرى : زوجي لما عتاني كافٍ ، ولما  
أسقمني شافٍ ، عناقهُ كالخلد ، ولا يملُّ طولُ العهدِ .

---

( ١ ) حبي المدينة امرأة كانت مزواجا على كبر سنها .

وقالت الأخرى زوجي الشعار<sup>(١)</sup> حين أُجردُ ،  
والأنسُ حين أُفردُ ، والسكَنُ حين أُرقدُ .

قال بعضهم : رأيتُ بالمدينة امرأةً بين عينيها  
سَجَّادَةٌ ، وعليها ثيابٌ مُصَفَّرَةٌ ، فقلتُ لها : ما أبعد  
زيكِ من سَمَتِكَ ! فقالتُ :

وللهِ مِنِّي جانبٌ لا أُضيعُهُ  
وللهِ مِنِّي جانبٌ ونصيبُ

قال الزبير بن بكار<sup>(٢)</sup> : قالت بنتُ أخي لزوجي :  
نحالي خيرُ رجلٍ لأهليه ، لا يتخذُ ضرةً ولا يشتري  
جارية . فقالت المرأة : واللهِ لهذه الكُتُبُ أشدُّ عليَّ من  
ثلاثِ ضرائير .

حجَّتُ فاطمةُ بنتُ الحرَّشَبِ الأَنْماريةُ أمَّ الكَمَلَةِ ،  
الربيعِ وعمارةَ وقيسَ وأنسَ ، وكانت حجتها هذه في  
الجاهلية ، فقال لها رجلٌ من أهلِ مكةَ : من أشرفُ

---

(١) الشعار : الثوب الذي يلبس على الجسد ويلب الشعر فيه .

(٢) الزبير بن بكار الزبيري ، قاضي مكة ، إخباري مؤلف ،

توفي سنة ٢٥٦ هـ .

ولذلك ؟ قالت : الربيعُ . لا بل عمارةٌ . لا بل قيسٌ .  
لا بل أنسٌ . فكَيَاتُهُمْ إن كنتُ أدري أيُّهم أسودٌ .

وكان يقالُ للربيع الكامل ، ولأنس الطويل ، ولقيس  
الوقامة ، ولعمارة دالِق ولأنما قيل له ذلك أنه كان  
يبدُلُ لُق الحَيْل في كل وجه .

خرجَ محمدُ بنُ واسعٍ (١) في يوم عيدٍ ومعه رابِعةٌ :  
فقال لها : كيف تَرَيْن هذه الهَيْثَةَ ؟ فقالت : ما أقولُ  
اكم ؟ خرجتُم لإحياءِ سُنَّةٍ وإقامةِ بَدْعَةٍ ، فأراكم قد  
تباهيتُم بالنَّعْمةِ ، وأدخلتُم على الفقيرِ مَضْرَّةً .

قالت امرأةٌ من بني تغلب للجَحَّافِ بنِ حَكيمٍ (٢)  
في وقعةِ البُشْرِ التي يقول فيها الأخطلُ . :

لقد أَوْقَعَ الجَحَّافُ بالبِشْرِ وقعةً  
إلى اللهِ فيها المشتكى والمعوَّلُ  
فَنَضَّ اللهُ عِمَادَكَ ، وَأَكْبَى زِنَادَكَ ، وَأَطَالَ

---

(١) محمد بن واسع الأزدي من الورعين العبَّاد . توفي سنة ٨١٢٣ .

(٢) الجحاف بن حكيم بن عاصم السلمي ، عاش في أيام عبد الملك بن  
مروان ، وله حروب مع بني تغلب .

سُهِدَ ذَكَ ، وَأَقْلَ زَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ قَتَلْتُ  
إِلَاسَاءَ أَمَافِلُهُنَّ دُمِّي وَأَعَالِيَهُنَّ نُدْيِي — وَكَانَ قَدْ  
قَتَلَ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ — فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلَدَ  
مِثْلَهَا لَامْتَبَقِيْتُهَا وَأَمَرَ بِقَتْلِهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ  
فَقَالَ : إِنَّمَا الْجَحْدَافُ جَذَاوَةٌ مِنْ نَارٍ جَهَنَّمَ .

قال أبو عمرو بن العلاء (١) : خرجت ذات ليلة أطوف ،  
فإذا أنا بامرأة قد فضح وجهها ضوء القمر متعلقة وهي  
تقول : إلهي ! أما وجدت شيئا تُعَذِّبُ به إلا النار .  
ثم ذهبت ، فنمت ثم عدت فوجدتها ودَّيْدَتْهَا أَنْ تَقُولَ  
ذَلِكَ . قلت : لو عَذَّبَ بما سوى النار ، فكان ماذا ؟  
قالت : يا عمّاه ، أمّا واللّهِ لو عَذَّبَ بغير النارِ  
اقْضِينَا أَوْطَاراً .

قال بعضهم : كنت عند فاطمة بنت المهلب أعرض  
عاليها طيباً فقمّت وتركت المتاع بين يديها ، فلما جثت  
قالت : بيّئس ما صنعت ، لا تأمن امرأة قط على رجل  
ولا على طيب .

\* \* \*

---

(١) قيل : اسمه كنيته ، وقيل : اسد زيان بن جبر ، عالم أهل  
البصرة ، ومن أوسعهم علماً بكلام العرب ، توفي سنة ١٥٤ هـ .

## الباب الثالث

---



## الحيل والخذاع

قدّم بعضهم رجلاً إلى القاضي وادّعى عليه مالا فقال : صدّقوا ، أسألكم أن يؤخروني حتى أبيع مالي أو عقاري أو رقيقتي أو أجلي . فقالوا : كذب أيها القاضي . ماله قليل ولا كثير . ولكنه يريد مدافعتنا فقال : أصلحك الله . فقد شهدوا بالعدم . فخلّى سبيله .

قال بعضهم : خرجت ليلة فإذا أنا بالطائف قد أقبل : فلما رأيته من بعيد صحت : المستغاث بالله وبالطائف فقال لي الطائف : مالك ؟ قلت : قوم سكارى في بيتي قد عريدوا ، وسلّوا السكاكين ، وبحث في طلبك لتخاطبني منهم فقال : امش بين يدي . فمشيت ودخلت البيت ، وأغلقت الباب ، وصعدت السطح ، وتطلّعت عليه وقلت : انصرف مأجوراً فقد تصالحوا .

سُئِلَ بعضهم عن رجل أرادوا أن يزوجه فقال :  
 "إنَّ له شَرْفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا" (١) فنظروا فإذا هو ساقِطٌ .  
 سَفَلَةٌ . فقليل له في ذلك ، فقال : ما كذبت . شرفه  
 أَذَنَاهُ ، وَقَدَمُهُ التي يمشي عليها ، ولا بدَّ من أن يكونَ  
 له بيتٌ يأوي إليه .

لما بايع الرشيدُ وَلَدَهُ تَخَلَّفَ رجلٌ مذكورٌ من  
 الفقهاء ، فأحضره وقال له : لِمَ تَخَلَّفْتَ عن البيعة ؟  
 قال : عاقبني يا أميرَ المؤمنين عائقٌ . فأمر بقراءة كتاب  
 البيعة عليه . فلما قُرِئ قال : يا أميرَ المؤمنين هذه البيعةُ  
 في عنقي إلى قيامي الساعة . فلم يفهم الرشيد ما أراد ،  
 وقدَّرَ أَنَّهُ يريدُ إلى قيام الساعة . وذهب ما كانَ في  
 نفسه عليه .

فيل لبعض الفقهاء : لم استجَزْتُمْ استعمال الحَيْسَلِ  
 في الفقه ؟ فقال : الله تعالى علَّمنا ذلك فإنه قال :  
 « وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ » (٢) .

---

(١) القدام : الساقط

(٢) سورة ص : ٤٤ ، وفي التفسير . أن سيدنا أيوب حلف

ليضرب امرأته مئة سوط فقال له الله تعالى : خذ حزمة فيها مائة حود  
 فاضربها بها حربة واحدة . . والاضغث : الشراخ .



جحد رجلٌ مالَ رجلٍ فاحتكمَ إلى إياس بن معاوية (١) فقال للطَّالِب : أين دفعتَ إليه هذا المال ؟ قال : عند شجرة في مكان كذا . قال : فانطلقْ إلى ذلك الموضعِ لعلَّكَ تتذكرُ كيفَ كانَ أمرُ هذا المال ، واعلِّ الله يوضحُ لك سبباً . فمضى الرجلُ وتخصمه فقال إياس بعد ساعة : أترى ختصمتك بلغ موضعَ الشجرة . قال : لا بَعْدُ . قال : يا عدوَّ الله ، أنتَ خائن . قال : أقلني أقالك الله . فاحتفظَ به حتى أقرَّ وردَ المال .

قال معاويةُ لعمرُو : أنتَ أدهى أم أنا ؟ قال عمرو : أنا للبلديهِ وأنتَ للأناة . قال : كلا . قال عمرو : أدنِ منِّي رأسك أسأركَ ، فأدنى رأسه فقال عمرو : هذا من ذاك . هل هنا أحدٌ غيرك .

قال المغيرةُ بنُ شعبةَ : ما خدعني غيرُ غلامٍ من بني الحارثِ بنِ كعب . فلإني ذكرتُ امرأةً منهم فقال : أيها الأميرُ لا خيرَ لكَ فيها . قلت : ولم ؟ قال : رأيتُ

---

(١) إياس بن معاوية قاضي الصرة ، يصرّب بدكائه المثل ، توفي

وجلاً يقبلها . فأضربت عنها فتزوجها الفتي . فأرسلت  
إليه : ألم تعلمتي كذا وكذا من أمرها . قال : بلى رأيت  
أباها يقبلها .

كان لعبد الله بن مطيع غلامٌ مؤكَّدٌ قد أدبه  
وخرجه وصيرة قهرمانه ، وكان أتاهاهم قومٌ من العدو  
في ناحية البحر . فراه يوماً يبكي فقال : مالك ؟ قال :  
تمنيتُ أن أكون حراً ، فأخرجُ معَ المسلمين . قال :  
ومحب ذاك ؟ قال : نعم . قال : فأنت حرٌّ أوجه الله  
فأخرج . قال : فإنه قد بدا لي ألاّ أخرج . قال :  
تدعني والله .

كان عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ (١) أمياً لا يقرأ ولا يكتب .  
وكان إذا أتاه كتاب فتحه ونظر فيه كأنه يقرؤه فإذا  
نهض من مجلسه حُمِلَتِ الكُتُبُ معه . فيدعو جاريةً  
كاتبه ويدفع إليها الكتب فتقرؤها عليه ويأمرها فتوقع  
بما يريد ، ويُخرج الكتاب ، فاسترابَ به بعضُ كُتَّابِهِ  
فكتب كتاباً على لسان بعض العمال وطواه مُنَكِّساً أعلاه

---

(١) أمير العراقيين : عزله هشام سنة ٨٩٧ ، وتوفي حوالي سنة ٩١٣ .

إلى أسفله ، فلمّا أخذَهُ ونظرَ فيه ولم ينكرهُ تحقّق  
أنّه أمّيّ .

قال بعضُ القُصّة لرجل : كيف أقبلُ شهادتك  
وقد سمعتك تقول لمغنيّة : أحسنت ؟ قال : أليس إنّما  
قاتُ ذلك بعد سكوتها . فأجاز شهادته .

أتى معنُ بنُ رائدةَ (١) بثلاث مئة أسيرٍ من  
حضرموت فأمرَ بضرب أعناقهم ، فقام منهم غلامٌ حين  
سألَ عِذاره فقال : أنشدك الله أن تقتلنا ونحن عِطّاشُ  
فقال : اسقوهم ماءً فلمّا شربوا قال : اضربوا أعناقهم .  
فقال الغلام : أنشدك الله أن تقتلَ ضيّهانك . قال :  
أحسنت . وأمر باطلاقهم .

كان بالأهواز رجل له زوجةٌ ، وكانت له أرضٌ  
بالبصرة ، فكان يُكثر الانحدارَ إليها فارتابت زوجته  
وتتبعت أثره ، فوقفّت على أنّه قد تزوّج بالبصرة  
فاحتالّت حتّى صار إليها خطٌّ عمّ البصريّة ، وبعثت

---

(١) أمير قائد شجاع ولي سجنان وقتله الخوارج سنة ٥١٠ هـ .

به إلى رجل يحكي كل خطّ رآه ، وأجازته ، معي  
كتب كتاباً عن لسان عمّ البصريّة إلى روحها بذكر أنّ  
المرأة قد ماتت ، ويسأله التعجيل إليه لأخذ ما تركت  
وسمّي ما لها وجاريته . ودست الكتاب مع ملاح  
قدم من البصرة ، فلما وصل إليه الكتاب قرأه فلم يشك  
فيه ، ودخل وقال لامرأته : اعلمي لي سفرة . قالت :  
ولم ؟ قال : أريد البصرة . قالت : كم هذه البصرة ؟ !  
قد رايتي أمرك . لعلّ لك بها امرأة ، فأذكر ، فقالت :  
احلفني . فحلف أن كل امرأة له غير ما طالق ، سكوناً  
إلي أن تلك قد ماتت ، وما يضره ذلك . فلما حلف  
قالت : دَعِ السفرة . قد أغناك الله عن البصرة . قال :  
وما ذاك ؟ قالت : قد طلقت الماسقة . ومحدثته بالقصة  
فندم .

قال الأعمش (١) : أخبرني تميم بن سلمة أن رجلاً  
شهد عند شريح (٢) وعليه جبة ضيقة الكمين .

---

(١) سليمان بن مهران الأعمش ، محدث الكوفة وعالمها ، كان له  
دعابة ، توفي سنة ٨١٤٨ .  
(٢) ابن الحارث الكندي ، ولي القضاء لعمر وتوفي سنة ٨٧٨ .

فقال شريح . أتتوضأً وعليك جبتك هذه ؟ إحسر عن  
دراعتك . فحسر . فلم يبلغ كُفَّ جُبَّتِهِ إلى نصفِ السَّاعدِ .  
وردَّ شهادته .

فدَّثَمَتِ امْرَأَةٌ رُوحَهَا إِلَى أَبِي عَمْرِو الْقَاضِي ، وَادَّعَتْ  
عَالِيَهُ مَالاً . فَاعْتَرَفَ بِهِ فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْقَاضِي خُذْ بِحَقِّي  
وَلَوْ بِخَمْسِهِ . فَتَطَلَّفَ لَهَا ثَلَاثًا نَحْبِسُهُ ، فَأَبَتْ إِلَّا ذَلِكَ ،  
فَأَمَرَ بِهِ . فَأَمَّا مَتْنِي خُطُوبَاتِ صَاحِ ابْنِ عَمْرِو الرَّجُلِ وَقَالَ  
لَهُ : أَلَسْتَ مَرِيئًا لَا يَصْبِرُ عَلَى النِّسَاءِ ؟ فَخَفِطِينَ الرَّجُلُ  
فَقَالَ : بَلَى أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي . فَقَالَ : خُذْهَا مَعَكَ إِلَى  
الْحَبْسِ . فَلَمَّا عَرَفَتِ الْحَقِيقَةَ نَدِمَتْ عَلَى لَهْجَتِهَا  
وَقَالَتْ : مَا هَذَا أَيُّهَا الْقَاضِي ؟ قَالَ : لَكَ عَلَيْهِ حَقٌّ ،  
وَأَهْ عَلَيْهِ حَقٌّ . وَمَا لَكَ عَلَيْهِ لَا يُبْطَلُ مَالُهُ عَلَيْكَ .  
فَعَادَتْ إِلَى السَّلَامَةِ وَالرِّضَا .

أَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَجُلًا كَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ  
فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَاتِلُ :

وَمِنْهُ سَمُودُ الْبَطِينِ وَقَعْنَبُ  
وَمِنْهُ آمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَتَيبُ

فقال : إنما قلت : ومنا أمير المؤمنين وناديتك ،  
فخلاني سبيله .

كان يختلف إلى أبي حنيفة رجلٌ يتَحَمَّلُ بالستر  
الظاهر ، والستتِ البينِ فقدم رجلٌ غريبٌ وأودعه  
مالاً خطيراً ، وخرج حاجاً ، فلما عادَ طالبه بالوديعة  
فجَّحه . فألح الرجلُ عليه فتبادى ، فكاد صاحبُ  
المالِ يتهمُ ، ثم استشار ثقةً له فقال له : كُفْ  
عنه ، وصِرْ إلى أبي حنيفة ، فدواؤك عنده .  
فانطلق إليه وخلا به وأعلمه شأنه ، وشرح له  
قصته فقال له أبو حنيفة : لا تُعْاِمُ بهذا أحداً ، وامض  
راشداً ، وعُدْ إليَّ غداً . فامتا أمسى أبو حنيفة جالساً  
كعادته للناس . وجعلَ كما ما سُئِلَ عن شيء تنفَّسَ  
الصُّعداءَ . فقيل له في ذلك فقال : إنَّ هؤلاءِ — يعني  
السُّلطانَ — قد احتاجُوا إلى رجلٍ يبعثونه فاضياً إلى مكان .  
وقالوا لي : اخترْ من أحببت . ثم أسبل كُفَّه وخلا بصاحب  
الوديعة ، وقال له : أترغبُ حتى أَمْسِيكَ . فذهب  
يتمتع تحلية . فقال له أبو حنيفة : اسكت فاني أبلغُ

لك ما تحب . فانصرف الرجل مسروراً يظن الظنون  
بالجاء العريض ، والحال الحسنة .

وصار رب المال إلى أبي حنيفة فقال : امض إلى  
صاحبك ولا تخبره بما بيننا ، وأوح بذكرى وكفالك ،  
فمضى الرجل واختضاه وقال له : اردد علي مالي وإلا  
شكوتك إلى أبي حنيفة . فلما سمع ذلك وفاته المال .  
وصار الرجل إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه  
فقال له : استره عليه .

ولما غدا الرجل إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء نظر  
إليه أبو حنيفة وقال له : نظرت في أمرك فرفعت قدرك  
عن القضاء .

أنسى وكيع بن أبي سود (١) إياس بن معاوية وهو  
قاصد ليشهاد شنده بشهادة . فقال : مرحباً بك يا أبا  
ميطرف ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأشهد . قال : مالك  
وللشهادة . إننا يشهد الموالي والتجار والسقاط . قال :

---

(١) وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي ، ولي خراسان بعد تميمية  
ابن مسلم حتى نزعها منه يزيد بن المهلب .

صَدَقْتُ وَانصَرَفَ . ففيل له : خدعك ولم يغبل شهادتك  
وردك . فقال : لو علمت لعأوته بالقضيب .

كان أبو بُردة (١) ولي القضاء بعد الشعبي (٢) بالكوفة .  
فكان يحكم بأن رجلاً أو قال لِمَعْلُوك لا يملكه : أنت حر .  
أنه يُعْتَق وسُؤْحَتُ المَعْتِق بتمنه .

قال : فعْتَق رجلٌ من بني عيس جاريةً بخارٍ له  
فجُنَّ بها وجنَّتْ به ، فكان يشكو ذاك إليها . فأتيتها  
يوماً فقال لها : إلى الله أشكو . قالت : بلى والله إنَّ لك  
لحيلةً ، ولكنك عاجزٌ . هذا أبو بُردة يقضي في العتق  
بما قد عادت . فقال لها : أشهدُ إنَّك لصادقةٌ .

ثمَّ قَدَّمَهَا إلى مجلس يتجمع فيه قومٌ يعدلون فقال :  
هذه جاريةٌ آل فلان أشهدكم أنها حرةٌ . فألقت ما حذنتها  
على رأسها . وبلغ ذلك موالها فجاؤوا ففدَّتهم إلى أبي  
بردة وفدَّهموا الرجل فأنفد عَيْنَقَهَا ، وألرمَّ الرجل ثمنها ،  
فلما أمر به إلى السجن خاف إذا مسككت أمرها أن تصيرَ

---

(١) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قاضي الكوفة . توفي سنة ١٠٤ هـ

(٢) عامر بن سراحيل الشعبي ، عالم زمانه ، ولد لست سنين من

خلافة عثمان وتوفي سنة ١٠٤ هـ



إلى أول مَنْ يطلبها ، وأن تخيبَ فيما صنع في أمرها .  
فقال : أصلح الله القاضي ، لابدَّ من حبيبي ! قال : نعم  
أو تُعْطِيَهُمْ ثَمَنَهَا . قال : هليس مثلي يُحِبُّسَ في شيءٍ  
يسير . أشهدُكم أنني قد أعتقتُ كلَّ مملوكٍ لأبي بِرُدةٍ .  
وكل مملوكٍ لآل أبي موسى ، وكل مملوكٍ للملحج .  
فخلتُ سبيله ، ورجعَ عن ذلك القضاء فلم يحكم به .

كتب معاوية إلى عمرو بن العاصِ والمغيرة بن  
شُعْبَةَ أن يقدمَا عليه ، فقدم عمرو من مصرَ والمغيرة  
من الكوفة فقال عمرو للمغيرة : ماجعنا إلا ليعزلنا ،  
فإذا دخلت عليه فاشك الضعفَ واستأذنه أن تأتي الطائفَ  
أو المدينةَ ، فلإني إذا دخلت عليه سألتُه ذلك فإنه يظنُّ  
أنا نريد أن نُفسدَ عليه .

فدخل المغيرة فسأل أن يُعْفِيَهُ ويأذن له . ودخل  
عليه عمرو فسأله مثلَ ذلك . فقال له معاوية : قد تواطأتما  
على أمر ، وإنكما لتريدان شرًّا . ارجعا إلى عمليكما .  
كان الإسكندرُ لا يدخلُ مدينةً إلاَّ دَمَمَهَا وقتلَ  
أهلها حتَّى مرَّ بمدينة كان فيها مودِبُّه . فخرج إليه

وَالْخُطْفَةَ الْإِسْكَندَرُ وَأَعْظَمَتْهُ فَقَالَ لَهُ مُؤَدِّبُهُ : إِنَّ أَحَقَّ  
 مِنْ زَيْنَ رَأْيَاكَ وَسِدِّدَهُ وَأَتَى كُلَّ مَاهُوِيَّةٍ لَنَا ، وَإِنَّ  
 أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَدْ طَمَعُوا فِيكَ لِمَكَانِي مِنْكَ فَأَنَا أَحَبُّ  
 إِلَا تَشْفَعْنِي فِيهِمْ . وَأَنْ تَحْلِفَ لِي بِمَبْنَى أَعْتَرُ بِهَا عِنْدَ  
 الْقَوْمِ فَاحْلِفْ لِي عِنْدَهُمْ أَنَّكَ لَا تُشَتَّعُنِي فِي شَيْءٍ أَسْأَلُكَ ،  
 وَأَنْ تَخَالَفَنِي فِي كُلِّ مَا سَأَلْتُكَ . فَأَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا  
 يَقْدَرُ عَلَى الرِّجْوَعِ عَنْهُ فِي دِينِهِ ، فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ :  
 فَإِنَّ حَاجَتِي أَنْ تَدْخُلَهَا وَتَخْرِبَهَا وَتَقْتُلَ مَنْ فِيهَا .  
 قَالَ : مَا لِي ذَلِكَ سَبِيلَ وَلَا بَدَأَ مِنْ مَخَالَفَتِكَ وَقَدْ كُنْتُ  
 مُؤَدِّبِي وَأَنَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَحْجُوْجٌ . فَامْ يَدْخُلَهَا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ .

أَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ (١) بِمُخْرَاسَانَ ، فَمَرَّ فِيهِمْ  
 شُعْبَةُ بْنُ ظَهْرٍ عَلَى بَغَاةٍ لَهُ فَرَأَاهُ بَعْضُ الرِّجَالَةِ فَتَقَدَّرَ (٢)  
 لَهُ عَلَى جَيْدَمٍ (٣) حَائِطٌ ، فَلَمَّا حَازَى بِهِ حَالَ فِي عَجْزٍ  
 بَغْلَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهَا لَا تَحْمِلُنِي وَإِيَّاكَ .

(١) الجَوْلَةُ . الْفَرَارُ مِنَ الْعَدُوِّ ثُمَّ الْعَوْدَةُ إِلَى قِتَالِهِ .

(٢) تَقَدَّرَ . تَهَاوَنَ .

(٣) الْجَيْدَمُ . الْأَصْلُ .

قال : امض ، فلاني والله ما أقدرُ أنْ أمشي . قال : إنَّكَ تقتلني وتقتلُ نفسك . قال : امض فهو ما أقولُ لك . قال : فصَرَفَ شُعْبَةَ وَجْهِ الْبَغْلَةِ قِبَلَ الْعَدُوِّ . فقال له : أين تريد ؟ قال : أنا أعلمُ أَنِّي مقتولٌ ، فَلَأَنْ أُقْتَلَ مُقْبِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ مُدْبِرًا . فنزل الرَّجُلُ عَنْ بَغْلَتِهِ وَقَالَ : اذْهَبْ فِي حُرْقِ اللَّهِ .

اشترى شريكٌ بنُ عبد الله (١) جاريةً من رجلٍ فأصابَ بها عيباً ، فقال للذي اشتراها منه : قد ظهر بها عيبٌ . قال : ما عليك . هي رخيصة ، وإن أحببتَ بيعتها لك بربح . قال : فافعل . فدفعَ الجاريةَ إليه وأقامَ أياماً ثم أتاه فقال له : لم أصبْ بها ثمناً أرضاه . فقال له شريك : فخذها واردهُ عليَّ الثمنَ . فقال له الرجل : أبعد ما وكَّلْتُني لأبيعَها ورضيتَ ، تردُّها عليَّ ؟ فقال : صدقتَ ، والله خدعتني .

رأى عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه ابنه عبد الله جالساً مع رجلٍ فقال له : يا بني ، احلِّزْ هذا ، لا تشتريَنَّ

---

(١) شريك بن عبد الله النخعي القاضي ، فقيه إمام توفي سنة ٨١٧٧ .

منه شيئاً . فإنه يتبرأ إلى الرجل من العيب . والرجل  
لا يظن لذلك .

قال : فمرَّ عبدُ الله بنُ عمرَ بذلك الرجلِ يوماً ومعه  
غلامٌ وصيٌّ . فقال له : تبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟  
قال : بكذا . قال له : هل به عيبٌ . قال : ما علمتُ أنَّ  
به عيباً إلا أنا ربما أرسلناه في الحاجة فيبطئ فلا يأتينا  
حتى نبعث في طلبه . فقال عبد الله : وما هذا ؟ فاشتراه منه .

فأما صار إليه أرساه في حاجة فهرب ، فطلبه أياماً  
حتى وجده ، فأتى صاحبه ليردَّه عليه بالإيقاع ، فقال له :  
ألم أخبرك أنا ربما أرسلناه في الحاجة فلا يرجع حتى  
نرسل في طلبه ؟ فعلم أنه قد خدعه .

قيل لأعرابي : أتشرب قدحاً من لبنٍ حازرٍ (١)  
ولا تتنحج ؟ قال : نعم . فأخذه في حلقه مثل الزجاج ،  
فقال : كتبش أماج . فقيل له : إنك تتنحجت .  
فقال : من تنحج فلا أفلح . ومدَّ صوته فقضى وطره .

---

(١) الحازر . الحاضر .

قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان (١) : إياكم والطَّعَنُ  
 فإنه يردي . والله لقد هممت أن أفتلك بالحجاج ، فإني  
 لواقفتُ على بابهِ بديئرِ الجَمَاجِمِ (٢) ، إذا بالحجاج قد  
 مخرجَ على دابة ، ليس معه غيرُ غلام ، فأجمعتُ على قتله  
 فكأنه عَرَفَ ما في نفسي فقال : ألقيتَ ابنَ أبي مُسلم ؟  
 قلت : لا . قال فآلقه ، فإن عهدك معه على الرِّيّ . قال :  
 فطمعتُ وكففتُ فأتيتُ يزيدَ بنَ أبي مسام فسألته  
 فقال : ما أمرني بشيء .

وقال عمرو بن يزيد الأسدي : خيفنا أيام الحجاج ،  
 وجعلنا نودع متاعنا ، وعلم جارا لنا ، فخشيتُ أن يُظْهِرَ  
 أمرنا ، فعمدتُ إلى سَقَطٍ فجعلتُ فيه لبنا ودفعته إليه ،  
 فمكثَ عنده حتى أمِنّا . فطلبتُ منه ، فقال لي : أمّا  
 وجدتُ أحدا تودعه لبناً غيري .

توجه عمرو بن العاص حث فتح قيسارية (٣) إلى

(١) أحد فلاك العرب ، ومن خطبائهم وهو الذي حمل رأس مصعب  
 ابن الزبير إلى عبد الملك .

(٢) دير بظاهر الكوفة على بعد سبعة فراسخ منها .

(٣) هناك مدينتان بهذا الاسم في فلسطين والروم والمراد هنا التي  
 من أعمال فلسطين .

مصر وبعث إلى عليّجها (١) فأرسل إليه : أن أرسل إلى  
 رجلاً من أصحابك أكلمه . فنظروا فقال عمرو : ما أرى  
 لهذا أحداً غيري . فخرج ودخل على العليّج ، فكلّمه  
 فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط ، فقال : حدثني . هل في  
 أصحابك مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هواري عليهم ، إلا أنهم  
 يبعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني لا يدرون ما تصنع بي .  
 فأمر له به جائزة وكسوة وبعث إلى البوّاب : إذا مرّ  
 بك فاصرب عنقه ، وخذ مائة .

فخرج من عنده ، فمرّ برجل من نصارى العرب  
 من غمّان فعرفه فقال : باعمرو ، إنك قد أحسنت  
 الدخول فأحسن الخروج . فرجع فقال له الملك : ما ردّك ؟  
 قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجده يسع بني عمّي ،  
 فأردت أن أجيئك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ،  
 وتكسوهم هذه الكسوة ، فيكون معروفك عند عشرة  
 خيراً من أن يكون عند واحد . قال : صدقت . فاعجل  
 بهم . وبعث إلى البوّاب أن يخلّ سبيله ، فخرج عمرو

---

(١) العليّج : الرجل من كفار المعجم .

وهو بلغت حتى إذا أمين قال : لا أعود لمثلها أبدا .  
فما فارقها عمر حتى صالحة ، فلما أتيت بالعلاج قال :  
أنت هو ؟ قال عمرو : نعم على ما كان من غدرك .

قُدِّمَ هُدَيْةُ بْنُ الْحَشْرَمِ (١) لِيُقَادَ بِابْنِ عَمَّةِ  
زِيَادَةَ ، وَأَخَذَ ابْنُ زِيَادَةَ السَّيْفَ وَقَدْ ضَوْعِفَتْ  
لَهُ الدِّيَّةُ حَتَّى بَلَغَتْ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَخَافَتْ أُمُّ الْغُلَامِ  
أَنْ يَقْبَلَ ابْنُهَا الدِّيَّةَ وَلَا يَقْتُلَهُ فَقَالَتْ : أُعْطِيَ اللَّهُ  
عَهْدًا لَنْ لَمْ تَقْتُلْهُ لِأَتَزَوَّجَنَّهُ فَيَكُونَ قَدْ قَتَلَ أَبَاكَ وَنَكَحَ  
أُمَّكَ . فَقَتَلَهُ .

وَحَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَسْرَوْا قَوْمًا مِنَ  
الرُّومِ وَكَانَ فِيهِمْ فَتَيَانِ لِمَخْوَةَ فَضْرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ .  
وَأَخَذُوا أَمَتَهُمْ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهَا ، فَأَحْبَبَتْ أَنْ تُقْتَلَ  
وَلَا تَبْقَى بَعْدَ وَلَدَيْهَا ، فَقَالَتْ لِلَّذِي صَارَتْ إِلَيْهِ :  
إِنْ عَلِمْتُكَ شَيْئًا تَتَّخِذُهُ فَلَا يَحِلُّكَ فِيكَ السَّلَاحُ ،  
تُخَلِّقِي سَيْلِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذَتْ أَشْيَاءَ سَتَرَتْهَا عَنْهُ  
فَطَلَتْ بِهَا رَقَبَتَهَا وَقَالَتْ : دُونَكَ اضْرِبْ وَشُدْ ،

---

(١) هُدَيْةُ بْنُ الْحَشْرَمِ بْنُ كُرْزٍ شَاعِرٌ نَصَبِيحٌ مِنْ بَادِيَةِ الْحِجَازِ ، كَانَ  
رَاوِيَهُ لِحَطِيطَةٍ .

فإن السيف لا يعمل في . ففصر رقبتهما فحز رأسهما  
فعلم أنها خدعته .

لما بلغ يزيد ومروان ابنا عبد الملك لعاتكة بنت  
يزيد بن معاوية (١) قال لها عبد الملك : قد صار ابنك  
رجلين ، فلو جعلت لهما من مالك ما يكون لهما به  
فضيلة على إخوتهما . قالت : اجتمع لي أهل معدلة  
من موالي ومواليك . فجمعهم وبعث معهم روح بن  
زئباع الجذامي - وكان يدخل على نسائهم - فدخل  
كهولتهم وجلت لهم وقال له : أخبرها برضائي عنها ،  
وحسن لها ما صنعت . فلمّا دخلوا عليها أخذ روح  
في ذلك فقالت : يا روح ، أتراني أخشى على ابني  
عائلة وهما ابنا أمير المؤمنين ، أشهدكم أنني قد تصدّقت  
بمالي وضياعي على فقراء آل أبي سفيان . فقام روح ومن  
معه . فمما نظر إليه عبد الملك مقبلاً قال : أشهد  
بالله لقد أقبلت بغير الوجه الذي أدبرت به . قال : أجل .  
تركت معاوية في الإيوان آنفاً . وخبره بما كان . فغضب .

---

(١) عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، أم يزيد بن عبد الملك قويت

حوالي سنة ٥١٢٠ هـ .



فقال : مه يا أمير المؤمنين ، هذا العقل منها في ابنك  
خير لهما مما أردت .

قال المدائني : أتى علي عليه السلام برجل ذي  
مروءة قد وجب عليه حد . فقال لحصائه : ألكم شهود؟  
قالوا : نعم . قال : فأتوني بهم إذا أمسيتم ولا تأتوني بهم  
إلا معتمين . فلما أمسوا اجتمعوا فأقوه ، فقال لهم  
علي عليه السلام : نشدت الله رجلاً لله عنده مثل هذا  
الحد إلا انصرف قال : فما بقي أحد فدرأ الحد .

عرض شريح ناقة لبيع ، فقال له المشتري :  
كيف غزارتها ؟ قال : احلب في أي إناء شئت . قال :  
فكيف وثاقتها ؟ قال : احمل على الحائط ما شئت . قال :  
فكيف وطاؤها ؟ قال : افرش ونم . قال : كيف  
نجاؤها (١) قال : هل رأيت البرق قط ؟

قال بعضهم : ركض رجل دابة وهو يقول :  
الطريق ، الطريق . فصدم رجلاً لم يشح ، فاستعدى  
عليه فتخارس الرجل فقال العامل : هذا أخرس .

---

(١) النجاء : السرعة والسبق .

قال : أصلحك الله . يتخارسُ عمداً ، والله ما زال  
يقول : الطَّريقَ . الطَّريقَ . فقال الرجلُ : فما تريدُ  
وقد قلت لك الطَّريقَ ؟ قال العامل : صدقَ .

قال : كانت ابنةُ عبدِ الله بنِ معروفٍ عند أبي  
حرثان فماتَ ، ولم يصل إليها لِقْوَتها . فتزوجها أبو  
دُلْفٍ (١) . فكانت تمانعه سنة لا يصلُ إليها . فقال له  
مَعْقِلٌ "أخوه : ما أنت برجل . وقد عجزت عن امرأة .  
فقال : أحبُّ أن تبعثَ جاريتك فلانة تكلِّمُها . فبعث  
بها وأمر أبو دُلْفٍ امرأته أن تلويَ العمودَ في عنقِ  
الجارية إذا أنشأ وتتركه . ففعلت فرجعت إلى مَعْقِلٍ  
فقال : أشهدُ أن أخِي معذورٌ . فما قدر عليها أبو دُلْفٍ  
حتى احتالَ عليها . بأن قال لها يوماً : ما أظنُّك ببكرٍ .  
فأمكنت من نفسها .

كان بالكوفة لعبد الملك بن رامير مولى بشر بن  
مروان (٢) جارية يقال لها : سَلَامَةُ الزَّرْقَاءُ . وكان

---

(١) أبو دُلْفٍ بن عيسى العملي ، أمير شاعر مدح ، توفي سنة ٨٢٢٥ .

(٢) بشر بن مروان أخو عبد الملك ، ولده العرائق بن عبد مصعب .

روح بن حاتم المهلبى (١) يهاها ولا تهواه ، ويكثر  
غشيان منزل مولاها . وكان محمد بن جميل (٢)  
يهواها وتهواه . فقال لها : إن روح بن حاتم قد ثقل  
علينا . قالت : فما أصنع ؟ قد غمر مولاي بيرة .  
قال : احتالي .

فبات عندهم روح ليلة من الليالي فأخذت سراويله  
فغسلته . فلما أصبح سأل عن سراويله . فقالت : غسلناه .  
فظن أنه قد أحدثت فيه فاحتجج إلى غسله ، واستحيا  
من ذلك . وانقطع عنها . وخلا وجهها لابن جميل .

لما استخلف سليمان بن عبد الملك دفع عمال أخيه  
الوليد إلى يزيد بن المهلب وأمره ببسط العذاب عليهم ،  
واستخراج المال منهم . وكان فيهم رجل من بني مرة ،  
فقال ليزيد : أمّا أنا فلست بذي مال ، ولا تستضع بتعذيبى  
ولكن عشيرتى تنفككني بأموالهم ، فأذن لى أن أجول  
فيهم . فأذن له فقال لهم : إن أمير المؤمنين قد أخذني

---

(١) روح بن حاتم بن قبيصة المهلبى ، تولى على السند للخلفاء العباسيين ،  
وعزله الرشيد توفي سنة ١٧٠ هـ .

(٢) محمد بن جميل كان أحد المقربين للمنصور .

بمال . والمالُ عندي . ولكن أكره أن أقرَّ بالحياة .  
فاضمنوا له هذا المالَ عنِّي وأطلقوني من حبسه . ولا  
غرمَ عليكم فلاني مضطلع بأداء هذا المال .

فنهض وجوهُ عشيرته في أمره ، وضمنوا المال عنه  
وأطلقوه . فلما أخذوا بالمال قالوا للرجل : أدِّ المال كما  
زعمت . فقال : يا نوكى (١) . أتظنون أنني اختنت مالا  
تعرضت فيه للمأثم ، وسخط الخليفة وعقوبته ، وأوديه  
اليوم طائعا ، وقد صيرت ما أطالبُ به في أعناقكم .  
لبس ما ظننتم ، إغرموه من أعطياتكم وأنا فيه كأحدكم  
ففعلوا ذلك وهو كأحدهم .

همَّ الأزارقة (٢) بقتل رجل فنزع ثوبه واتزرَّ  
ولبَّى وأظهر الإحرامَ فخلَّوا سبيله لقول الله جلَّ وعزَّ  
« لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ » (٣) .

غضب المأمونُ على رجل وقال : لأقتلك ولأخذنَّ

---

(١) للنوكى : الحق .

(٢) الأزارقة : فرقة من الخوارج .

(٣) سورة المائدة : ٢ .

مالك . اقبلوه . فقال أحمد بن أبي دؤاد (١) : إذا قتلته  
فمن أين تأخذ المال ؟ قال : من ورثته . فقال : إذا  
تأخذ مال الورثة . المال للورثة . وأمير المؤمنين يأبى  
ذلك . فقال : يؤخّر حتى يُستصفى ماله . فأنقرض  
المجلس وسكن غضبه وتوصل إلى خلاصه .

جاءت امرأة إلى أبي حنيفة فقالت : إن زوجي  
حلف بطلاقي أن أطبخ قِدرًا أطرحُ فيها مكوكًا (٢) من  
الملح فلا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها . فقال لها :  
نحذي قِدرًا واجعلي فيها الماء واطرحي فيها مكوك ملح ،  
واطرحي فيها بيضاً واسلقيه ، فإنه لا يوجد طعم الملح  
في البيض .

افتمل رجل كتاباً عن المأمون إلى محمد بن الجهم  
في دفع مال إليه ، فارتاب به محمد ، وأدخله على المأمون .  
فقال المأمون : ما أذكرك هذا . فقال الرجل : أكل

---

(١) أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة المعتصم ، كان من مذهب الاعتزال ،

وكان جواداً ناصحاً يمدحاً توفي سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) المكوك . مكياك يسع صاعاً ونصفاً .

مَعْرُوفَكَ تَذَكَّرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : فَعَلْتُ هَذَا  
مِمَّا نَسِيتَ وَقَدْ فَعَلْتَ . قَالَ : ادْفَعْ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ مَا فِي  
الْكِتَابِ .

كَانَ حُوَّةُ الضَّمْرِيِّ صَدِيقًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَخَرَجَ مَعَ  
ابْنِ الزَّيْبِرِ فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزَّيْبِرِ اسْتَاءَ مِنَ النَّاسِ وَأَحْضَرَ  
حُوَّةً فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : كُنْتَ مَنِّي بِحَيْثُ عَلِمْتَ  
فَاعْنَتَ ابْنَ الزَّيْبِرِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ رَأَيْتَنِي  
قَطُّ فِي حَرْبٍ أَوْ صِبَاقٍ أَوْ نِضَالٍ إِلَّا وَالْفِئَةُ مُغْلُوبَةٌ  
بِخَرْقِي ، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ الزَّيْبِرِ لِنُغْلِبَهُ بِي عَلَى رَسْمِي .  
فَضَحَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ كَذَبْتَ وَلَكِنِّي قَدْ  
عَفَوْتُ عَنْكَ .

قَالَتِ خَيْرَةُ بِنْتُ ضَمْرَةَ الْقُسَيْبِيَّةُ امْرَأَةً الْمُهَلَّبِ لِلْمُهَلَّبِ :  
إِذَا انْصَرَفْتَ مِنَ الْجُمُعَةِ فَأَحْبِثْ أَنْ تَمُرَّ بِأَهْلِي . فَقَالَ لَهَا :  
إِنْ أَخَاكَ أَحْمَقٌ . قَالَتْ : فَأَحْبِثْ أَنْ تَمُرَّ بِنَا . فَجَاءَ  
وَأَخُوهُمَا جَالِسٌ فَلَمْ يَوْسَعْ لَهُ فَعَجَسَ الْمُهَلَّبُ نَاحِيَةً  
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا فَعَلَ ابْنُ عَمِّكَ فَلَانٌ ؟ قَالَ :  
حَاضِرٌ : قَالَ : أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ . فَعَمِلَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْمُهَلَّبِ  
غَيْرَ مَرْفُوعِ الْمَجَاسِرِ قَالَ : يَا بَنَ اللَّامِخْنَاءِ ، الْمُهَلَّبِ

جالسٌ ناحية ، وأنتَ في صدرِ المجلسِ وواثبه . فتركه  
المهلبُ وانصرفَ فقالت له خيرةٌ : أمّرت بأهلي ؟  
قال : نعم وتركْتُ أُنحَاكِ الأحمقَ يُضربُ .

قالوا : إنَّ الحجاجَ بنَ يوسفَ قال ذاتَ يومٍ لمحمد  
ابنِ عُمير بنِ عطارِد (١) : اطلُبْ لي امرأةً حَسِيبةً  
أُتزوِّجُها : قال : طلبْتُها إنْ زُوِّجْتُها . قال : ومنَ هذا  
هذا الَّذي يمتنعُ من تزويجي ؟ قال : أسماءُ بنُ خارجة (٢) .  
يدّعي أَنَّهُ لا كُفءَ لبناته إلاَّ الخليفةُ .

قال : فأضمرها الحجاجُ إلى أنْ دخلَ إليه أسماءُ  
فقال : ما هذا الضمُّ والتَّطاولُ ؟ قال : أيُّها الأميرُ ،  
إنَّ تحتَ هذا سبباً . قال : بلغني أَنَّكَ تزعمُ أنْ لا كُفءَ  
لبناتِكَ إلاَّ الخليفةُ . فقال : والله ما الخليفةُ بأحبَّ  
أكفائِهِنَّ إليّ ، ولستُظرأني من العشيرةِ أحبَّ إليّ منه ،  
من خالطني منهمُ حفيظني في حرمتي ، وإنْ لم يحفظني

---

(١) محمد بن عير بن عطارِد ، كان سيد أهل الكوفة .

(٢) أسماء بن خارجة بن حليفة ، من أشراف العرب ، توفي

سنة ٥٦٦ .

فلمرت على أن أنتصف منه . والحليفة لا نتصف إلا  
بمشيئة . وحرمته متغيرة . مطرحة يقدم عايتها من ليس  
مثلها . ولسانُ ناصرها أقطع . قال : فما تقول في الأمير ؟ .  
فإن الأمير خاطيفٌ هنداً . قال : قد روجتُه إياها بصداقٍ  
نيسائها . وحولها إليه .

فلما أتى على الحلييت حولان دخل إلى الحجاج فقال :  
هل أتى الأمير ولدٌ . نُسرُّ ونَحْمَدُ الله على هتته .  
قال : أما من هند فلا . قال : ولد الأمير من هند وغير  
هند عنادي بمنزلة . فقال : والله إني لأحبُّ ذلك من هند .  
قال : فما يمنع الأمير من الضَّرِّ (١) ، فإن الأرحامَ  
تتغايِر . قال : أو تقول هذا القول وعندي دندٌ قال :  
أحبُّ أن ينفشوا نسلُ الأمر . قال : فيمن ؟ قال على  
الأمير بهذا الحَيِّ من تميم . فنساؤهم مناجيب . قال :  
فأيتهن ؟ قال : ابنةُ محمد بن عمير . قال : إنه يزعم  
أن لا فارغة له . قال : فما فعلت فلانة ابنته ؟

فلما دخل إليه محمد بن عمير قال : ألا تزوج الأمير ؟  
قال : لا فارغة لي : قال : فأين فلانة ؟ قال : روجتُها

---

(١) الضر : اتخاذ الصرة .



من ابنِ أخي البارحة . قال : أحضر ابنَ أخيك ، فإن أقرَّ بها ضربتُ عنقه . فجيءَ بابنِ أخيه ، وقد أبلغ ما قال الحجاجُ . فلما مثَّل بين يديه قال : باركَ الله لك يا فني . قال : في ماذا ؟ قال : في مصاهرتك لعمِّك البارحة . قال : ما صاهرته البارحة ولا قبَّلتها . قال : فانصرف راشداً . ولم ينصرف محمدٌ حتى زوجه ابنته .

وحضر بعد ذلك يوماً من الأيام جماعةٌ من الأشرافِ بابَ الحجاجِ فحجب الجميعَ غيرَ أسماءَ ومحمدٍ . فلما دخلوا قال : مرحباً بصهري الأميرِ سلاني ما تريدان أسعِفكما فلم يُبقيا عانياً إلا ألقاه . ولا مُجَمَّراً (١) إلا أقتلاه (٢)

فلما خرجا أتبعتهما الحجاجُ بمن يحفظُ كلامهما . فلما فارقا الدار ضربَ أسماءُ يده على كتفِ محمدٍ وأنشأ يقول :

---

(١) تجمير الجند : إيقاظهم في التنوير . والمعاني : الأسير .  
(٢) أقتلاه : أرحمناه .

جزيتك ما أسديته يابنَ حاجب  
وفاءً كعرفِ الديكِ أوقنة (١) النسر

في أبيات كثيرة . فعاد الرجل فأخبر الحجاج فقال :  
لله درّ ابنِ عارجة ! إذا وُزن بالرجال رجحَ .

أُقي زيادُ برجلٍ فأمر بضرب عُنقه . فقال : أيتها  
الأميرُ ؛ إن لي بك حرمةً قال : وما هي ؟ قال : كان  
أبي جارك بالبصرة . فقال : ومن أبوك ؟ قال : قد والله  
نسيتُ اسمَ نفسي ، فكيف اسمَ أبي ؟ قال : فردّ زيادُ  
كُفّه إلى فمه وضحك ونخلّى سبيله .

مرّ زيادُ بأبي العريان (٢) فقال : من هذا ؟ فقالوا  
زياد بن أبي سفيان . فقال : ربّ أمرٍ قد نقضه الله ،  
وعبدٌ قد رده الله . فسمعها زيادُ فكره الإقدامَ عليه  
وكتبَ بها إلى معاويةَ ، فأمره بأن يبعثَ إليه بألفِ دينارٍ ،  
ويعرّ به ويسمع ما يقول . ففعل زياد ذلك ، ومرّ به  
فقال من هذا ؟ قالوا : زياد . فقال رحم الله أبا سفيان ،  
لكأنّها تسليمتُه وانغمته . فكتبَ بها زياد إلى معاوية  
فكتب إلى أبي العريان :

---

(١) قذّة النسر : مقطع ريشه .

(٢) أبو العريان . شاعر .

مَا لَبِثْتُكَ دَنَائِرٌ رُشِيَتْ بِهَا  
أَنْ لَوْنَتْكَ - أبا العريان - أَلْوَانَا

فَدَعَا أَبُو الْعَرِيَّانَ ابْنَهُ وَأَمَّاى عَلَيْهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ :

مَنْ يُسَدِّ خَيْرًا يَجِدُهُ حَيْثُ يَطْلُبُهُ  
أَوْ يُسَدِّ شَرًّا يَجِدُهُ حَيْثُ كَانَ

تَقَدَّمَ رَجُلٌ إِلَى سَوَّارٍ ، وَكَانَ سَوَّارٌ لَهُ مِبْغَضَا  
فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ سَوَّارٌ فِي بَعْضِ مَخَاطِبَتِهِ : يَا بَنَ الْخَنَاءِ (١) ،  
فَقَالَ : ذَاكَ نَحْصُمِي . فَقَالَ الْخَصْمُ : أَعُنِّي عَلَيْهِ .  
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : خُذْ لَهُ بِحَقِّهِ وَخُذْ لِي بِحَقِّي . فَفَهَمَ .  
وَسَأَلَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ .

قَالُوا : لَمَّا حُبِسَ الْحَلَّاجُ (٢) عِنْدَ الْقَشُورِيِّ ،  
مَرِضَ ابْنٌ لَهُ ، وَاشْتَهَى التَّفَاحَ الشَّامِيَّ ، وَكَانَ لَا  
يَصَابُ لِفُوتِ أَوَانِهِ ، فَتَلَطَّفَ الْحَلَّاجُ وَاحْتَالَ حَتَّى  
سَأَلَهُ الْقَشُورِيُّ تَفَاحَةً شَامِيَّةً . قَصَدَ بِهَا لِيَعْرِفَ أَمْرَ  
الْحَلَّاجِ فِي صَدَقِهِ وَكَذِبِهِ ، وَأَرَادَ أَيْضًا بُلُوغَ مَرَادِهِ فِي

---

(١) الْخَنَاءُ : الْمُنْتَنَةِ الرَّائِعَةِ .

(٢) الْمَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَلَّاجُ ، كَانَ يَقُولُ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ  
وَالْحُلُولِ ، وَقِيلَ أَنَّهُ ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ ، وَافْتَنَنَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، صُلِبَ  
ثُمَّ قُتِلَ سَنَةَ ٣٠٩ هـ . وَأُحْرِقَتْ جَسَدُهُ .

ولده . وكان الحلاجُ قد أعدَّ تفاحةً لذلك فحين سألَه  
أولمأ بيده هكلاً وأعادها بتفاحة . وتناولها القشوري  
يفلتبها ويتعجبُ منها والحلاج يقول : الساعة قطعْتُها  
من شجرة الجنة . قال القشوري : إني أرى في موضع  
منها عاباً . قال الحلاج غيرَ مُطرقٍ ولا مُكثَرٍ : أما  
علمتَ أنها إذا خرجت من دارِ البقاء إلى دارِ الفناء ،  
لحقها جزءٌ من البلاء . فكان جوابه أحسنَ من فعله  
وحيلته .

أتني مصعبُ بنِ الزبيرِ برجلٍ من أصحاب  
المختار (١) . فأمرَ بضرب عنقه . فقال : أيها الأميرُ ،  
ما أقبحَ بك أن أقومَ يومَ القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ،  
ووجهك هذا الذي بـُسْتُفْباءُ به . فأتمعتَ بأضرافك  
وأقول : يا ربُّ . سلْ مصعباً لماذا قتلتني ؟ فقال : أطلقوه  
فقال : أيها الأميرُ . اجعلْ ما وهبتَ لي من حياتي في  
خفَضِ عيشٍ . قال : أعطوه مئة ألف درهم .

\* \* \*

(١) المختار بن أبي سبيد الفقي ، من زعماء الثائرين على بني  
أمية قتلَه مصعب وهو أمير البصرة عام ٥٦٧ .

## فهارس السفر الثاني من نشر الدر

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الأول
٧	كلام معاوية بن أبي سفيان وولده
٢٠	يزيد بن معاوية وولده
٢٩	الباب الثاني
٣١	كلام مروان بن الحكم وولده في الخلفاء
٣٢	عبد الملك بن مروان
٣٨	الوليد بن عبد الملك
٤٠	سليمان بن عبد الملك
٤٣	يزيد بن عبد الملك
٤٤	هشام بن عبد الملك
٤٥	الوكيد بن يزيد
٤٧	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٤٠	مسلمة
٥٢	مروان بن محمد
٥٧	الباب الثالث
٥٩	كلام الخلفاء من بني هاشم / السفاح

٦١	المصور
٦٧	المهدي
٧١	أخادي
٧٢	الرشيد
٨٠	الأمين
٨٣	المأمون
٩٣	المعتم
٩٧	الوائق
١٠٢	المتوكل
١٠٤	المنتصر
١٠٥	المسمن
١٠٦	المعتر
١٠٧	المهتدي
١٠٨	المعتمد
١٠٩	المعتضد
١١١	المكتفي
١١٢	المقتدر
١١٣	الراضي
١١٣	إبراهيم بن المهدي
١١٦	عبد الله بن المعتز

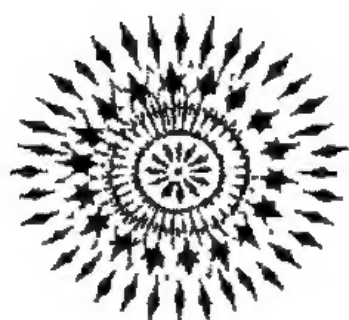
الموضوع	الصفحة
الباب الرابع	١٢١
كلام جماعة من بني أمية	١٢٣
الباب الخامس	١٣١
نكت لآل الزبير	١٣٣
الباب السادس	١٤٥
نوادير أبي العيناء ومخاطباته	١٤٧
من رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن	١٥٨
الباب السابع	١٦٧
نوادير مزبذ	١٦٩
الباب الثامن	١٧٥
نوادير أبي الحارث جسين	١٧٧
الباب التاسع	١٨١
نوادير الحماز	١٨٣
الباب العاشر	١٨٧
نوادير المجانين	١٨٩
الباب الحادي عشر	١٩٧
نوادير البخلاء	١٩٩
الباب الثاني عشر	٢١١
كلام الشطار ومن يجري مجراهم ونواديرهم	٢١٣
الباب الثالث عشر	٢١٩
العي ومكاتبات الحمقى	٢٢١

٢٢٧	الباب الأول
٢٢٩	كلام للنساء الشرائف
	فاطمة ابنة رسول الله عليها السلام
٢٣٥	عائشة أم المؤمنين ( رضي الله عنها )
٢٤١	أم كلثوم بنت علي
٢٤٤	حقيقة أم المؤمنين
٢٤٨	أروى بنت الحارث
٢٤٨	رويا رقيقة
٢٥٢	هند بنت عتبة
٢٥٤	رويا عائكة بنت عبد المطلب
٢٥٦	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان
٢٥٨	أم سلمة أم المؤمنين
٢٥٩	ملفوظات من كلامهن
٢٦١	الباب الثاني
٢٦٣	نكت من كلام النساء ومستحسن جواباتهن وألفاظهن
٣٠١	الباب الثالث
٣٠٣	الحيل واللداع

٥٠٠ ط ١٩٩٧/٥/١







طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق - ١٩٩٧

في الاقطار المهنية تأييداً

٢٥٠ ل.س

بمراجعة داخلية

١٧٥ ل.س